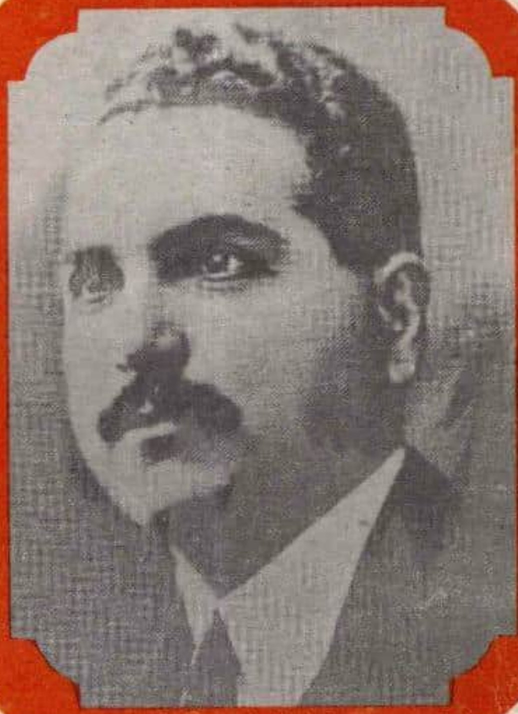
العراق بين عهدين

ياسين الهاشمي و بكر صدقي



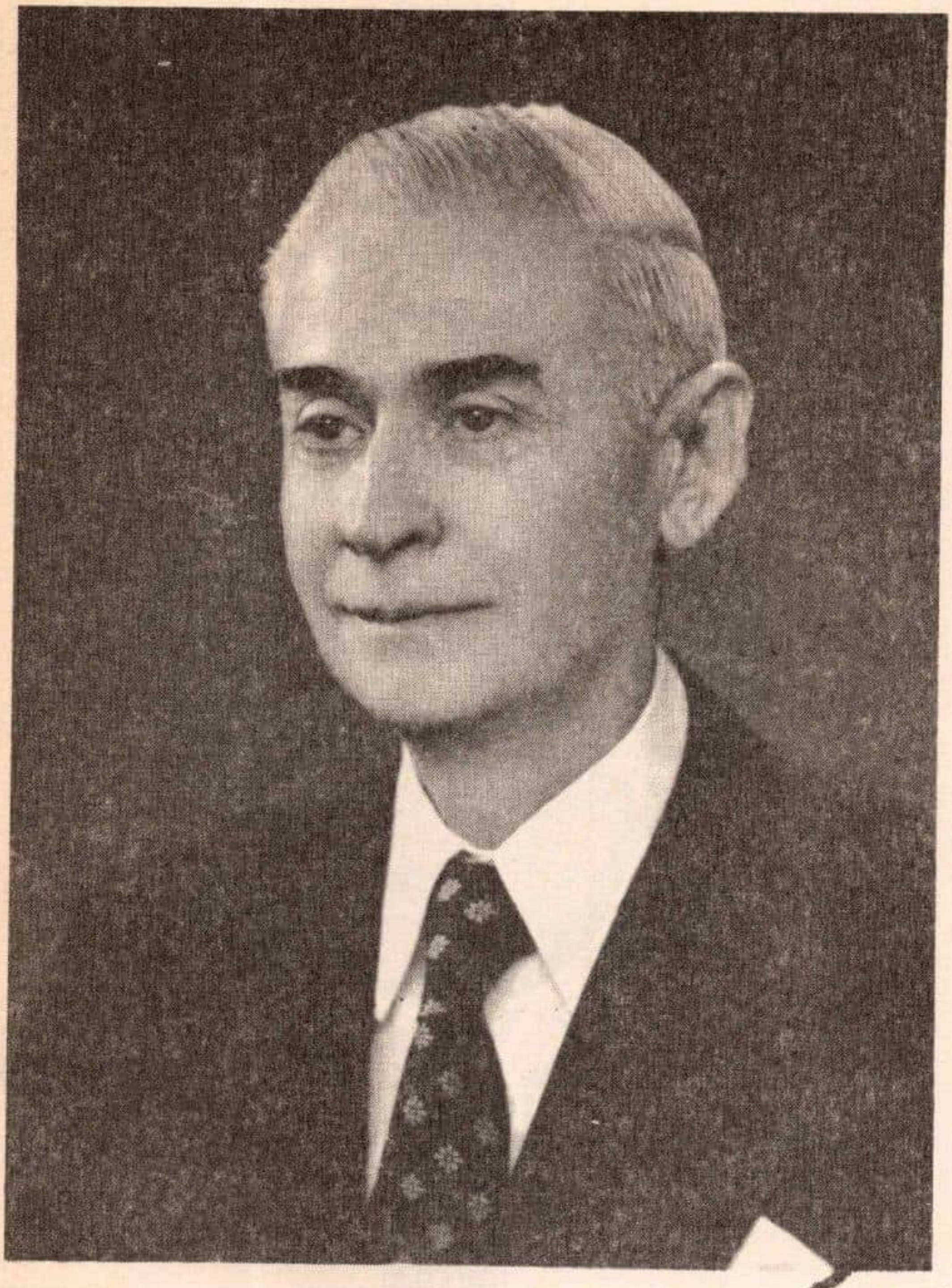


لمؤلفه
حازم المفتي

قدم له
الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي
الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ
تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾



حازم المفتي

العراق بين عهدين

ياسين الهاشمي و بكر صدقي

لمؤلفه
حازم المفتي

قدم له
الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

مكتبة اليقظة العربية

١- مقدمــــة

بقلم / الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف

١- المؤلف

مؤلف هذا الكتاب هو السيد حازم المفتي ، احد رجال الحركة القومية في العراق في حقبة مهمة من تاريخه ، وهي الممتدة من اواسط العقد الثالث ، وحتى اواخر العقد الخامس ، من هذا القرن.

ولد في مدينة الموصل سنة ١٩١٧ من اسرة حسينية هاشمية عريقة ، عرفت بكثرة من انجبتهم من القادة والعلماء والادباء ، خلال مختلف العصور ، ومنهم من تولى المناصب الادارية والشرعية الرفيعة في مدينته، فتأثر هو بتراث اسرته ، وتلقن- وهو لما يزل شاباً يافعاً - قيمها الموروثة ، فنمى عنده انتماؤه الى وطنه وقوميته ، وزاده ثقة بضرورة السعي من اجل اعادة مكانه امته وتأكيد رفعتها بين الامم.

وفضلاً عما وفرته له اسرته من تعليم ديني ، فانه دخل سلك المدارس النظامية ، فتخرج من الاعدادية سنة ١٩٣٥ ومن كلية الحقوق العراقية سنة ١٩٣٩ ، وفي غضون السنوات ١٩٣٧-١٩٤٠ ساهم ونظم مع زملائه القوميين «حركة النضال القومي الطلابي» وكان لهذه الحركة دور غير قليل في المظاهرات والاجتماعات وتنظيم الاحتجاجات ضد الاستعمار البريطاني والمتعاونين معه يومذاك. واشترك مع زملائه القوميين ايضاً ، في نشاطات «نادي المثنى» تلك المؤسسة الشعبية التي كانت تدعو الى استقلال الامة العربية ووحدتها الكبرى .

وفي ايلول سنة ١٩٣٩ دخل دورة الضباط الاحتياط في الكلية العسكرية ، وتخرج منها سنة ١٩٤٠ برتبة «ملازم ثان خيال» وبعد ان قضى مدة الخدمة المقررة في

كتيبة الخيالة الثالثة في جلولاء ، عاد الى الموصل ليمارس مهنة المحاماة ، وليعمل في الميدان السياسي القومي. وقد كتب يومذاك سلسلة من المقالات القومية في صحيفتي «البلاغ» و «فتى العرب» الموصليتين ، وصحيفتي «الاستقلال» و «البلاد» البغداديتين. وكان احد مؤسسي نادي الجزيرة ، ونادي المحامين ، وانتخب للنادي الاخير.

وجاءت احداث سنة ١٩٤١ لتزيد من نشاطاته السياسية ، ففي ٤ نيسان من هذا العام ، تشكلت حكومة «الدفاع الوطني» برئاسة السيد رشيد عالي الكيلاني ، وزملائه الشهداء الاحرار العقداء صلاح الدين الصباغ ومحمد فهمي سعيد ومحمود سليمان ويونس السبعاوي ، فنظم حازم المفتي مع زملاء له مظاهرات التأييد في الموصل ، لهذه الحكومة ، وارسلوا الوفود للتهنئة بقيامها ، وكتب هو مقالات عنيفة في صحيفتي «النضال» و «فتى العراق» حمل فيها على الاستعمار البريطاني وعلى الوصي ووزرائه ، ودعا الى تجنيد القوى كافة من اجل انجاح قضية الاستقلال.

وفي اواخر نيسان سنة ١٩٤١ قررت حكومة الدفاع دعوة ضباط الاحتياط «للخدمة الطارئة» والدفاع عن حرية العراق واستقلاله ، فلبى الدعوة ، وعين مرافقاً عسكرياً للقائد الشهيد محمد فهمي سعيد الذي انيط به امر الدفاع عن الجبهة الغربية ومحاصرة «قاعدة سن الذبان» البريطانية ، وهي اقوى مركز لتحشد الجيش البريطاني في العراق. وبعد المعارك المريرة بين الجيشين العراقي والبريطاني في تلك الجبهة ، اضطر الجيش العراقي الى التراجع امام ضغط القوات البريطانية ، التي تفوقت عليه بالقوة الجوية والدبابات تفوقاً كبيراً ، واحتل الجيش البريطاني العراق مجدداً في حزيران من سنة ١٩٤١ والقت حكومة الوصي القبض على مئات الاحرار من رجال العراق ، منهم مؤلف الكتاب ، ودفعتهم الى الاعتقال في الفاو والعمارة ونقرة السلمان نحو ثلاث سنين ، ثم اطلق سراحه ، وعاد الى مدينته ليمارس المحاماة والزراعة ، ويراقب – بحذر ويقظة – سير الاحداث السياسية في العراق.

وفي سنة ١٩٤٦ عادت الحياة الحزبية الى العراق ، فاشترك مع رفاقه القوميين

بتأسيس «حزب الاستقلال» وانتخب عضواً في «اللجنة التنفيذية العليا» ومعتمد فرع الحزب في الموصل ، وتولى اصدار جريدة «النضال» لتكون لسان الحزب الرسمي فيها.

وفي كانون الثاني من سنة ١٩٤٨ نظم وقاد مع رفاقه من اعضاء حزب الاستقلال مظاهرات كبيرة استمرت طيلة ايام «الوثبة» للاحتجاج على مشروع معاهدة بورت سموث التي اريد بها ان تقيد العراق بقيود جديدة مع بريطانيا ، فكان من نتيجة الضغط الجماهيري ان اضطر رئيس الوزراء صالح جبر على تقديم استقالته ، والغيت فكرة المعاهدة واعتبرت «غير ذات موضوع».

وبالنظر لما ابداه المفتي - مؤلف هذا الكتاب - من نزاهة ، وجرأة في الحق في خلال تلك الظروف العصيبة ، فقد انتخب رئيساً لانضباط محامي المنطقة الشمالية «الموصل - كركوك - اربيل - السليمانية» واعيد انتخابه لرئاستها سنة ١٩٥٢م.

وفي سنة ١٩٥٢ جرت انتخابات المجلس النيابي باشراف وزارة نورالدين العسكرية ، فرشح المفتي نفسه نائباً عن «منطقة الحمدانية» الثالثة في «لواء الموصل» وعلى الرغم من اعلان الاحكام العرفية ، واضطهاد السلطات الحكومية لانصاره ، فانه فاز بنيابة المنطقة المذكورة. وفي سنة ١٩٥٤ اجرت وزارة السيد ارشد العمري انتخابات المجلس النيابي ، فرشح نفسه على مبادئ حزب الاستقلال ، وانتخب نائباً عن المنطقة الثالثة «الحمدانية» ايضاً.

وعندما انحرف عبدالكريم قاسم عن الخط الوحدوي العربي ، واضطهد العناصر القومية ، انتفضت الموصل ضد هذا الانحراف مسجلة ثباتها على المبادئ القومية ، ومؤكدة رفضها للاتجاهات الشعوبية الجديدة ، فما كان من قاسم إلا ان امر باعتقال القوميين وتعذيبهم ومصادرة اموالهم ونهب دورهم واحراق مساكنهم ، فكان حازم المفتي احد الذين احرقت دورهم ونهبت اموالهم ، وسيق الى معسكر الدبابات في معسكر الرشيد ليعاني فيه من مختلف الآلام والامراض ، حتى اطلق سراحه ، فخرج من المعتقل ليمارس المحاماة حتى وفاته - رحمه الله - في ١ ايلول من سنة ١٩٨٥.

وللسيد حازم المفتي مؤلفات عدة هي :

١- كراس عنوانه «في الحمدانية وكيف عينت الحكومة نوابها» طبع في الموصل سنة ١٩٥٣ غفلاً من اسم مؤلفه.

٢- آراء في المذاهب السياسية والاقتصادية . لم يطبع.

٣- القضاء في الاسلام. طبع على الرونيو.

٤- نقباء الموصل العلويون وأبناؤهم. وهو في تاريخ نقابة الاشراف في الموصل وتراجم رجالها. لم يطبع ، وطبع مختصر له على الرونيو .

٥- مذكرات السيد حازم المفتي. لم يطبع [١]

٦- العراق بين عهدين ، وهو هذا الكتاب.

---

(١) شرعت مجلة آفاق عربية بنشره مسلسلاً في اعدادها ، ونشر القسم الاول في العدد الحادي عشر ، تشرين الثاني (السنة الرابعة عشرة ١٩٨٩).

٢. الكتاب

ينطوي هذا الكتاب على وصف وتقويم لحقبة قصيرة من تاريخ العراق القريب ، شملت السنين ١٩٣٥-١٩٤٠ ، مع مقدمات تصل بها الى بداية تأسيس الدولة العراقية. وسيرى القارئ ان قصر المدة التي يؤرخ لها الكتاب لا تقلل من اهميته ، وانما تؤكدها من وجوه عدة ، أولها ان هذه السنين الخمس شهدت اكثر الاحداث أهمية في تاريخ العراق المعاصر حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، ففيها شكل ياسين الهاشمي ، من رعيل الثورة العربية الكبرى المخلصين ، وزارته التي قادها في بحر متلاطم التيارات والاهواء والمصالح ، لتحقيق اهداف وطنية وقومية نبيلة ، منها تقوية الجيش بسّن اول قانون لخدمة العلم ، ومساندة الثورة في فلسطين ضد الاستعمار البريطاني والمستعمرات الصهيونية ، واقصاء الموظفين والمستشارين الانكليز عن الوزارات العراقية ، واحترام الدستور وحرية الانتخابات العامة ، ومعالجة المشاكل القبلية المتراكمة منذ عهود الاحتلال والانتداب بما يمنع اتخاذها معوقاً لأي سياسة تقدمية في البلاد.

وكان طبيعياً ان تؤدي اعمال مهذه الى تغيرات جذرية في السياسة العامة للدولة ، وفي مستوى اداء مؤسساتها ، بل وفي الحياة السياسية والاجتماعية بوجه عام ، فلم يكن غريباً اذن ان تتصدى للهاشمي قوى عديدة ، مدفوعة بدوافع مختلفة ، قد تصل في اختلافها الى حد التناقض ، من اجل احباط مساعيه الوطنية بكل سبيل ، فكان ثمرة ذلك الموقف ، قيام بكر صدقي ، ذلك الضابط الطموح ، بانقلاب هو الأول من نوعه في تاريخ العراق ، حُل على اثره المجلس النيابي ، وعطلت الصحف ، وتعددت حوادث الاغتيال السياسي ، وأوقفت جهود مساندة فلسطين ، وعقدت معاهدة مع ايران فقد العراق فيها جزءً من مياهه الوطنية في شط العرب.

ويمكن القول ان تصاعد المد الوطني والقومي في عهد الهاشمي ، ثم ما اعقبه من تدنٍ واضح في عهد بكر صدقي ، كان امراً ترك بصماته على مجمل الحياة السياسية في العراق ، فالحركة القومية بلغت حداً لم تعد الحكومات المتعاقبة بقادرة على استيعابه ، فانعزل كل منهما عن الآخر كما لم يحدث من قبل ، ومن جهة اخرى ، فان هذه الحركة كان عليها ان تواجه نمو تيارات سياسية جديدة ، افرزتها ظروف معقدة في الداخل ، وشجعتها بعض القوى الدولية في الخارج ، فالكتاب ، من هذا الجانب ، يتضمن تسجيلاً لاحداث جسام لم تقتصر اهميتها على الحقبة التي جرت فيها فحسب، وانما امتدت لتلقى آثارها على الحقب التالية ايضاً .

والكتاب يكتسب خطورته من ناحية ثانية ، من انه تضمن رصداً دقيقاً ، وتقويماً ، لحركة القومية العربية في العراق إبّان العقد الثالث من هذا القرن ، واهم ما فيه - في تقديرنا - انه رَصَد هذه الحركة في عنفوانها ، ثم في امتحانها ، على حد سواء. فعني بتوضيح الجانب غير الرسمي ، بل والسرّي احياناً ، من تنظيمات تلك الحركة ونشاطاتها يومذاك ، مثل «كتلة الضباط القوميين» (١٩٢٧) و «جمعية الجوّال العربي» (١٩٣٣) و «عصبة العمل القومي» (١٩٣٤) و «نادي المثنى» (١٩٣٥) و «التجمع الطلابي القومي» التابع له ، و«الحزب العربي القومي» (١٩٣٩). وأوضح طبيعة الصلات بين هذه التنظيمات ، سواء ما كان منها في نطاق القوات المسلحة ، ام في نطاق الحياة السياسية المدنية ، وأوضح مواقف العديد من الفئات والقوى السياسية ، مما يمكن ان يُعد ، من هذا الجانب في الاقل - تاريخاً للحركة القومية في العراق في تلك الحقبة من تاريخه.

ويزيد من اهمية الكتاب ، انه ليس من ذلك الضرب من الدراسات الاكاديمية ، التي تستقي مادتها مما تحتويه الأرفف الباردة من كتب ، وانما هو شهادة حيَّة لرجل عاش الاحداث بكل تفاصيلها ، ونقل شهادات معاصريه في ساعة وقوع الحدث نفسه ،

وكان قريباً من قادة الحقبة وشخوصها البارزين ، تربطه بهم صلات شخصية حميمة ، ومن ثم فإنه انفرد بتقديم تفاصيل ذات شأن لم ترد في غيره ، وقدم تفسيرات جديدة لأحداث وعلاقات جرت في حينها ، واذا كان تواضع المؤلف - رحمه الله - جعله يعزف عن تبيان دوره ، وتوضيح عمله ، فيما ساقه من احداث ، الا قليلاً، فإن لنا ان نعلم - من سياق سيرته الشخصية - انه كان في قلب معمعانها ، داخل في تفاصيل كثيرٍ مما وصفه ، ويكفي انه انفق من عمره ثلاث سنين كاملة في معتقلات الفاو والعمارة ونقرة السلمان ، ثمناً لموقفه المبدئي ، ولعمله السياسي ونشاطاته المتنوعة في الحركة القومية.

ومع ذلك ، فالكتاب ليس نوعاً من المذكرات الشخصية لصاحبها ، لأنه اختار - منذ البدء - منهجاً يلتزم بالسياق الزمني لاحداثه ، وبالوحدات البارزة ضمن تلك الاحداث ، وهو ما اخرجه عن ان يكون مجرد تسجيلٍ لذكريات ذاتية بحتة ، انه - في الحقيقة - تأليف يجمع بين ضربين من ضروب الكتابة التاريخية: تسجيل الاحداث كما حدثت اولاً ، وتسجيل نتاج الخبرة المستمدة من المعاينة الشخصية لها ثانياً ، ونحن نعتقد ان اختياره عنوان «العراق بين عهدين» جاء موفقاً الى حد كبير في التعبير عن فكرة الكتاب ، بل ومنهجه ايضاً ، صحيح انه كان صدى لعنوان كتاب شهير الفه قبل نصف قرن المحامي المؤرخ عبّاس العزاوي ، وهو «تاريخ العراق بين احتلالين» واراد به الاحتلالين المغولي والبريطاني ، الاّ ان المؤلف المفتي ، بسبب قصر الحقبة التي أرّخ لها في كتابه ، اراد من هذا الاختيار ان يوضح الفرق الكبير بين عهدين متقاربين زمناً ، ويبرز مدى التناقض بين سياستي رجلين متعاصرين ، حكما العراق على التوالي . لقد اراد باستعمال مصطلح «عهد» لمدة لم تزد على بضعة سنوات ، ان يجسّد ما انطوت عليه هذه السنوات من خصائص عميقة الجذور في المجتمع العراقي ، وهو لم يجعل «العهدين» عهداً واحداً ، لانه كان يريد ان يؤكد ان قصر مدة حكم الرجلين لم يلغ وجود تناقضات حقيقية بين اهدافهما ، وبرامجهما ، ومبادئهما ، وهي تناقضات ما

كانت تعبر عن نوازع شخصية لكل منهما ، بقدر ما كانت تعبر عن حركتين فكريتين لهما جذورهما الاجتماعية ، حركة القومية العربية من جهة ، والحركة المضادة لها من جهة اخرى .

ومن ناحية اخرى ، فان الكتاب أرّخ لجملة من الظواهر المستجدة على الساحة السياسية العراقية ، والتي سيكون لها اثار مهمة في الحقبة التالية ، واهمها ظاهرة تدخل الجيش بالسياسة ، وظهور الكتل السياسية في الجيش ، ودور المثقفين المتصاعد في العمل القومي ، وتعمق الاحساس بالروابط الوطنية بديلاً عن الصلات العشائرية لدى القبائل ، واسنادها لمثقفي المدن في مطالبهم الوطنية ، وتكوين بعض الاحزاب السرية ، وتكرر ظاهرة الانقلابات العسكرية ، ولجوء رجال الحركة القومية الى العمل السري في ظروف لم تعد تسمح لهم بمزاولته علناً ، خاصة بعد أغتيال عدد منهم ، ومشاركة الطلبة - على نطاق واسع - في الحركة القومية ، وتشكيلهم اولى تنظيماتهم في هذا المجال ، كما انه انفرد بذكر تفاصيل بالغة الدقة عن مصرع بكر صدقي ، بوصفه كان مرافقاً للشهيد فهمي سعيد ومؤتمن سرّه ، وهمزة الوصل بينه وبين سائر افراد التنظيم الذي نفذ فكرة التخلص من ذلك المسؤول .

واذن ، فالكتاب يقدم مادة جديدة ، ووجهات نظر ذات شأن للباحث في تاريخ العراق المعاصر ، ولأسباب شخصية متنوعة ، كان المرحوم السيد حازم المفتي عازفاً عن نشره في حياته ، واذكر اني الححت عليه- وربما الح غيري- لنشره ، وكم تمنيت عليه- وانا احد روّاد مجلسه الاسبوعي الدائم في داره بشارع طه ، ان يلبي رغبتنا هذه دون جدوى ، ولكنه افهمني - غير مرّة - انه انما كتب ما كتب لينشر بعد حياته ، وشاء الله تعالى ان ينتقل - رحمه الله - الى الرفيق الاعلى في صباح الاول من أيلول سنة ١٩٨٥ ، فبقي الكتاب ، مع مؤلفاته الخطيّة الاخرى ، موضع عناية اسرته الكريمة ، حتى تولت أخيراً اخراجها على الملأ ليستفيد منها الباحثون والقراء عامة .

ونظراً لصلتي الحميمة بالمؤلف - رحمه الله - وللثقة الكبيرة التي شرفني بها طيلة السنوات التي ترددت فيها على مجلسه ، فقد عهدت اسرته الكريمة اليّ باخراج هذا الكتاب الى النور ، وهاانذا اتولى المهمة ، تنويهاً بفضل المؤلف ، وتلبية لرغبته ، ورغبة اسرته من بعده ، وخدمة لدارسي تاريخ العراق القريب والله الموفق الى سواء السبيل .

الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف

بغداد ١٩٨٩/٧/١٤

الفصل الاول
ظهور ياسين الهاشمي

ياسين باشا الهاشمي قائد عسكري ممتاز، وسياسي محنك، تفوق على اقرانه بالنبوغ وسداد الرأي ونفاذ البصيرة وصلابة الارادة وتحفظ دبلوماسي يقظ يؤدي بصاحبه الى قلة الكلام حيناً والى الصمت المطبق احياناً أخر. وكان يتمتع بثقافة واسعة في الشؤون الاقتصادية والمالية والعسكرية . ويجيد اللغات الانكليزية والفرنسية والالمانية والتركية كتابة ونطقاً . وإذا تكلم العربية فهو الخطيب الساحر يتدفق بلاغة واعجازاً.

نشأ في عهد الانحلال الذي اصاب الامبراطورية العثمانية في اواخر ايامها. وشاهد بعينه تدهور هذه الدولة بشكل سريع. ولمس مطامع الدول الاوربية وعزمها على اقتسام اقاليمها كمناطق للاستعمار والاستغلال . ودرس الوضع المؤلم الذي تمر به امته العربية فوجد الدولة العثمانية وقد تسلم السلطة فيها حزب الاتحاد والترقي الذي ينكر على العرب حقهم في الحرية والاستقلال، وحقهم في المساواة مع المواطنين الاتراك، ذلك لأن هذا الحزب يؤمن ببقاء العنصر التركي وافضليته على بقية الاقوام من ابناء الامبراطورية العثمانية. وقد اسرف في عدائه للامة العربية. وصمم وهو الحزب الحاكم المطلق في الدولة، على تنفيذ مخطط واسع استهدف تتريك العرب والقضاء على حضارتهم ومعالم قوميتهم كاللغة العربية والتاريخ العربي. فجعل لغة التخاطب والتدريس والمعاملات هي اللغة التركية.فهي اللغة الرسمية التي لا يجوز استعمال غيرها في كل المجالات. كما اقصى العرب عن المناصب والوظائف المهمة في الجيش والادارة. ووضع رقابة صارمة على الفكر الثوري العربي والجمعيات السرية العربية التي كانت تدعو الى وحدة العرب واستقلالهم. واعلن الحزب الاحكام العرفية لاستئصال جذور النهضة القومية . واصدر احكام الاعدام والسجن على احرار العرب وقادتهم. ونفذ تلك الاحكام بقسوة وشدة.

***

في هذا الجو المشحون بالفواجع والاضطهاد والانحلال، نهض ياسين الهاشمي ليؤدي واجبه كمواطن عربي يؤمن كغيره من احرار العرب بحق امته «في الاستقلال الكامل والوحدة العربية».

***

لقد حمل ياسين راية الجهاد القومي قبل الحرب العالمية الاولى، وبعد الحرب. وعندما جزأ الحلفاء «الانكليز والفرنسيون وايطاليا» الامة العربية الى دويلات هزيلة وحكموا هذه الدويلات حكماً استعمارياً بغيضاً باسماء وصفات كثيرة «كالاحتلال والوصاية والانتداب» كافح ياسين هذا الاستعمار الظالم بمختلف الوانه واشكاله ففي العراق قاد المعارضة السياسية العنيفة ضد الانتداب الانكليزي وعمل بكل جرأة وثبات وتعقل على استكمال استقلال العراق وسيادته وبناء دولة عصرية حديثة تزول فس ظلها البداوة ويزول الاقطاع والتخلف وتسود الزراعة الحديثة والصناعة العصرية كما وضع اسس جيش قوي مدرب على استعمال الاسلحة الحديثة، وغرس الروح القومية في نفوس الجيل الصاعد عن طريق المناهج والدراسة، وشجع المنظمات القومية على ابداء آرائها وجمع صفوفها، وانتهج في السياسة الدولية نهجاً عربياً تحررياً يدعم ويغذي الحركات الاستقلالية في الاقطار الشقيقة سوريا وفلسطين كما سيجيء ذكره مفصلاً.

مولده ونشأته

ولد ياسين حلمي الهاشمي في محلة البارودية في بغداد سنة ١٨٨٢م سنة. ١٣٠٠هـ من ابوين عربيين. فهو من أسرة هاشمية. انه السيد ياسين بن السيد سلمان بن السيد صالح بن السيد احمد بن السيد علي بن السيد محسن. واما السيد احمد فقد ولد في مدينة الموصل وسافر إلى بغداد في سنة ١١٨٦هـ سنة ١٧٧٢م.

كان السيد سلمان والد ياسين الهاشمي مختاراً لمحلة البارودية، وكان يستأجر بساتين محمد فاضل باشا الداغستاني ويستغلها لحسابه الخاص اضافة لواجبات المختار. وقد انجب السيد سلمان اربعة اولاد، اولهم السيد داؤد، الذي تخرج من الكلية العسكرية في استانبول سنة ١٩٠٨م، وعين مدرساً للجغرافية العسكرية في المدرسة الاعدادية العسكرية في بغداد وتوفي مبكراً في سن الشباب. وثانيهما السيد ياسين

الهاشمي. وثالثهم السيد طه الهاشمي الذي تولى مناصب كثيرة في الجيش العثماني. واستغل مرض رئيس اركان الجيش العراقي في سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٣٦م حيث نال رتبة «المشير» «الركن» في هذه السنة . ثم اصبح وزيراً للدفاع سنة ١٩٣٩م، ورئيساً للوزراء سنة ١٩٤٠ ونائب رئيس مجلس الاعمار في سنة ١٩٥٢، وتوفي سنة ١٩٦١م. والسيد هاشم وقد تخرج من الكلية العسكرية العراقية . واحيل على التقاعد برتبة «عقيد».

دخل ياسين حلمي الهاشمي الرشدية العسكرية في بغداد سنة ١٨٩٩م، ثم دخل الكلية العسكرية في استامبول وتخرج منها سنة ١٩٠٢م برتبة ملازم ثاني ثم دخل كلية الاركان الحربية وتخرج منها سنة ١٩٠٥ بدرجة ممتازة . واثناء وجوده في كلية الاركان ظهرت عليه علامات الذكاء والنبوغ فنال اعلى الدرجات في العلوم العسكرية وفي علم التاريخ السياسي والاقتصاد السياسي . واعجب به اساتذته كبار ضباط الالمان الذين كانوا يشرفون على الدراسة والتدريب في الكلية المذكورة ، وتوقعوا له مستقبلاً باهراً ، وكان عمره يومذاك (٢٣) عاماً .

وتعين ياسين بعد تخرجه من قيادة الجيش السادس المرابط في بغداد واناطت به القيادة مسؤولية «تنظيم الوحدات العسكرية».. وفي سنة ١٩١٠ رفع الى رتبة مقدم ركن وعين مديراً لشعبة الحركات في الجيش السادس. وفي سنة ١٩١٣ نقل الى الموصل رئيساً لاركان حرب الفيلق الثاني عشر المقيم في الموصل بقيادة اللواء أسعد باشا الدرزي. وفي الموصل اصبح مسؤولاً عن «جمعية العهد العربية السرية» ، التي كانت تعمل على انقاذ الامة العربية من حكم الاتراك . فقام بواجباته القومية خير قيام. وبعث روح الحماس والوطنية في صدور الضباط العرب والمدنيين الموصليين ، وكان يقوم سراً باتصالات مستمرة بمقر جمعية العهد في الشام.

في سنة ١٩١٥ نقل الفيلق الثاني عشر الى مدينة حلب فاصبح ياسين قريباً من اخوانه القوميين وبدأت جهوده السياسية تظهر الى الافق العربي بشكل جذاب وسافر الى الشام واتصل باخوانه من قادة جمعية «العربية الفتاة» «امثال عبدالغني العريسي والامير عارف الشهابي ورضا باشا الركابي والشيخ كامل القصاب ومحمد الشريقي» ووضع مع هؤلاء الاحرار منهج ثورة شاملة ضد الاتراك هدفها «تحرير الامة واستقلالها ضمن دولة عربية كبرى». وبدؤا يفاوضون الملك الحسين بن علي ملك الحجاز في

هذا الامر الخطير. ولما تأكد الملك حسين من اخلاصهم ارسل ابنه الامير فيصل ليتعرف على نواياهم ويختبر مدى استعدادهم للثورة ، فلما اتصل الامير فيصل بهم اقتنع بصحة آرائهم وحسن فهمهم لاماني الامة العربية . وقرر ان يكون فيصل عضواً في جمعية «الفتاة العربية السرية» الذي اصبح ياسين احد ابرز اعضاءها ، واقسم فيصل يمين الاخلاص لمبادئ الجمعية بحضور ياسين الهاشمي والآخرين .

وفي اواخر سنة ١٩١٥ وبينما كان الهاشمي منهمكاً للتحضير الى الثورة العربية فوجئ بنقله الى رئاسة اركان الفيلق السابع عشر في استامبول ، ليتولى مهمة الدفاع عن منطقة «الدردنيـل» ، وهناك تعرف على احد الضباط اللامعين في الفيلق وهو «مصطفى كمال باشا» زعيم «الدولة التركية» ومحررها بعد الحرب . وتوثقت بينهما اواصر الصداقة والالفة . وابدى الاثنان «الصديقان» بطولة ومقاومة رائعة في حرب الدردنيـل المشهورة في التاريخ العسكري . فقررت القيادة التركية بناءاً على اقتراح القائد الالماني العام ترفيعه الى رتبة «عميد ركن» تقديراً لكفاءته.(١)

في غاليسيا

في سنة ١٩١٦م عين ياسين الهاشمي قائداً للفرقة «العشرين». وأرسل الى جبهة غاليسيا(٢) على الحدود بين النمسا وروسيا للقتال بجانب الجيش الالماني والنمساوي [حلفاء تركيا] ضد الجيش الروسي المرابط على الجبهة الشرقية . ولمااشتدت الحرب والتحمت الجيوش مع بعضها في قتال مرير ، ابدى ياسين الهاشمي شجاعة وتفوقاً في ادارة المعركة واحرز انتصارات باهرة على الجيش الروسي. وبعد الحركة زار غليوم امبراطور المانيا بنفسه مقر القائد ياسين الهاشمي ، وقلده «وسام الصليب الحديدي» وهو اعلى وسام في الجيش الالماني وذلك اعترافاً بنبوغه العسكري، كما حضر رئيس الحكومة النمساوية لجبهة القتال وقلده وسام «الصليب النمساوي» لنفس الاسباب. واما

---

(١) راجع : راجع جريدة الاستقلال تاريخ ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٣٨ .. مقالة الامير المجاهد عادل ارسلان.

(٢) راجع كتاب «الجندي التركي المحمدي» وعنوانه باللغة التركية «مم جك أورياده». كتبه احد امراء السرايا في «الفرقة العشرين».. وفيه ثناء عاطر على نبوغ ياسين العسكري وخططه العسكرية التي اكتسبته الانتصار على الجيش الروسي بعد ان تراجع الجيش النمساوي امام هجماته القوية.

— جريدة الفيحاء الدمشقية عدد ٩١ سنة ١٩٢٥ السنة الثانية.

القيادة التركية فقد منحته قدماً ممتازاً «رتبتين عسكريتين». ورقته الى رتبة «لواء ركن» ونقلته الى قيادة الفرقة الرابعة والعشرين ومقرها في فلسطين للدفاع عن الجبهة الجنوبية ضد غزو الانكليز لها بقيادة «الجنرال اللنبي» سنة ١٩١٧م.

ولما استقر ياسين في فلسطين ، بدأ مشاوراته واتصالاته باخوانه القدامى من اعضاء «جمعية الفتاة العربية السرية» وجمعية «العهد العربية السرية» فعرف منهم ان الانكليز خانوا قضية الامة العربية وتنكروا لاهدافها الكبرى وان قيادتهم في مصر والحجاز قد سيطرت على الثورة في الحجاز وبدأت توجهها وفق مخططات لا تتفق ورغبات العرب في الحرية والاستقلال، وان عزيز علي المصري باشا وغيره من الثوار المخلصين قد أبعدوا عن قيادة الثورة العربية ووضعوا تحت الرقابة ،وان الضباط العرب غير مرتاحين عموماً من سير الثورة وخطواتها ، فتألم ياسين من هذه الامور وحاول وهو في فلسطين ان يصحح الاخطاء ، ويحذر الاصدقاء،وخاصة «الامير فيصل» من غدر الانكليز ودهائهم . ولكن الامور سارت على خط يناقض نصائحه وأمانيه فانكمش في حدود واجباته العسكرية ، لان جمال السفاح والي سوريا كان يحصي عليه انفاسه، ويسوق امثاله من احرار العرب الى المشانق والسجون...

وفي سنة ١٩١٨ نقل ياسين الى قيادة الفيلق الثاني ، واصبح قائداً عاماً لمنطقة «السلط وعمان» وخاض مع الانكليز بقيادة الجنرال اللنبي حرباً ضروساً شهد على اثرها الجنرال ببراعته العسكرية وتفوقه في ادارة الحرب وتمنى لو ان ياسين «كان ضابطاً في الجيش البريطاني».

ياسين الهاشمي في سوريا

وضعت الحرب العالمية اوزارها وكشف الحلفاء عن وجههم الكالح . واظهروا العداء العميق للامة العربية . إذ اقتسموا اقطارها سراً اثناء الحرب والعرب يقاتلون معهم جنباً الى جنب،ووقعوا بينهم معاهدة «سايكس بيكو».. واهم بنودها «وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي» .. «ووضع فلسطين تحت الانتداب الانكليزي والحكم الصهيوني المباشر».. وجعل العراق والاردن «خاضعتين للانتداب الانكليزي» وقبل ان يتم التفاهم كلياً بين فرنسا وانكلترا على توزيع الاسلاب والغنائم دخل الملك فيصل سوريا سنة ١٩١٨ وشكل «الحكومة العربية» فيها.. واراد الملك ان يستعجل الامور ويقوي «جيشه» الذي سمي «بالجيش العربي» قبل ان تداهمه المطامع والاخطار

فعين ياسين الهاشمي برتبة «فريق».. واناط به منصب «رئيس مجلس الشورى الحربي».. ثم منصب مدير «الحربية العامة» [وزير دفاع].. فأخذ ياسين على عاتقه اعادة تنظيم الجيش العربي على اسس حديثة تتناسب مع مسؤولياته الكبيرة في عهد الاستقلال الجديد. ولكن الفرنسيون كانوا يتربصون بسوريا ويصممون على احتلالها لانها من «حصتهم» فحشدوا قواتهم على حدود لبنان الشرقية . وانذر الجنرال «غورو» القائد الفرنسي الملك فيصل ، وطلب منه ان يعترف بالانتداب الفرنسي على سوريا، ويسرح الجيش العربي في مدة اقصاها ثلاثة ايام «فرفض المجلس الوطني السوري» ورفض الشعب السوري هذا الانذار الظالم . وقرروا ان يخوضوا على الغاصبين الفرنسيين حرباً دفاعية مقدسة . واشتبك الجيش العربي السوري بقيادة البطل الشهيد «يوسف العظمة» مع الفرنسيين في معركة حامية في سفوح «ميسلون» وابدا الجيش اقداماً وبطولة منقطعة النظير. واستشهد القائد في بداية المعركة ، فاضطر الجيش العربي ان يتراجع امام جيش كبير مجهز بالدبابات والمدفعية الثقيلة والاسلحة الحديثة، واضطر فيصل ان يغادر مدينة الشام لخارج الحدود السورية. وانهار الحكم الوطني السوري في ٢٥ تموز سنة ١٩٢٠م.. واصبح الجنرال «غورو» «حاكماً مطلقاً» في سوريا واخذ ينفذ بقوة السلاح سياسة فرنسا الغاصبة . واعلن الحرب على احرار البلاد واقطاب الجهاد العربي من الثوار القدامى واعتقل اكثرهم «ومنهم ياسين الهاشمي».. ونفاه الى جزيرة «إرواد» في البحر الابيض. فعانى مرارة الاعتقال فترة طويلة . ثم اطلق سراحه ورجع الى الشام وبقى فيها الى نهاية سنة ١٩٢١م.

في العراق

كانت حكومة الاحتلال البريطاني في العراق قد منعت دخول ياسين الهاشمي الى العراق فلما ثار الشعب العراقي ثورته الوطنية الكبرى في سنة ١٩٢٠م، وكبد الانكليز الخسائر والاضرار الفادحة ، اعلن هؤلاء الحكم الوطني ونصبوا «الملك فيصل» ملكاً على عرش العراق، فانتهز ياسين هذه المناسبة ، وكتب الى فيصل رسالة وديّة طلب منه ان يقنع الانكليز ليسمحوا له بالرجوع الى وطنه واهله . وبعد جهود مضنية استطاع فيصل ان يحصل على موافقة الانكليز ويأذن لياسين الهاشمي بدخول العراق. وعاد ياسين الى بغداد سنة ١٩٢٢م، واستقبله اخوانه «الوطنيون» ورفاق السلاح والشعب

العراقي استقبالاً رائعاً اقلق الانكليز واتباعهم ....

واراد الانكليز ان يستميلوه الى جانبهم . واراد الملك فيصل ان يستفيد من علمه وكفاءاته فعينه متصرفاً للواء «المنتفك» فتسلم منصبه سنة ١٩٢٢. واراد ان يحقق بعض الاصلاحات الادارية والزراعية،فأمتعض منه «المفتش الاداري» الانكليزي. وبدأ ضباط الاستخبارات الانكليز في المنطقة يناصبونه العداء ، واخذوا يعاكسون خطته الاصلاحية لان فيها خطراً على مصالحهم . واخيراً حاولوا ان «يغتالوه» سراً، فترك اللواء قبل ان يظفروا به وعاد الى بغداد وانصرف الى العمل السياسي ومعارضه السياسة البريطانية في العراق. وفي ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ اسند اليه رئيس الوزراء عبدالمحسن السعدون وزارة المواصلات والاشغال، فبقى فيها فترة قصيرة ثم استقال منها.

واخذ ينظم الوطنيين ويوحد صفوفهم ويقودهم الى مخاصمة ألانكليز ويدعو الى انقاذ البلاد من نظام الانتداب وسيطرة الاستعمار . وكان وهو في خضم النضال الوطني يدرس مشاكل البلاد المالية والاقتصادية ويضع المناهج الاصلاحية في شؤون الزراعة والصناعة.

معاهدة سنة ١٩٢٤

اراد الانكليز ان يخدروا اعصاب الشعب العراقي ويخففوا من غلواء الوطنيين وحماسهم فلجئوا الى الخداع والتضليل كعادتهم في حكم الشعوب الضعيفة ، وارادوا ان يحكموا العراق بطرق قانونية مزورة، ويلبسوا الحكم الجائر ثوباً من الشرعية والاستقلال، فصاغوا معاهدة ظاهرها الاستقلال وباطنها الانتداب والحكم المباشر وقدموه للملك فيصل وللشعب العراقي سنة ١٩٢٤، بغية تصديقها من سلطة دستورية مسؤولة. وارفقوا بهذه المعاهدة مشروع «قانون اساسي» ودستور تنشأ بموجبه حكومة برلمانية، وملك مسؤول مقيد بالدستور. فثار الاحرار الوطنيون على هذه الخدعة المكشوفة والتزوير الفاضح. وبدؤا يعبؤون القوى ويستنفرون الشعب لاحباط هذا المشروع. وبرز ياسين الهاشمي في صفوف الوطنيين ، ورفع علم المعارضة واخذ يوجه الشعب والمعارضة الى رفض المعاهدة رفضاً باتاً، وحمل شعار «الاستقلال الكامل الناجز» ، ووقف ينتقد وزارة جعفر العسكري التي اخذت على عاتقها

«مسؤولية» اجراء انتخابات لاول مجلس «تأسيسي» في العراق ليضع دستور المملكة وينظر في تصديق المعاهدة بين حكومة العراق وحكومة بريطانيا العظمى.

ونشرت الوزارة العسكرية بنود المعاهدة في الصحف، فهاج الشعب العراقي واضطرب لأنه وجد في هذه البنود احجافاً كبيراً في حقوق العراق وانتقاصاً كبيراً في سيادته واستقلاله وانبرى ياسين الهاشمي زعيم المعارضين ينتقد ويوضح ويكشف مواطن الخطر والضعف في هذه المعاهدة من الوجهة السياسية والاقتصادية والعسكرية. وكانت آراؤه العلمية الناضجة ونقده السليم واسلوبه الساخر يثير السخط في نفوس الشعب ويؤجج غضب الجماهير على المعاهدة، والوزارة والانكليز والملك.

***

اعلنت حكومة العسكري اجراء انتخابات المجلس التأسيسي سنة ١٩٢٤(٣). فرشح ياسين الهاشمي نفسه على مبادئ اذاعها في بيان انتخابه. وهي ١- العمل على رفض مشروع المعاهدة المقدمة للمجلس. ٢- بذل الجهود لتحقيق استقلال العراق واكمال سيادته. ٣- وضع دستور يصون حقوق وحريات الشعب ويضمن حكماً ديمقراطياً سليماً يقوم على انتخابات حرّة. وكان لهذا البيان وقع حسن في نفوس الناخبين فأقبلوا افواجاً وجماعات تنتخب الهاشمي على الرغم من كفاح الانكليز ومعارضتهم لانتخابه. واحرز اكثرية اصوات الناخبين، واصبح عضواً في المجلس التأسيسي فتشائم الانكليز وانقبض صدر الملك من نجاحه.

افتتح المجلس وقدمت الحكومة لائحة «القانون الاساسي» لاعضائه، وبدأت مناقشة الاعضاء لبنود القانون ومواده في جلسات علنية، فأظهر ياسين الهاشمي كفاءة عالية في نقدها وتجريحها، وكان يجري بين المواد المعروضة وبين مثيلاتها في دساتير الامم المستقلة مقارنات دلت على تضلعه في القانون الدستوري واطلاعه الواسع على النظم النيابية البرلمانية.. وكان يصرّ اثناء المناقشات على تقييد صلاحيات الملك الدستورية، وعلى مسائلة السلطة التنفيذية امام البرلمان، وعلى محاكمة الوزراء اذا اخلوا بأحكام الدستور، وتجاوزوا على حقوق الشعب وحرياته الديمقراطية ، ومسائلتهم جنائياً عن جرائم الرشوة واستغلال النفوذ.

وهكذا كان موقف الهاشمي من المعاهدة البريطانية ايضاً عند عرضها على

---

(٣) راجع محاضر المجلس التأسيسي لسنة ١٩٢٤.

المجلس التأسيسي فقد انبرى يؤكد للمجلس انها معاهدة قيدت العراق بقيود استعمارية مرهقة سلبته مقومات استقلاله الداخلي وسيادته الخارجية كما وضعت ثرواته الهائلة بيد الانكليز يستثمرونها طبقاً لمصالحهم واهدافهم العسكرية والاقتصادية، كما وإنها معاهدة عقدت بين جانبين غير متكافئين: طرف ضعيف وهو العراق، وطرف قوي يستند على الطائرات والمدافع والدبابات وهم الانكليز... ومن البديهي إن يخبئ الصفقة الخاسرة ويكون العراق هو الخاسر المغبون:. وكان الهاشمي يبرهن على اقواله بالارقام والاحصائيات.. ولكن بلاغته وحجته القوية ضاعت بين اكثرية الاعضاء الذين جاؤوا بأمر الانكليز فصدّق اكثر الحاضرين على بنودها بأغلبية ضئيلة ورفضها عدد من الاحرار.

رئاسة الوزراء

في شهر آب من سنة ١٩٢٤ء تأزم الموقف السياسي في العراق تأزماً خطيراً، واصبحت مصلحة العراق الكبرى ،ومستقبله السياسي في كفة القدر، فالأتراك استناداً على معاهدة «لوزان» يعتبرون ولاية الموصل « كركوك . اربيل . الموصل» جزءاً من بلادهم لانهم انسحبوا منها اثناء الهدنة «ولم يسلموها حرباً» ، فهي خاضعة لنفوذهم كما يزعمون وحاولوا اعادة هذه الولاية الى الوطن «الام» بقوة السلاح. وتعرضت قواتهم المسلحة للمواطنين في شمال الموصل مراراً عديدة. واخذوا يهددون باحتلال الموصل وحشدوا بعض قطعاتهم العسكرية لهذا الغرض.

واستغل الشيخ محمود الكردي ضعف الحكومة في بغداد وانشغالها في مشكلة الموصل مع تركيا فاعلن الثورة في لواء السليمانية ، وطالب بالانفصال عن حكومة العراق وتشكيل دولة كردية في شماله.

امام هذه الاخطار والعواصف اضطر الملك فيصل ومعه الانكليز ان يسندوا رئاسة الوزارة الى رجل حازم قدير يتحمل الاعباء والمسؤولية في هذا اليوم العصيب فلم يجدوا غير ياسين الهاشمي مؤهلاً ولائقاً لهذا المنصب فعهد اليه الملك فيصل بتشكيل الوزارة في ٢ آب سنة ١٩٢٤.

لاقت الثورة الكردية بزعامة الشيخ محمود تأييداً من الاكراد المثقفين ومن فريق كبير من الاقطاعيين الذين يخضعون لنفوذ الشيخ ومكانته الدينية ، كما ان قسماً من ضباط الاستخبارات البريطانية اظهر تجاوباً وعطفاً عليها. وكادت الثورة ان تقوض

كيان الدولة العراقية الفتية، وتهدد وحدتها الوطنية، ولكن دهاء ياسين الهاشمي وصبره في الملمات وخبرته السياسية والعسكرية مكنته من تجريد حملة عسكرية صغيرة التحمت مع الشيخ في مواقع كثيرة ، وبدأ القتال عنيفاً بين الطرفين، واستطاع ياسين ان يقنع اقوى رؤساء الاكراد بخطل سياستهم فانفضوا من حول الثائر وخذلوه في موقفه وانحازوا الى جيش الحكومة العراقية فانهارت مقاومة الشيخ محمود واعلن استسلامه. وخرج العراق من محنته سالماً مظفراً وازدادت الوحدة الوطنية قوة وتماسكاً.

مشكلة الموصل

كانت هذه المشكلة اضخم حجماً واشد خطورة من مشكلة الشيخ محمود وثورته فالدولة التركية بزعامة محررها ورئيس جمهوريتها مصطفى كمال ، قد برزت الى العالم بنظام جديد وعقلية جديدة اثر انتصارات عسكرية حققها زعيمها على الحلفاء بعد انتهاء الحرب العظمى مباشرة. وارادت الحكومة التركية ان تتوج هذه الانتصارات بضم «ولاية الموصل» الى الوطن التركي عن طريق المفاوضات السياسية حيناً واستعمال السلاح احياناً أخر.. وبعد نزاع طويل بين الحكومتين العراقية والتركية قررت «عصبة الامم» النظر في هذه المشكلة. وألفت لجنة دولية لاجراء تحقيق شامل في هذا الموضوع، واجراء «استفتاء عام» في المنطقة للتعرف على آراء ورغبات السكان فيها».
ووصلت اللجنة يوم ١٦ كانون الثاني إلى بغداد ، وقامت بجولات عديدة في الموصل واقضيتها واربيل وملحقاتها ، وتحرت الحقائق ووقفت على جميع آراء المواطنين وكونت لها رأياً واضحاً عن اصل المشكلة وتفرعاتها.

كان ياسين الهاشمي قد اخذ للأمر اهبته قبل مجيئ «اللجنة». وشمر عن ساعد الجد وانطلق بكل قوته يهيئ ويحضر وينظم الرأي العام والوثائق والمستندات والمظاهرات ليواجه «لجنة التحقيق» بحقائق رائعة تثبت «عروبة الموصل» وعراقية الولاية .

فلما احتكت اللجنة بالاهالي ، وشاهدت مئات المظاهرات تسير وهي تهتف «بعروبة الولاية».. ورأت آلاف الطلاب يصرخون ويطلبون انضمامهم الى العراق ولمست آراء الهيئات والمنظمات والاحزاب وكلها تدعو وتنادي الى اعتبار الموصل جزءاً من العراق ، ولما استطلعت اللجنة مشاعر الرؤساء والشباب المثقف والمهنيين واعضاء

«جمعية الدفاع عن الموصل» وكذلك اتصلت اللجنة في هيئات ورجالات اربيل. ووجدت السخط العارم على موقف الاتراك واطماعهم في الولاية «اقتنعت ان سكان الولاية قد رغبوا برضاءهم في البقاء والعيش ضمن دولة العراق» واعربوا بكامل حريتهم عن التحامهم وتبعيتهم لحكومة العراق .

وقد نظمت اللجنة تقريرها في هذا الموضوع ورفعته الى عصبة الامم لتقرر مصير الولاية بأسرع وقت تلافياً لأزمات عسكرية وسياسية محتملة.

عينت عصبة الامم يوم ١٦ تموز سنة ١٩٢٥ موعداً لصدار القرار ، وطلبت من الفريقين المتنازعين «العراق وتركية» تقديم اقوالهم ومستنداتهم وبياناتهم لدراستها قبل اصدار القرار ، فتهيأت حكومة العراق لهذا اليوم. وأمر ياسين الهاشمي رئيس الوزراء بتشكيل وفد رسمي يضم «ابرز الكفاءات الدبلوماسية والقانونية» وزودهم بكافة المستندات والحجج التي تثبت حق العراق بالموصل وبالولاية عموماً. وسافر الوفد وحضر المناقشات ، واظهر مقدرة فائقة في الاجتماعات العامة لعصبة الامم وفي لجانها الفرعية.(٤)

واخيراً صدر قرار «عصبة الامم» باعتبار «ولاية الموصل» جزءاً من العراق المحبوب. فتنفس العراقيون الصعداء ، واعلنوا ابتهاجهم بهذا اليوم السعيد، ورأى الهاشمي ان واجبات وزارته قد انتهت بهذا القدر، فقدم استقالته للملك..

حزب الشعب ومعاهدة سنة ١٩٢٦

كان الشعور الوطني في العراق يزداد لهيباً واشتعالاً كلما ازدادت الثقافة من جهة،وامعن الانكليز في استغلال العراق والتلاعب في مقدراته من جهة اخرى. وقد أجمع الرأي العام ان معاهدة سنة ١٩٢٤م كانت من صالح الانكليز، فاخذ الزعماء والاحرار والمثقفون يطالبون بالغائها وعقد اتفاق جديد يضمن حرية العراق واستقلاله. وكان الهاشمي،في مقدمة الصفوف يحمل شعار «الاستقلال الكامل الناجز» فاضطر الانكليز امام هياج الشعب وغليانه ، ان يقدموا مشروع معاهدة جديدة هي معاهدة سنة ١٩٢٦. وبدؤا يهيئون الجو المناسب لقبولها. فلما عزم الجانب المفاوض على ابرامها ، شكّل ياسين الهاشمي «حزب الشعب» لمعارضة المعاهدة ولغرض الحصول على حقوق

---

(٤) راجع مشكلة الموصل للدكتور «فاضل حسين».

وامتيازات جديدة اثناء المفاوضات بين العراق والانكليز. واستطاع الهاشمي ان يؤلف جبهة قوية متماسكة مَن الوطنيين والمثقفين برزت امام الانكليز معلنة سخطها على بنود المعاهدة وما تضمنته من قيود واغلال وشروط تقيد استقلال العراق وسيادته وهاجم حزب الشعب بزعامة ياسين الاستعمار البريطاني في العراق. وتمكن من خلق رأي موحد وقف غاضباً يفضح ويعرّي اطماع الانكليز وعملائهم في البلاد، ويطلب مَن المسؤولين في العراق ان يحفظوا كرامة الأمة ومصالح الشعب من عبث الطامعين ومؤامرات المستعمرين ولقد استغل الجانب العراقي الحكومي هذه المعارضة البناءة في مفاوضاته مع الانكليز وحصل على حقوق وامتيازات كثيرة لم تكن موجودة في المعاهدة القديمة.

القرض العثماني ومشكلة الديون

في الوزارة العسكرية الثانية سنة ١٩٢٦م عين ياسين الهاشمي وزيراً للمالية وكان الموظفون الانكليز قد احتلوا اكثر المناصب الحكومية المهمة في دوائر الدولة بصفة مستشارين واخصائيين وكان هؤلاء يعرقلون تطور العراق وتقدمه ويعملون ضمن اختصاصاتهم على ربط الاقتصاد العراقي بالمصالح البريطانية واحتكاراتها، ويعززون النفوذ السياسي البريطاني في كل المجالات. وكانت الحكومة البريطانية تحمي هؤلاء الموظفين وتقوي سلطتهم بأساليب كثيرة. فلما تسلم الهاشمي وزارة المالية ـ وهو الخبير بشوون الاقتصاد والمال - الغى اكثر الوظائف التي كانت تحت سيطرتهم وقطع عنهم مخصصاتهم ورواتبهم.

فثارت السفارة البريطانية «دار المندوب السامي» على هذه السياسة الجديدة واعتبرت هذا الاجراء عملاً عدائياً موجهاً ضد بريطانيا ومصالحها في العراق فلم يكترث الهاشمي بموقف السفارة وغضبها. واوعز الى الجرائد والهيئات والاحزاب الوطنية ان تناصره في خطواته . وانطلقت الحناجر والاقلام تؤيد الهاشمي في اعماله وتسلق« دار الاعتماد » بألسنة حداد، فتراجعت «دار المندوب السامي» امام غضب الشعب ويقظته القومية، واستسلمت للأمر الواقع . وفي هذه السنة استحق على العراق بصفته قطراً من اقطار الدولة العثمانية «المنقرضة» مبلغ كبير من الديون التي كانت للبنوك والمؤسسات المالية الاجنبية بذمة الدولة المنقرضة. وهذه القروض كانت قد اصدر بها في حينه «اسهماً» طرحت للبيع في الاسواق بضمان الدولة العثمانية وضمان البنوك

والشركات الاجنبية.. «وبعد انهاء الحرب مباشرة وحينما بدأ الدائنون من «الاجانب» يطالبون بتسديد ما بذمة الدولة العثمانية من ديون» انخفضت اثمان هذه الاسهم بشكل كبير. فلما تولى الهاشمي وزارة المالية سنة ١٩٢٦ بدأت الشركات ومن ورائهم «الانكليز والفرنسيون» يطالبون العراق بجزء كبير من الدين العثماني الموهق، فأعتذر ياسين عن التسديد فوراً واستمهل اعطاءه فرصة مناسبة، فأجيب الى طلبه.. وفي هذه الفرصة درس الهاشمي الموقف المالي العالمي فوجد ان اثمان السندات «سندات القرض» سترتفع حتماً.. فجازف بنفسه وتحمل مسؤولية خطيرة ، واشترى عدداً كبيراً من هذه الاسهم بأثمان رخيصة جداً. وبعد ان تمت عملية الشراء ارتفعت اثمان الاسهم فجأة وزاد الطلب على شراءها، فأمر الهاشمي ببيعها وربحت خزينة العراق مبالغ طائلة. وسدد الهاشمي «ديون العراق» للاجانب والشركات من هذه المبالغ، وانقذ دولة العراق من ديون كادت ترهق ميزانيته وشعبه لزمن طويل.

وفي سنة ١٩٢٩م عين الهاشمي وزيراً للمالية في وزارة ناجي السويدي فوضع تقريراً عن موارد العراق المالية ومصروفاته ومخصصاً اقتصادياً استهدف احداث نهضة زراعية وصناعية بأقرب وقت وأقل كلفة.. وكان لهذا التقرير صدى مهماً في العالم العربي وفي الجرائد البريطانية ، فقد تناولته الصحافة البريطانية بالدرس والتمحيص واثنت على مقدره واضعه، وهنأت حكومة العراق بكفاءة وزير كياسين الهاشمي. كما ان طلعت حرب باشا مؤسس النهضة الصناعية في مصر طلب هذا التقرير واستنار من اكثر جوانبه عندما بنى الصناعة المصرية الحديثة.

وفي نفس السنة قدم ياسين الهاشمي الى مجلس الوزراء «مشروعاً عسكريا» تناول «احداث جيش عصري قوي مزود باحدث الاسلحة، قادر على حماية كيان العراق وامنه» واقتراح تطبيق «التجنيد الالزامي» لأنه الضمان الأول لوجود هذا الجيش وسلامته. ولكن «الانكليز» ، وهم المسؤولون قانوناً عن ادارة العراق امام عصبة الامم وفق صك الانتداب ، احتجوا على تنفيذ هذا المشروع لأن الحكومة البريطانية هي المسؤولة عن حماية العراق وفق معاهداتها القائمة، ولا حاجة للعراق إلى جيش كبير وخدمة الزامية. واوعزت «دار المندوب السامي البريطاني» إلى عملائها من بعض نواب الشمال والجنوب، فعارضوا المشروع وهاجموه عندما تقدمت به الوزارة إلى المجلس النيابي .. فاضطرت الوزارة إلى سحبه، وتأجيل تطبيقه إلى فرصة أخرى.

حزب الاخاء الوطني ومعاهدة ٣٠ حزيران

الحركة القومية في العراق قوية لا تهدأ، ونشيطة لا تستقر ولا تخمد. انها حركة ثورية لا ترضى بغير الاستقلال الكامل الناجز ولا تقبل الا حكماً ديموقراطياً برلمانياً يمثل رغبات الشعب ويحقق طموحه تحقيقاً كاملاً.

ولما ابرمت معاهدة سنة ١٩٢٦ قال عنها الشعب انها «معاهدة الذل والعبودية» واستمر في دروب النضال الوطني يكافح بصبر وعناد الاستعمار الانكليزي وعملائه واعوانه في البلاد. ولما ادرك الانكليز ان الشعب العراقي مصمم على ان ينال حقوقه وانه مقبل على ثورة كاسحة تهدد وجودهم وحكمهم بأوخم العواقب، بدؤا يتراجعون خطوات الى الوراء، فخففوا كثيراً من تدخلهم في شؤون الحكم وادارة البلاد ووعدوا بعقد معاهدة جديدة تضمن للعراق الاستقلال، وتؤهله للدخول في عصبة الامم والتعامل مع الدول الاعضاء معاملة الند للند، والحليف للحليف. وعزم الهاشمي جرياً على سياسته التقليدية ان ينظم «المعارضة السياسية» ويعبر عن رغبات الشعب العراقي في الحرية والاستقلال فألف سنة ١٩٣٠م «حزب الاخاء الوطني» من عناصر وطنية مشهورة بخدماتها ومواقفها أمثال «السادة رشيد عالي الكيلاني، وحكمة سليمان، ومحمد زكي المحامي، ورضا الشبيبي، والسيد عبدالمهدي وعلوان الياسري والحاج عبدالواحد سكر، ومحسن ابوطبيخ، وضياء يونس وجمال المفتي» وغيرهم من الشباب القومي المتحمس لخدمة وطنه وقومه...

واصدر الحزب جريدة «الاخاء الوطني».. تنطق باسمه وتعبر عن آرائه.. وتزعم الهاشمي المعارضة السياسية وحمل شعار «الاستقلال يؤخذ ولا يعطى».. وطلب من الشعب العراقي ان يستعد للتضحية والجهاد. فالانكليز قوم لا يفقهون غير لغة السلاح والقتال. وطالب حزب الاخاء الوطني تنظيم علاقات العراق مع الانكليز بروح جديدة واسس جديدة.

وكتب ياسين بتوقيعه مقالات عنيفة شديدة، هدد الانكليز بإعلان الثورة إن هم استمروا يحملون روح الاستعمار ويفكرون بعقلية الفاتحين فلقد ذهب عهد الاحتلال، واضمحل منطق القوة والامر الواقع، وبدأت الشعوب تستيقظ من رقادها وتستقبل

عهود الحرية والسلام.[٥]

وعقد حزب الاخاء الوطني اجتماعات مستمرة في مركزه ببغداد وفي فروعه «البصرة والموصل والنجف الاشرف» ونظم المظاهرات وقدم الاحتجاجات . وشاركه في موقفه «الحزب الوطني» برئاسة زعيمه جعفر ابوالتمن. واجمع العراقيون على ان المعاهدة التي بدأت حكومة العراق تستعد لعقدها يجب ان تكون «من مصلحة العراق» ، وإن نظام الانتداب يجب ان يزول من العراق.[٦]

لقد استمدت حكومة العراق اثناء مفاوضاتها لعقد معاهدة حزيران سنة ١٩٣٠ القوة والجرأة من الجو الوطني الرائع التي خلفته المعارضة السياسية، واستطاعت بواسطتها ان تحصل على حقوق وامتيازات مهمة للبلاد. ولقد شعر المفاوض العراقي ان الانكليز كانوا يتراجعون من اكثر مواقفهم ويتنازلون عن قسم جوهري من امتيازاتهم كلما وجدوا المعارضة تشتد وتقوى والشعور الوطني يغلي ويهدد بالثورة والانفجار...
وقد تم ابرام المعاهدة بالحروف الاولى بين الجانب العراقي والانكليزي ، وكان من بنودها: اعتراف الانكليز باستقلال العراق ، وقبول العراق عضواً بعصبة الامم، والغاء دار «المندوب السامي» .. وتعيين «سفير» بدل المندوب السامي يمثل الحكومة الانكليزية في العراق.

وهكذا الغي نظام الانتداب الذي فرض على العراق ، واصبح العراق بنظر الدول والقانون الدولي «دولة مستقلة ذات سيادة كاملة» ـ من الوجهة النظرية على الاقل۔ لقد ارادت الحكومة القائمة ان تستفتي الشعب العراقي في احكام المعاهدة فأمرت

---

(٥) راجع اعداد جريدة الاخاء الوطني لسنة ١٩٣٠-١٩٣١.

- ياسين الهاشمي «رسالة ماجستير» تأليف سامي حافظ القيسي.

(٦) اراد الحلفاء المنتصرون ان يوفقوا بين الاستعمار وبين «حق تقرير المصير» فابتدعوا هذا النظام وخلاصته «ان الشعوب المتأخرة يجب ان تمنح حق تقرير مصيرها. وادارة نفسها بنفسها ، ولكنها في حالتها الحاضرة متأخرة فيجب ان توضع لمدة من الزمن تحت انتداب دولة راقية تقوم برعايتها وارشادها الى ان تبلغ مرتبة النضوج الاجتماعي والسياسي الضروري للاستقلال»..

وحينذاك تقرر عصبة الأمم حق الدولة الواقعة تحت الانتداب بالتمتع باستقلالها والدخول عضواً في العصبة كدولة مستقلة كاملة السيادة والاستقلال».

وقد وضع العراق والاردن وفلسطين تحت الانتداب الانكليزي. ووضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي...

باجراء انتخابات جديدة لمجلس جديد يناقش بنودها ويقرر مصيرها بالرفض او القبول.. ولما كان الاخائيون والوطنيون الاحرار غير راضين عن هذه المعاهدة فهي بنظرهم «لا تمثل اماني الشعب ولا تحقق رغباته» فقد رشحوا انفسهم للمجلس النيابي الجديد.. وبعد ان خاضوا معركة حامية مع الحكومة واعوان الانكليز، نجح منهم «السادة ياسين الهاشمي، ورشيد عالي الكيلاني، وناجي السويدي، وعلي جودة الايوبي»، وشكلوا في المجلس النيابي «جبهة المعارضة».. واثناء عرض المعاهدة على المجلس انتقد هؤلاء بنودها نقداً علمياً وقانونياً وعسكرياً، واظهروا بطلانها لأنها عقدت بين طرفين غير متكافئين، وانها تضمنت غبناً فاحشاً تحمله الطرف العراقي.. وهي في النهاية معاهدة جائرة «ظاهرها الاستقلال، وباطنها الاستعمار والاستغلال»، وطلبوا من المجلس النيابي رفضها واعتبروا تصديقها «خيانة وطنية كبرى».

ولكن الاكثرية وافقوا عليها يوم ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩٣٠م فقدم المعارضون وهم «ياسين الهاشمي وعلي جودة الايوبي ورشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي» استقالتهم من المجلس احتجاجاً على قبوله.(٧)

الخبير الاقتصادي الانكليزي هلتن يارنك في العراق

استقدمت وزارة نوري السعيد سنة ١٩٣١م المستر «هلتن يارنك» ابرز الخبراء الاقتصاديين في انكلترا ليدرس احوال العراق المالية والاقتصادية ويضع تقريراً يتضمن الاسس التالية:

١- رسم الخطط والمناهج لبناء نهضة زراعية وزراعية حديثة.

٢- دراسة مشاكل العملة الجديدة. ووضع سياسة نقدية سليمة تسير عليها الحكومات العراقية.

وبعد جهود مضنية ودراسات واسعة استندت على اوثق المصادر والاحصائيات

---

(٧) «النواب الذين رفضوا تصديق المعاهدة»

١-ياسين الهاشمي. ٢-رشيد عالي الكيلاني. ٣-ناجي السويدي. ٤-علي جودة الايوبي. ٥-صادق البصام. ٦-ابراهيم عطا باشي. ٧-بهجة زينل. ٨-معروف الرصافي. ٩-عبود الملاك. ١٠-عثمان العلوان. ١١-محمد صدقي سليمان. ١٢-غياث النقشبندي. ١٣-عبدالكريم الديوان.

رفع الخبير تقريره الى الحكومة، فتقبلته بحماس لانها كانت عازمة على نقل العراق الى حياة جديدة تناسب قدراته المالية وتطوره السريع، وسمحت الحكومة بنشر هذا التقرير في الصحف والمجلات الاقتصادية. كما رجت الحكومة من السيد ياسين الهاشمي بصفته احد وزراء المالية السابقين ان يبدي آراءه في هذا التقرير فاستجاب الرجل لهذا الرجاء. وبدأ ينشر ملاحظاته القيمة حول التقرير وتناول الاخطاء الاقتصادية والمالية التي وقع بها الخبير عمداً او سهواً وفنّد اكثر اقتراحاته على ضوء المشاهدات والتجارب والاحصائيات. واتهم واضع التقرير بأنه يريد ان يربط الاقتصاد العراقي بالاحتكارات البريطانية، ويجعل العراق سوقاً مفتوحة ومضمونة للصناعة والتجارة البريطانية ومجالاً حيوياً لنفوذ الرأسماليين البريطانيين واستثمار اموالهم.. ودلل على صحة اقواله بأحدث النظريات الاقتصادية ولقد ولدت افكار الهاشمي دوياً هائلاً في الصحافة العراقية والانكليزية. ونقلت الصحف البريطانية بدورها تلك الآراء، وانتقدت الخبير البريطاني لأنه تسرع في نشر تقريره، كما اثنت على عقلية الهاشمي ونبوغه الاقتصادي.

***

وزارة الكيلاني الاولى

استقبل العراق بعد ان قبل عضواً في عصبة الامم يوم ٣ تشرين الأول سنة ١٩٣٢ عهداً جديداً. ورغب الملك فيصل الاول ان يشكل وزارة تضم اكفأ العناصر واقدرها على خدمة العراق، كما رغب في الوقت نفسه ان يضعف حزب الاخاء الوطني ويفتت وحدته عن طريق اغراء الاعضاء بالمناصب والوزارات. وعرض على ياسين الهاشمي رئيس الحزب ان يشترك في وزارة إئتلافية يكون رئيسها رشيد عالي الكيلاني «الرجل الثاني في الحزب»، ويكون ياسين الهاشمي وزيراً «للمالية» فيها.[٧أ] وكان فيصل يستهدف من هذه العملية عدم موافقة ياسين على هذا الامر لأن العرف الدستوري يفرض ان يكون رئيس الحزب هو رئيس الوزارة وبذلك يقع الخلاف وتحصل النفرة بين رشيد عالي «المرشح للرئاسة» وبين الهاشمي فيتصدّع الحزب وينهار من

(٧أ) ان الوزارة التي تلت دخول العراق عصبة الامم هي وزارة السيد ناجي شوكت ، واعقبتها في ٢٠ آذار ١٩٣٣ وزارة السيد رشيد عالي الكيلاني (المراجع).

اساسه. ولكن الهاشمي فوّت على الملك فيصل هذه اللعبة واحبط هدفه حيث قبل الاشتراك كوزير للمالية. فتشكلت الوزارة الكيلانية برئاسة رشيد عالي الكيلاني. واسندت وزارة الداخلية الى السيد حكمت سليمان ووزارة المعارف الى السيد عبدالمهدي. وهم من حزب الاخاء الوطني ، ووزارة العدل الى السيد محمد زكي المحامي.

***

بدأت الوزارة حكمها في جو مضطرب. فالانكليز يحرضون عليها الاقليات الدينية والعنصرية ، ويشعرون هذه الاقليات بأن استقلال العراق برئاسة حكومة وطنية كحكومة الكيلاني سيعرض حقوقهم وحرياتهم الى اخطاء كثيرة. فبدأت بعض هذه الاقليات بالتذمر والتشكي، وكان اكثرها إقداماً على التذمر والتحدي ومحاولة العصيان ضدهم «طائفة الآثوريين»[8] ، فلقد طلب رئيسهم «المارشمعون» «منح هذه الطائفة استقلالاً ذاتياً في شمال العراق من الاراضي التي تشمل اقضية العمادية وزاخو ودهوك من لواء الموصل. ورفعوا الى عصبة الامم عرائض كثيرة وبرقيات مطولة يؤكدون مطاليبهم، ويلتمسون وضعهم تحت «اشراف حكومة بريطانيا» فرفضت عصبة الامم هذا الطلب، واعتبرت مشكلتهم مشكلة داخلية يقع حلها ضمن «اختصاص الدولة العراقية وسيادتها»، فلم يقتنع «المارشمعون» ومعه بعض الانصار بهذا القرار.. وشجعتهم الدوائر الاستعمارية البريطانية وضباط الاستخبارات البريطانيين على التصلب في موقفهم والاصرار على طلب الانفصال عن جسم الدولة

---

(٨) طائفة من النساطرة كانوا يسكنون مقاطعة وان وجبال حكاري في الجهة الشرقية من بلاد تركيا. وكانوا من رعايا الحكومة التركية. ولما نشبت الحرب العالمية الاولى استطاع الانكليز والروس والفرنسيون ان يخلقوا روح التمرد بهذه الطائفة وامدوها بالمال والسلاح. فثارت على الاتراك وهم مشغولون في حربهم سنة ١٩١٨م فاخمدت الحكومة التركية هذه الثورة بقسوة وشردت هذه الطائفة، فالتجئوا الى ايران. وفي سنة ١٩٢٠ عندما احتل الانكليز العراق سمحوا لهؤلاء بدخول البلاد وعسكروا في مدينة بعقوبة) ثم قبلوا الانخراط في جيش «الليفي» الانكليزي وعملوا في خدمة الاستعمار الانكليزي بكل حماس واخلاص. وفي سنة ١٩٢٤ هاجموا السكان الآمنين في مدينة كركوك وذبحوا الاطفال والرجال والنساء. وفي الموصل في سنة ١٩٢٥ ، سنة ١٩٢٧. اشتبكوا مع الاهالي واعتدوا على السكان بوحشية وضراوة. وفي حزيران سنة ١٩٣٣ اعلنوا ثورتهم ضد الحكومة العراقية.

العراقية. فشجعوا وتجمعوا في السهل الممتد بين دهوك وزاخو. واعلنوا العصيان المسلح وانطلقوا يهاجمون القرى الآمنة ويطلقون النار على وحدات الجيش العراقي المرابط في تلك المنطقة. وطردوا الموظفين الرسميين في قضاء زاخو وقطعوا طرق المواصلات بين الموصل ودهوك وزاخو.. واخيراً اعلنوا عدم الطاعة لقوانين الدولة والاستمرار بالتمرد والثورة الى ان يتحقق استقلالهم تحت حماية بريطانيا.

وجدت الوزارة الكيلانية نفسها امام مشكلة كبيرة حساسة. خاصة وان العراق قد انضم الى مجموعة الدول المستقلة حديثاً. وقد التزم امام عصبة الامم بالمحافظة «على حقوق الاقليات» فحاولت ان تسترضي «الفئة الآثورية المتمردة» وبذلت لها النصائح والارشادات. وارسلت اليها العقلاء من الآثوريين «الموالين للحكومة» ووعدتهم بتحسين احوالها وتوزيع الاراضي الاميرية عليهم ليزاولوا الزراعة والتجارة في ظل القانون والمساواة مع بقية المواطنين، فرفضوا كل هذه النصائح والوعود واستمروا بالتمرد والثورة. واخيراً اضطرت الحكومة ان توجه اليهم «انذاراً» مدته سبعة ايام ومضمونه ان «يرجع المتمردون إلى الطاعة والنظام ويخلدوا الى السكينة.» وإلا فانها ستتخذ بحقهم «الاجراءات القانونية الرادعة» وتعاملهم معاملة «العصاة المتمردين».

ولما انتهت مدة الانذار، واستمر «الآثوريون» يهاجمون الجيش ليلاً ونهاراً ويعيثون في الارض فساداً وقتلاً وتخريباً، اعلنت الحكومة الاحكام العرفية في منطقة الثورة. وجردت حملة عسكرية بقيادة «اللواء الركن بكر صدقي العسكري» لتأديبهم، واناطت في الجيش مهمة حفظ الأمن والقضاء على الثورة المسلحة في المنطقة المذكورة. واصطدم الجيش بالمتمردين وخاض الطرفان معارك ضارية ذهب ضحيتها مئات من الجنود والضباط. واخيراً استطاع الجيش ان يقضي على مقاومة المتمردين، فأستسلم قسم منهم الى قوات الجيش. وفرّ الباقون الى سوريا بعد ان عبروا «نهر دجلة في شمال زاخو».. وقبلتهم حكومة «الانتداب الفرنسي» كلاجئين سياسيين، واقطعتهم مناطق للسكن متاخمة لحدود العراق. وبدأ الاستعمار الفرنسي يستغل هؤلاء لخدمة اغراضه الاستعمارية كما استغلهم الانكليز في العراق وكثيراً ما دفع عصابات من هؤلاء تهاجم الحدود العراقية وتعبث بأمن العراق وسلامة اراضيه».

***

اعجب الشعب العراقي بموقف حكومته المشرف، وحيّا جيشه الباسل اجمل تحية،

واستقبل قطعاته المنتصرة بحفاوة عظيمة وحماس رائع في الموصل وفي بغداد. وسارت المظاهرات تهتف «بحياة الجيش» «وحياة الوزارة» وسقوط «الاستعمار البريطاني الظالم»..«وسقوط الجواسيس والعملاء» وكان فشل التمرد نصراً كبيراً «لياسين الهاشمي وحزب الاخاء الوطني» واندحاراً كبيراً للنفوذ البريطاني والسياسة البريطانية في العراق واستغل ياسين هذا الانتصار فأقصى عدداً من الموظفين الانكليز من بعض المناصب الحساسة، وحدد اعضاء البقية البريطانية المشرفة على تدريب الجيش العراقي. وقلص من نفوذها وجعل وظيفتها «الاستشارية» لا تتعدى الامور الفنية.

موت الملك فيصل الاول

غضب الانكليز على وزارة الكيلاني ، واعتبروا موقفها من الآثوريين تحد لنفوذ بريطانيا في العراق لأن هذه الفئة ركيزة من ركائز الاستعمار البريطاني وحليفا من اقوى حلفائه فأوعزوا إلى «مارشمعون» ان يقدم بشكوى ضد العراق «إلى عصبة الامم».

وتعاون الاستعمار الفرنسي والانكليزي على الانتقاص من كرامة العراق. وانطلقت الافواه المتعصبة والعقول المتحجرة تتهم العراق بالوحشية والتخلف. وتشن في نطاق عصبة الامم حملة شعواء تطلب فيها اقصاء العراق من عضوية العصبة لأنها لم تمنح «الطائفة» الآثورية استقلالاً ذاتياً. وتطالب عصبة الامم بوضع العراق مجدداً تحت الوصاية الدولية والانتداب الانكليزي ، لأن العراق غير مؤهل للاستقلال الناجز، ولا يستطيع ان يمارس حقوق السيادة الوطنية .

وقفت حكومة الكيلاني امام المؤامرات الاستعمارية كالجبل الشامخ وارسلت وفداً إلى «عصبة الامم» برئاسة السيد ياسين الهاشمي وزير المالية ، ليدافع عن حقوق العراق واستقلاله ويفضح نوايا «الطائفة المتمردة» وعلاقاتها مع الاستعماريين الانكليزي والفرنسي، ويفند حجج الداعين إلى تمزيق العراق واضعاف كيانه. وقد نجح ياسين الهاشمي في مهمته نجاحاً باهراً. واستطاع بدهائه السياسي ومناوراته البارعة ان يحمل عصبة الامم على «رد شكوى» المارشمعون وحلفائه. واعتبرت العصبة مشكلة الآثوريين مشكلة عراقية داخلية وأن من حق دولة العراق ان تحلها وفق ارادتها ومصلحتها الوطنية ولا يحق لأية دولة ان تتدخل في شؤون العراق الداخلية .

ورجع الهاشمي إلى بلاده مكللاً بالنصر والفخار .

***

لم يسكت الانكليز على ما اصابهم من خيبة وفشل على يد الوزارة الكيلانية وبدؤا يتآمرون على اسقاطها، ولكن الملك فيصل الاول وقف يسندها ويشد من ازرها لأن الشعب العراقي بأجمعه كان يؤيد الوزارة الاخائية. وصمدت الوزارة وسارت في طريقها غير مهتمة بمكائد الاستعمار ، وسافر الملك فيصل إلى «مدينة برن» في سويسرا للراحة والاستجمام. وهناك توفي فجأة في ظروف غامضة. وكانت كل الظروف والقرائن والملابسات تشير الى اتهام «الانكليز» بقتله، وهكذا فقد العراق بموته شخصية عظيمة قدمت إلى العراق أجل الخدمات واعظم التضحيات.

الوزارة الكيلانية الثانية

تسنم الملك غازي عرش العراق، فقدمت الوزارة الكيلانية استقالتها وفقاً للعرف والتقاليد الدستورية، وذلك يوم ٩ ايلول سنة ١٩٣٣. فعهد الملك الى رشيد عالي الكيلاني بتشكيلها ثانية بكافة اعضاءها السابقين، وقد شغل الهاشمي «وزارة المالية» ايضاً.

كان الملك غازي شاباً وطنياً متحمساً قليل التجربة، ضيق الافق غير مطلع على خفايا السياسة البريطانية ودهاء الساسة الانكليز، كما كان والده الملك فيصل. فبدأ الانكليز يوغرون صدره على الهاشمي واخوانه الاخائيين، ويحببون اليه اقصاءهم عن الحكم ويسندون اليهم مختلف التهم والاقاويل، واهمها «ان الهاشمي رجل طموح» وان وجوده في السلطة يهدد العرش الملكي .

فلما قدمت الوزارة الكيلانية اقتراحها إلى الملك طالبة حل المجلس النيابي القائم» واجراء انتخابات جديدة. شعر الملك بأن خطراً كبيراً سيحل به فرفض هذا الطلب ، واظهر رغبته لرئيس الوزارة للتنحي عن الحكم، فقدم رشيد عالي استقالة وزارته.

وزارة السيد جميل المدفعي الاولى

استقال السيد رشيد عالي فوجه الملك الكتاب التالي إلى المدفعي

«وزيري الأفخم جميل المدفعي : بناءاً على استقالة فخامة رشيد عالي الكيلاني

من منصب رئاسة الوزراء ونظراً إلى اعتمادنا على درايتكم واخلاصكم . فقد عهدنا اليكم برئاسة الوزارة الجديدة على ان تنتخبوا زملاءكم وتعرضوا اسماءهم علينا والله ولي التوفيق.

صدر عن قصرنا الملكي في اليوم العشرين من شهر رجب سنة ١٣٥٢هـ . الموافق لليوم التاسع من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٣م.

وقد صدع السيد جميل المدفعي بالأمر . فتشكلت وزارته من

١- جميل المدفعي رئيساً.

٢- ناجي شوكت وزيراً للداخلية.

٣- نصرت الفارسي وزيراً للمالية.

٤- جمال بابان وزيراً للعدلية.

٥- رستم حيدر وزيراً للاقتصاد والمواصلات.

٦- نوري السعيد وزيراً للخارجية ووكيلاً لوزارة الدفاع.

٧- صالح جبر وزيراً للمعارف .

وبعد فترة قصيرة حصل تصدع كبير في صفوف الوزارة عندما عرض مشروع «الغراف» على الشركات الاجنبية. فقد اعترض الوزيران نصرت الفارسي وناجي شوكت على تنفيذ المشروع وطلبا تأجيله لفرصة اخرى وأصر رستم حيدر وصالح جبر على التنفيذ لأهمية المشروع وعلاقته بتوطين العشائر وانعاش الزراعة في منطقة الكوت. ولما تعذر التوفيق بين الطرفين قدم المدفعي استقالته يوم ١٢ شباط سنة ١٩٣٤، فقبلها الملك غازي .

الوزارة المدفعية الثانية

وامر الملك جميل المدفعي بتشكيل الوزارة ايضاً، فأمتثل للطلب وتشكلت وزارته الثانية يوم ٢١ شباط سنة ١٩٣٤، واخذت على عاتقها حكم البلاد. ولكن ضعف الرئيس وعدم درايته بمشكلات العراق الرئيسية وتخاذله امام الانكليز ساعد على انتشار الفساد في الجهاز الاداري، وتفشي الرشوة بين الموظفين. كما ان تعيين كبار الموظفين على اساس الطائفية والمحسوبية خلق في البلاد تذمراً عارماً وسخطاً شاملاً، والتمعت في الافق السياسي بوادر غضب شعبي شديد ينذر بأوخم العواقب، مما دفع الاحزاب السياسية وفي مقدمتها «حزب الاخاء الوطني» بزعامة ياسين الهاشمي ان

تنتقد الوضع القائم وتوجه اليه ابشع الاتهامات،وكتبت جريدة الاخاء الوطني «لسان الحزب» بتاريخ ٣٠ آب سنة ١٩٣٤ تقول « ان الحكومة اتبعت في تعيين الموظفين الاداريين وترفيعهم مقاييس قامت على الاعتبارات السياسية والعواطف الشخصية والمذهبية اكثر مما استندت إلى التدقيق في مقدرة هؤلاء الموظفين وكفاءتهم لذلك اصيبت البلاد بجمهرة من الموظفين لم ينجحوا في الادارة ولم يستطيعوا ان يقدموا خدمة تذكر في اشغالهم هذه المراكز».

شعر الانكليز ان العراق يتمخض عن احداث خطيرة تهدد مصالحهم الكبرى، وانه لابد من تخدير الشعب وتضليله باجراء تبديل وزاري ينسي الشعب قضيته الكبرى. فأتصل المستر «كورنواليس» مستشار وزارة الداخلية بالملك غازي واتحفه بضرورة تبديل الوزارة لان البلاد على شفا هاوية سحيقة. فقبل الملك رأي المستشار، ودعى رئيس الوزراء الى تناول «الشاي» في قصر الزهور وشرح له المخاوف والشكاوى في وجود بعض الوزراء في وزارته، فأعتبر المدفعي هذه الامور كتلميح له بالاستقالة. فخرج من القصر الى ديوان مجلس الوزراء واطلع زملاءه على نيته. ثم قدم استقالته يوم ٢٥ آب سنة ١٩٣٤.

الوزارة الايوبية الاولى

استوزر علي جودة الايوبي لأول مرّة بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني كوزير للداخلية في الوزارة العسكرية الاولى، فلما استقالت الوزارة يوم ٢ آب سنة ١٩٢٤ عين متصرفاً للواء البصرة وكان موظفاً ادارياً ناجحاً في وظيفته. ولما شكلت الوزارة السعيدية الأولى عين وزيراً للمالية في ١١ أيلول سنة ١٩٣٠ ثم استقال منها، وانضم الى صفوف المعارضة التي تزعمها ياسين الهاشمي لمعاهدة ٣٠ حزيران سنة ١٩٣٠ وانتخب نائباً عن لواء بغداد، ورفض تصديق المعاهدة المذكورة واستقال مع اخوانه المعارضين من المجلس احتجاجاً على تصديق المعاهدة فلما ألف الكيلاني وزارته الاولى في ٢٠ آذار سنة ١٩٣٣، عيّن السيد علي جودة الأيوبي رئيساً للديوان الملكي. فقوى مركزه في البلاط بعد وفاة الملك فيصل واعتلاء الملك غازي عرش العراق. وكان يتمتع بثقة الملك وعطفه الى حد كبير، فلما استقال المدفعي من وزارته الثانية اسند الملك رئاسة الوزارة إلى رئيس ديوانه السيد علي جودة الايوبي فشكلها على النمط

التالي:

١- علي جودة رئيساً للوزراء ووكيلاً لوزارة الداخلية .

٢- يوسف غنيمة : وزيراً للمالية .

٣- جمال بابان : وزيراً للعدلية.

٤- نوري السعيد : وزيراً للخارجية .

٥- جمال المدفعي : وزيراً للدفاع

٦- أرشد العمري : وزير للاقتصاد والمواصلات.

٧- السيد عبدالحسين الجلبي وزيراً للمعارف.

وقد اسند الملك منصب رئيس الديوان إلى «رستم حيدر».

حل المجلس النيابي

عندما تقدمت وزارة الكيلاني الثانية بطلبها الى الملك بحل المجلس النيابي لم ير علي جودة وزير البلاط يومذاك مبرراً لحله ، فرفض الملك بدوره هذا الطلب ، فلما استلم علي جودة رئاسة الوزارة وجد ان الاسباب تبرر حل المجلس فقرر حله، وأمر بأجراء انتخابات نيابية جديدة في ١٥ أيلول سنة ١٩٣٤م فكان هذا العمل أول شرارة كهربت الجو السياسي واثارت العواصف في وجه الوزارة الأيوبية لأنها ارتكبت هفوات واخطاء جسيمة في طريقة الانتخابات وانتقاء المرشحين لها . ومن هذه الاخطاء :

١- ان الوزارة حاولت بكل قواها اسقاط اقطاب المعارضة السياسية في البلاد «كحزب الاخاء الوطني والحزب الوطني». وقيدت حرية الانتخاب والاجتماع والصحافة بقيود مرهقة. ولم يتخلص من عسف هذه القيود من حزب الاخاء الوطني إلا بضعة اشخاص منه فازوا على رغم الحكومة وجبروتها وهم : ياسين الهاشمي عن بغداد، وجمال المفتي عن الموصل، ومحمد رضا الشبيبي عن بغداد ، ومحمد زكي المحامي عن البصرة. واما الحزب الوطني فقد اسقط جميع مرشحيه في هذه الانتخابات.

٢- حرص الوزراء وفي مقدمتهم رئيس الوزراء علي فوز اقاربهم واصهارهم في عضوية المجلس النيابي.ففاز بها اناس مغمورون «من المحسوبين والأصهار» بينما فشل بها اقطاب الثورة العراقية الأولى الذين بنوا كيان الدولة العراقية على جماجم شهدائهم وابنائهم.

٣- لغرض السيطرة على الانتخابات في الالوية اقصت الوزارة اكفأ الموظفين الاداريين من مناصبهم. وعينت محلهم من يتمتع بثقة رئيس الوزراء او احد الوزراء. واهملت شروط النزاهة والخبرة والكفاءة في التعيينات الجديدة.

عاصفة في مجلس النواب

اجتمع المجلس النيابي ، واستمع الاعضاء الى خطاب العرش «منهج الوزارة» الذي يلقيه الملك كما جرى العرف الدستوري في الدول البرلمانية، وبعد ان انهى الملك خطابه بدأت مناقشة هذا الخطاب ، وبدأ المناقشة السيد محمد رضا الشبيبي نائب بغداد وعضو اللجنة العليا لحزب الاخاء الوطني قائلاً,, يوجد في البلاد تذمر عظيم ناشئ عن اسباب وعوامل كثيرة من جملتها هذا الاهمال وهذا التساهل في تطبيق احكام القوانين لأن هناك قانوناً آخر في البلاد مع الاسف وهو قانون المحسوبية. وتوجد ايضاً اشياء كثيرة من هذا القبيل وكنت اودّ ان ارى من خطاب العرش اشياء تدل على سير التهذيب من قبل الحكومة وملاحظتها لهذه القضية : سادتي : جرى على لساني ذكر الاشياء والتذمر من جميع طبقات الأمة وقد عرفت ان عدم احترام القانون هو الذي سبب هذا التذمر ».

وقال ياسين الهاشمي نائب بغداد ورئيس حزب الاخاء الوطني «سادتي: إن الفشل الذي حصل نتيجة هذه الانتخابات هو لأننا نؤلف الوزارات بدون ترو وبصورة مستعجلة وبقصد املاء الكراسي فقط . وانما قد جعلنا هذه الكراسي اماكن لاجراء تجارب على حساب الأمة، في حين ان هذه الكراسي جعلت للرجال الذين عُرفوا في خططهم وسلوكهم ومبادءهم، واستخرجت خلاصة اعمالهم لا أن يجعلوها محلاً للتجارب على حساب الأمة لأن في ذلك ضياعاً للوقت والمال، وما دمنا نسير على هذا الشكل من تأليف الوزارات ونجمع بين المبادئ المختلفة ونستعجل امورنا ولا نحترم مبدءاً او منهجاً فأمورنا مع الاسف الشديد تسير على هذا الاساس».

***

وقال «محمد زكي المحامي» نائب البصرة وعضو الهيئة العليا لحزب الاخاء الوطني «اسمحوا لي ان اقول ان تصرفات بعض المسؤولين اصبحت مضرة بمصلحة الدولة وهذا ما ارجو من الوزارة ان تلاحظه وان تمطي حداً لمثل هذه الامور ».

***

وقال السيد جمال المفتي نائب الموصل، وعضو الهيئة العليا لحزب الاخاء الوطني «ان حرية الانتخابات كانت معطلة. وان اعضاء حزب الاخاء اضطهدوا في مناطقهم الانتخابية. وان كثيرين من الوطنيين فشلوا في مناطقهم بتأثير المقاومة الحكومية، وهذا امر يؤسف له وخاصة في بلد يستقبل عهداً جديداً من الحرية والاستقلال»(٩)

معارضة صاخبة في مجلس الاعيان

وفي مجلس الاعيان قال السيد رشيد عالي الكيلاني مقرر اللجنة في معرض الرد على جواب خطاب العرش .ان لجنة الجواب على خطاب العرش تقدمت بهذا الجواب بعد ان رأت ان في استطاعة مجلس الاعيان المحترم ان يبدي كل ما يراه من امور مخلة بأحكام الدستور. ومخالفة لاحكام القوانين ومن امور تهتك حريات ابناء البلاد وتعبث بحقوقهم الدستورية المصرح بها في القوانين الأخرى. لا ادري لماذا يضيق صدر المسؤولين اذا تقدم مجلس الاعيان وشرح الاحوال التي يشتكي منها ابناء الشعب إذا استثنينا من يلوذون بالمسؤولين الذين يقولون لنا ان الامور سائرة في طريق الاصلاح والعدل والأمن اكثر من اي وقت آخر .. لا مع الاسف ان الامور سائرة إلى ما هو اردأ. سائرة إلى ما يتذمر منه الشعب يستاء.

إن للبلاد حرياتها المصونة في الدستور. ولها حقوقها المعلومة، ومنها الحقوق الانتخابية انا لا اعلم ونتائج الانتخابات امامنا، كيف يجرأ المسؤولون على القول بأن البلاد لم تحرم من حرية الانتخاب. وها قد جيئ بأناس في هذه الانتخابات من غير طريق القانون. ان الشعب وصل الى حالة اليأس. وهذه الحالة خطرة وغير محمودة في حياة الامم ، لم يسبق ان لواء بطوله وعرضه وعشائره وساكني مدنه لم يفسح له المجال لأن ينتخب احداً من ابنائه حتى يستطيع ان يعبر عن حاجاته واحواله المختصة

***

وقال العين مولود مخلص عضو الهيئة الادارية للحزب الوطني أما ما يخص الاساليب والاستياء فان مجلس الاعيان لا يمكنه ان يهتم ويحاسب الوزارة على اعمالها لأن ذلك من حق مجلس النواب . وحيث ان مجلس الاعيان يؤلف المحكمة العليا

---

(٩) راجع محاضر مجلس النواب العراقي لسنة ١٩٣٤م.

لمحاكمة الوزراء بعد ان يصدر قرار الاتهام من مجلس النواب. وحيث ان الامر لايمكن حصوله لأن اكثرية المجلس النيابي الساحقة من حزب الوزارة. فانني اقول لرئيس الدولة الأعلى الذي يأمر بتأليف الوزارات اوقف هذه الوزارة عند حدّها. فلقد بلغ السيل الزبى

***

وكان جواب وزير العدلية على هذه الاقوال ان الاسلوب الذي اتبعته الحكومة الحاضرة من الانتخابات هي «عين الاساليب التي اتبعتها الحكومات السابقة. فإذا كان هذا الاسلوب غير صحيح وغير قانوني .فجميع الاساليب التي اتبعت في المجالس السابقة يجب ان تعتبر غير قانونية . وبعد ان انهت المناقشة صوّت المجلس على نص «جواب خطاب العرش» وهذا هو.(١٠)

جواب الاعيان

تمكن السيد رشيد عالي الكيلاني حين الجواب على خطاب العرش «منهج الوزارة» ان ينتقد هذا الخطاب انتقاداً لاذعاً باسلوب بليغ. ومنطق قانوني سليم وحجج قوية مقنعة. وكان لهذا الرد اثر عظيم وصدى مؤلم في نفوس الشعب العراقي وخاصة المثقفين والمحامين واليك صيغة هذا الجواب:

ياصاحب الجلالة

إن المجلس الذي هو الرمز البارز للحقوق الدستورية التي حصل عليها الشعب العراقي بعد جهاد طويل والتي لا يفتأ اعضاء المجلس يعززون جانبها بالتأييد والتوثيق بالايمان الخالصة تبعاً لليمين التي تفضلتم بها جلالتكم للأمة امام مجلسها، ان هذا المجلس ليشكر المولى عز وجل على ما ولاه من نعمة الافتتاح بيد جلالتكم. ولا يسعه في هذا المقام إلا ان يستأذن جلالتكم في ابداء بعض الملاحظات في هذا الشأن.

١- إن الدستور صريح في ان مجلس النواب لا يحل إلا بأسباب جلية وواضحة وإلى هذا اشارت المادة (٤٠) منه بأنه اذا حل المجلس لا يجوز حل المجلس الجديد من

(١٠) راجع محاضر جلسات مجلس الاعيان العراقي سنة ١٩٣٤، ١٩٣٥.

اجل ذلك السبب. ولم يجد مجلس الاعيان سبباً مقنعاً لاقدام الوزارة الحاضرة على حل المجلس النيابي في الظروف التي تشكلت فيها. اما دعوى الوزارة بأنها «اعتزمت السير في شؤون البلاد ووفق خطط خاصة اتخذتها لتأمين تقدمها مادياً وادبياً» فلا يمكن ان تنهض سبباً للحل لأنها:

١- لم تعلن تلك الخطط الخاصة للشعب لكي يدور الاستفتاء حولها كما يقض العرف الدستوري.

٢- وإذا كانت الوزارة تعنى بالخطط الخاصة ما جاء في منهاجها الذي اذاعته على اثر تأليفها، فإن ذلك المنهاج لم يشتمل على شيئ جديد، غير ما اشتمل عليه منهاج الوزارة السابقة الذي وافق عليه المجلس النيابي السابق، والذي لا يخرج بجوهره عن منهاج الوزارة الحاضرة.

٣- لقد تم انتخاب المجلس الحاضر على الاساليب الخاصة المعلومة. وكان مجلس الاعيان قوي الرغبة في ان تتم هذه الانتخابات على وجه يكون اشد قرباً من التمثيل الذي ترغب به الامة وان يكون بعيداً كل البعد عن كل الاعتبارات التي لا ترتبط بالغايات العامة مباشرة.

٤- كما ان المجلس شديد الرجاء بان يكون من جملة الاسس السليمة التي صرفت الوزارة مساعي جمة لتثبيت وضع الدولة عليها والابتعاد من كثرة التحوير والتغيير في رقام الميزانية العامة واجتناب عدم الاستقرار في التوظيف من الالغاء والاحداث وتبديل الاسماء مع بقاء المسميات.

٥- وإن المجلس ليرتاح للسياسة الخارجية المبينة على استمرار الصلات الودية مع الدول الاجنبية.(١١)

اول الغيث قطر

قرروا المحامون في بغداد ان يكرموا مجلس الاعيان الذين دافعوا عن حرية الشعب واحكام الدستور في حفلة عامة يقيمونها لهذا الفرض، فمنعتهم السلطات الادارية من اقامة الحفلة فقرروا ان يقيموها في دار السيد «عوني النقشلي المحامي» ووزعوا بطاقات الدعوة على كبار السياسيين والوطنيين، فتصدت لهم الشرطة

(١١) راجع محاضر جلسات مجلس الاعيان لسنة ١٩٣٤-١٩٣٥.

وحشدت قوة كبيرة امام الدار . فلما قدم السيد رشيد عالي الكيلاني وحاول الدخول، منعته الشرطة وهددته باستعمال السلاح اذا امتنع. وبعد اخذ ورد ، دخل الدار، وهكذا فعلت الشرطة مع توفيق السويدي ، وجمال المفتي ومحمد زكي المحامي ، وغيرهم. وبعد انتهاء الحفلة ، اوقفت السلطات الادارية بعض القائمين بتنظيم الحفلة فأبرق زملاؤهم إلى صاحب الجلالة يحتجون على سياسة الاضطهاد ومصادرة الحريات في عهد الوزارة القائمة وهذه هي البرقية :

«صاحب الجلالة الملك المعظم»

النظام في المملكة هو المحور الذي تدور عليه سلامة الدولة. فتنشأ من ذلك الثقة المتبادلة بين الحكومة والشعب، وهي عين الطريقة الديمقراطية التي يشار اليها في دساتير الامم بعبارات مختلفة، ولا يحصل النظام ما لم تحترم القوانين الموضوعة في البلاد ، وخاصة من جانب الحكومة التي من واجباتها الزام الناس باحترام القوانين وتطبيقها، ومن خالف ذلك تنزل فيه العقوبة الشديدة لتحصل السعادة المقصودة من تأسيس الحكومات، ولكن بالرغم من ذلك فان المحامين ارادوا اظهار شعورهم نحو ما قام به مجلس الاعيان باحتفال يقيمونه لاعضاء المحترمين. فمنعتهم الحكومة دون مبرر قانوني. لأن قانون الاجتماع لم يخول الحكومة هذا المنع ، لهذا نتقدم الى جلالتكم مسترحمين إعطاء نهاية لامثال هذه المخالفات الدستورية المقيدة لحرية الشعب التي حصل عليها بدماء ولصاحب الجلالة الامر .

المحامون في طليعة النضال الوطني

قرر المحامون الاستمرار في كفاحهم فدعوا الى عقد اجتماع عام من يوم ٨ شباط سنة ١٩٣٥ تعالج فيه «قضايا البلاد العامة»، وقدموا بياناً الى وزارة النقل وآخر الى متصرف بغداد وفقاً لاحكام القانون. فقررت السلطات الادارية منع هذا الاجتماع بالقوّة. ووجهت الى القائمين به هذا الكتاب.

«اشارة الى بيانكم المؤرخ ١٩٣٥/٢/٥ الموقع عليه من قبلكم. والمرسلة صورته الى هذه المتصرفية حول عزمكم عقد اجتماع في دار «المحامي رشيد افندي الصوفي» بعد ظهر الجمعة في ٨ شباط سنة ١٩٣٥ ..

جواباً على بيانكم المذكور نخبركم بأن الحكومة لا توافق بصورة نهائية على ان يكون الاجتماع في دار تقع على طريق عامة تكون مزدحمة بالمارين والعابرين في كل آن. وانما يمكنكم عقد الاجتماع من دار تقع على احد الطرق الفرعية او الواقعة في اطراف البلد. كالكرادة والصليخ، واذا اصريتم على عقد هذا الاجتماع بخلاف الطريقة المبينة اعلاه فسيكون للحكومة ملء الحق بمنعكم من عقد الاجتماع بالقوة».

متصرف لواء بغداد
عبدالرزاق حلمي

مؤتمر الصليخ ومقرراته

عقد المعارضون لوزارة علي جودة اجتماعات كثيرة واهمها مؤتمر «الصليخ» الواقع في ضواحي الاعظمية وكان ابرز الحاضرين في هذا الاجتماع، السادة رشيد عالي الكيلاني معتمد حزب الاخاء الوطني، وحكمت سليمان احد الاعضاء في الهيئة العليا، وجعفر ابو التمن «رئيس الحزب الوطني» ووقع الحاضرون وثيقة تضمنت المقررات الآتية:

١- الاخلاص لجلالة الملك.
٢- المحافظة على القانون الاساسي العراقي، وتنفيذ ما يسنه البرلمان من قوانين.
٣- حل المنازعات بين القبائل بشكل يؤدي الى الامن والاستقرار.
٤- لا يجوز لاحد ان يشترك في الحكم دون موافقة القائمين بهذا الحلف.
٥- تنظيم الرأي العام والاتصال بقادته وخاصة رؤساء القبائل واشراك جميع القوى في مجابهة الوزارة واسقاطها.

رؤساء القبائل يؤكدون مؤتمر الصليخ ويرفعون طلباتهم الى الملك

عقد رؤساء القبائل مؤتمرات عديدة في بغداد والكاظمية وكربلاء والنجف والمشخاب والدغارة وديالى وكركوك وتداولوا في امور البلاد وما آلت اليه الاحوال زمن الوزارة الايوبية وكيف انها عبثت بحرية الانتخاب وخرقت احكام الدستور وأبعدت زعماء الامة الحقيقيين عن تمثيلها تمثيلاً حقيقياً في قاعة مجلس النواب.

وقد انتهز رؤساء القبائل عطلة عيد الفطر، فاجتمعوا يوم ٩ كانون الثاني سنة

١٩٣٥ في دار الشيخ «عبدالواحد الحاج سكر» في النجف.. واتفقوا على صيغة عريضة قدموها الى حجة الاسلام الشيخ محمد كاشف الغطاء وغيره من العلماء. وكان الشيخ كاشف الغطاء المرجع الديني الاعلى في تلك الايام يتمتع بنفوذ عظيم وسلطة واسعة بين القبائل وسكان المدن وعند الحكومة بشكل خاص فانها كانت ترجو مودته وتتقي غضبته لأنه يمثل ويعبر عن انصاره واتباعه اصدق تعبير واصح تمثيل. وبعد ان اطلع حجة الاسلام على ما ورد في العريضة وبعد ان اتصل بالمؤيدين والمعارضين لوزارة الايوبي بارك وايد موقف المعارضين وشجعهم على ابداء آرائهم والافصاح عن رغباتهم التي تحقق مصلحة الامة وتصون حرية الشعب. واليك نص العريضة.

«بسم الله الرحمن الرحيم»

مولانا وملاذنا ، حجة الاسلام ، آية الله، شيخنا الاعظم، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، وسائر حجج الاسلام أدام الله بقاءهم اجمعين.

مولانا : يعلم الكل ان حكومة العراق الفتية التي نشأت وتأسست بعد الثورة على اسس الحياة الدستورية المبنية على مبادئ الحرية والمساواة بين الشعب العراقي كانت وماتزال في دور التجربة والتدرج الى الغاية التي نهض من اجلها الشعب، وبذل في سبيلها التضحيات الثمينة كما لا يخفاكم. واننا اليوم لا نريد ان ننتقد وزارة سبقت او وزارة لحقت . ولا نريد الخوض في كيفية الانتخابات التي مرت في الادوار الماضية او الحاضرة. وهل كانت منطبقة على اصول الدستور او لا . فتلك امور يطول شرحها. ويكثر الجدل فيها، انما القصد من تقديم هذا العرض إلى سماحتكم، هو ان كلاً منا اصبح يشعر بما تتطلبه الحياة الحديثة في هذا العصر، ويشعر بالنقص البارز والاجحاف الذي لحق ابناء الشعب في عدم تطبيق القانون الاساسي والقوانين المتفرعة منه. وإن المحاباة وتغلب القوي على الضعيف وتوظيف من لا اهلية ولا نزاهة عنده، وشيوع الرشوة ، كما كان في الادوار البائدة التي كان الشعب يتذمر منها ويتفجر بركانه بالعصيان ضد السلطة التركية ، كل ذلك اصبح متفشياً، ولما كان الاعتقاد والرغبة التي اظهرها الشعب لتأسيس حكومة وطنية بدلاً من السلطة المحتلة. هو لسهولة التفاهم بين الشعب والحكومة الوطنية على اساس تبادل الثقة والطمأنينة التامة من دون الوقوع الى حوادث تؤدي الى الخروج عن الطاعة التي فرضها الدستور على الامة ، كما فرض على

السلطة خدمة الامة بصدق واخلاص، والخضوع لرغبتها الحقة، وصيانة احوالها من العبث والتلاعب.ولما كنا نحرص كل الحرص على حب الامن والسلام، والمحافظة على المبادئ التي من شأنها تعزيز الحكم الوطني على اساس صحيح يوثق به، ويضمن للشعب التقدم والرقي بين الامم نرغب ان تتفضلوا علينا بقبولكم عقد اجتماع عام في النجف الاشرف برئاسة سماحتكم، للمداولة في الشؤون التي اصبحنا نتذمر منها، ونتحسس بآلامها من الوجوه الدينية والاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والادارية، لعلنا نتمكن من الاتفاق على رأي مفيد، لصالح البلاد. ونرفع فيه بواسطتكم بياناً مفصلاً من جلالة ملك العراق نرجو فيه الفائدة للجميع والنفع لخير الامة والوطن المحبوب.

التواقيع

السيد محسن ابوطبيخ. السيد علوان الياسري. عبدالواحد الحاج سكر. الحاج فرحان دبي. سلمان العبطان. السيد محمد السيد ياسر. حسن الحاج شلال. عمران الجياد. الشيخ محسن الشيخ هادي. حسين آل حربي. عبود الهيمص. شراد آل صيهود. تكليف المبدر. السيد حميد الياسري.السيد كاظم آل السيد سلمان. عباس آل هدهد. خلف آل حسن. فريق آل مزهر الفرعون. سوادي آل حمود. كامل آل جلوب. عيسى آل مشعل. السيد حسين السيد علي. الحاج سرحان. فاهم المحمد. السيد محمد السيد محمود الياسري. هاتف الفضبان. هادي الفطن. شعلان العطية. سعدون الرسن. سلمان آل جبار.. واكثر الموقعين هم من رؤساء قبائل آل فتلة. والاكرع. والجبور. والخزاعل. وآل سلطان. والمحامدة. وبني عارض.

***

وقصد جماعة من هؤلاء بغداد يوم ١٢ شوال سنة ١٣٥٢هـ فرفعوا هذه العريضة إلى الملك.

يا صاحب الجلالة

بينما الامم، لاسيما المجاورة تتقدم خطوات واسعة نحو الرقي، وان حكوماتها تبذل اقصى جهودها لتأمين راحة ابناء البلاد ورفاهيتهم ووقاية حرياتهم من الانتهاك وصيانة حقوقهم من العبث بها. وبينما كنا نأمل ان لا تكون حكومتنا اقل حظاً من تلك الحكومات في هذا الشأن. واذا نجدها هاملة للامور الحيوية التي تنهض بالبلاد مادياً وادبياً في ايجاد اسواق خارجية لحاصلات البلاد المكدسة في مخازنها والتي هي

المورد المعّول عليه في حياة الافراد. وتأمين وسائط للنقل تخلصاً من احتكار بعض الشركات. وتأسيس مصانع ومؤسسات مالية تساعد على الزراع وابناء البلاد كافة وتمنع ثمار جهودهم من التسرب لجيوب المرابين. وفتح معاهد صحية وعلمية تدفع عنهم الامراض الفتاكة. والجهل ، اللذين هما داءان وبيلان في تقدم البلاد . فلم نرى منها الاهتمام المطلوب بهذه الامور التي هي قوام الوطن.. وانما نراها دائبة وراء اعمال لا تتفق ومصالح البلاد . حيث تستهدف في اعمالها المقاصد الشخصية والمحسوبية وان ما يبرهن على ذلك .

١- ما قامت به من تحويل بعض الموظفين. والاستفتاء عن بعضهم . والغاء وظائف البعض الآخر. ومما اتخذته من اساليب في عدم احترام القوانين والانظمة في هذا الشأن ومن معاملتها بعض الافراد فيما يختص بحقوقهم وحرياتهم الشخصية .

٢- ما اجرته اخيراً في الانتخابات النيابية. فإنها لم تراعي فيها حقوق ابناء البلاد ، ودماءهم الزكية. فان الحكومة الحاضرة عبثت بكل الحقوق الدستورية ولم تمكن الشعب من اجراء الانتخابات وانما جمعت مجلساً لا يمثل الشعب. ولا نغالي اذا قلنا ان بعض الالوية لا تعرف الشخص الذي عينته الحكومة نائباً عنها وانها ضربت بحرية الانتخاب ، وبحرية الافراد عرض الحائط . وقد احدثت هذه التصرفات السيئة استياءاً عاماً في الشعب وتأثيراً سيئاً في نفوس ابنائه مما نخش منه انه قد ابعد بين الشعب والحكومة وإنه قد يؤدي إلى عواقب غير محمودة.

هذه المخاوف ، التي ساورتنا ، وساورت الشعب على ما نعتقد جرأتنا ياصاحب الجلالة ان نعرض على اعتابكم هذه الاحوال المؤلمة. ولاعتقادنا بأن جلالتكم اب لجميع ابناء البلاد ، وتنظرون اليهم جميعاً بعين الرأفة ، وتغارون اشد الغيرة على مصالح الوطن، وتحرصون كل الحرص على محافظة احكام الدستور والقوانين نتقدم بهذا الى سيادتكم الملكية. رافقين احتجاجنا على تصرفات الوزارة الحاضرة الآنفة الذكر ، ونلتمس من جلالتكم نظراً لتلك الاسباب .

١- حل المجلس النيابي الحاضر الذي جمعت الوزارة اعضاءه على خلاف القانون الاساسي وقانون الانتخابات.

٢- اسقاط الوزارة الحاضرة التي قامت بتلك التصرفات وسببت ارتياب الشعب منها ، وتبديلها بأناس يثق الشعب بهم ، ويحترمون حقوق الشعب وحرياته ويغارون على

احكام الدستور، ومصالح الوطن.

٣ - انتخاب مجلس جديد وفق الدستور والقوانين . والامر لجلالتكم .

***

وفي بغداد بدأ حكمت سليمان اتصالاته برؤساء قبائل العبيد والعزة، وتوقيع عرائض بهذا المعنى ، ورفعها الى صاحب الجلالة. فتراكمت عند الملك مئات العرائض من كل الجهات .

واتسعت حركة العصيان والمقاومة للوزارة، وشملت اكثر الالوية، وخاصة الفرات الاوسط حتى اخذت القبائل تتحدى الحكومة بتنظيم مظاهرات مسلحة تجوب الاقضية والمدن وتهتف بسقوط الوزارة . وفي العاصمة بغداد ، كانت الاجتماعات السياسية تعقد في مقرات الاحزاب السياسية، وتنقد الحكم وتوجه اقسى الاتهامات إلى رئيس الوزراء، كما ان مجلس الاعيان واكثريته ضد الوزارة اخذ يعرقل تصديق القوانين التي تتقدم بها الحكومة، ويرجئ تصديقها ، فتعطلت اكثر المشاريع . واصيب الجهاز الاداري بشلل عام وخاصة عندما تأخر النظر في قانون «ميزانية الدولة» ، فتوقف النشاط الاقتصادي والمالي واضطرب الامن العام نتيجة لتوقف الحكومة عن «الصرف» والانفاق واصبح الوضع خطيراً ، ينذر بعواصف هوجاء، لا يعلم مصيرها إلا الله.

رئيس الوزراء في جنيف

كل هذه الامور لم تحرك رئيس الوزراء، فقد تجاهل عمداً غضب الرأي العام واهمل طلبات الامة وقادة الشعب ، ولم يتحسس عواطف السخط التي الهبت جوانح المواطنين ولم يدرك بالضبط قيمة أعدائه ونفوذهم في اوساط المجتمع. واعتقد ان هذه العاصفة ستزول اذا صمد لها وظهر امامها بصورة الرجل القوي الذي لا يقهر، خاصة وانه يتمتع بعطف الملك وثقته وجمهور من اصدقائه واعوانه ، فقرر ان يسافر الى جنيف في اليوم الرابع من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٥ لحضور جلسات عصبة الامم التي ستبحث في مشكلة الخلاف على الحدود بين ايران-والعراق. وعاد في يوم ٢٦ من الشهر المذكور، ولما وصل الى بغداد واجه «الملك غازي» ، وعرض عليه ان يتخلى عن الوزارة. نرفض الملك استقالة وزيره، وطلب منه ان يستمر في الحكم لانه مشمول بالثقة السامية».

ولما خرج من عند الملك وسئل عن احتمال تقديم استقالته صرّح بما يلي :

«لقد كنت مشغولاً في جنيف عن كل شيئ. اما الاشاعات فلا وزن لها ازاء الحقائق الراهنة . فوزارتنا مادامت متمتعة بثقة صاحب الجلالة الملك واعتماد مجلس الامة والشعب العراقي، ومادامت شاعرة بأنها تقوم بواجبها على الوجه المرضي المشروع وضمن حدود الدستور والقانون، فإنها ماضية في الحكم ، ولن تؤثر في مركزها التقولات فأرجو نفي ما قيل بصدد مركز الوزارة بلسان صريح»[١٢].

استقالة رئيس الوزراء

ازدادت الامور سوءاً ، واشتدت الازمة بعد ان سمع المواطنون تصريح رئيس الوزراء وفيه كل معاني التحدي والانتقاص من كرامة الشعب، وقد انعكست هذه الازمة وتسرّبت إلى مجلس الوزراء، وإلى الوزراء انفسهم. وقد حصل خلاف قوي بين وزير خارجية نوري السعيد ووزير الدفاع جميل المدفعي حول تلافي هذه الازمة والقضاء على اسبابها واصبح الانسجام مفقوداً بين الوزراء. وقد بذل الرئيس جهوداً كبيرة للتوفيق بين الزملاء المختلفين فلم يفلح، وباءت جهوده بالفشل ، فقدم استقالته من الوزارة ليوم ٢٣ شباط سنة ١٩٣٥. فكلف الملك غازي جميل المدفعي بتشكيل الوزارة.

الوزارة المدفعية الثالثة

تسلمت وزارة المدفعي مسؤولية الحكم يوم ٤ آذار سنة ١٩٣٥، والعراق يغلي كالبركان. والبلاد على شفا حافة لثورة عارمة، فالاضطرابات السياسية عمت المدن والاقضية ، والعصيان القبلي المسلح اكتسح اكثر الالوية. فكان الواجب يقضي على الوزارة المدفعية ان تهدئ غضب الشعب، وتزيل اسباب التذمر ، وتحل مجلس النواب، وتمنح للشعب حق انتخاب مجلس نيابي جديد يمثل الامة تمثيلاً صحيحاً. ولكنها عزمت على استعمال القوة والبطش بالمعارضين السياسيين ، واستئصال نشاطهم بكافة الوسائل والاجراءات.[١] فعطلت مجلس الامة يوم ١٢ مارت سنة ١٩٣٥ لمدة شهر واحد لتتخلص من نقد المعارضين وهجماتهم في البرلمان «مجلس الاعيان والنواب» وأمرت

---

(١٢) جريدة البلاد العدد «٤٦٥» ، تاريخ ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٥.

رئاسة اركان الجيش ان تستعد لتجهيز حملة عسكرية رادعة تأدب القبائل المتمردة وتوطد نفوذ الوزارة وهيبتها في نفوس المواطنين قاطبة ، واذاعت على الشعب يوم ١٢ مارت سنة ١٩٣٥ البلاغ الرسمي التالي[١٣]

[وقعت في الايام الاخيرة في بعض جهات الديوانية حوادث مخلة بالنظام العام فسافر وزير الداخلية الى اللواء المذكور لدرس الحالة بالذات. فظهر لمعاليه ان عدداً من اعوان الشيخ عبدالواحد الحاج سكر قطعوا قنطرتين بين ناحية الفيصلية ومركز قضاء ابو صخير واقاموا على احد الجسور مسلحين. وصاروا يتقاضون الرسوم من المارة . كما ان فئة من اتباع الشيخ شعلان العطية في ناحية الدغارة تجمعوا مسلحين هناك واشغلوا صدر نهر الدغارة ، لقد اجتمع معالي وزير الداخلية بمدة مكثه هناك برؤساء العشائر الاخرى فأستنكروا هذه الاعمال، واظهروا استياءهم نظراً لما تسببه من نتائج وخيمة.

إن معالي الوزير ابلغ الشيخين المومى اليهما بلزوم الكف عن هذه الاعمال، فلم يلبيا ذلك حتى الآن . ان الحكومة كانت ولم تزل باذلة كل جهودها لاعادة الامور إلى مجاريها الاعتيادية . وهي حريصة جداً على حقن الدماء ، وتأمل ان يرجع الاشخاص الذين قاموا بالاعمال المذكورة الى الصواب كما انها شاعرة بمسؤوليتها العامة وقائمة بكل التدابير المقتضية للمحافظة على النظام وتأمين الراحة العامة في البلاد].

الرأي العام يستنكر موقف الوزارة

اجمع الرأي العام على استنكار الاجراءات التي عزمت الوزارة على تنفيذها . فسياسة الارهاب والقمع لاتحل المشاكل المستعصية بل تزيدها ضراماً وتعقيداً. وكتبت جريدة المبدأ[١٤] يوم ١١ مارت سنة ١٩٣٥ مقالاً افتتاحياً بحثت موقف الوزارة وحملت على سياستها حملة شعواء وهددت بلجوء الشعب الى الكفاح المسلح.ودعا صاحب المبدأ «السيد جعفر ابوالتمن» رئيس الحزب الوطني الوزارة الى التعقل وانتهاج سبيل الحكمة والرشاد بدلاً من سفك الدماء ومصادرة الحريات. وابرق المحامون الى الملك ورئيس مجلس الاعيان والنواب البرقية التالية «الموقف الحاضر في العراق،

---

(١٣) جريدة البلاد العدد «٣٠٥» تاريخ ١٤ آذارسنة ١٩٣٥.

(١٤) «جريدة المبدأ» الصادرة في بغداد يوم ١١ مارت سنة ١٩٣٥.

سيما الفرات الاوسط اوجب قلقنا. اننا لانزال نعتقد بأنه من الممكن تدارك الامر وحقن الدماء ، ولانرى مسوغاً لاستعمال القوة ، وعليه نسترحم إن تتولى الامر وزارة يرتضيها الشعب لتعالج الموقف بحكمة وسداد » .

وابرق المرجع الديني الاكبر حجة الاسلام الشيخ كاشف الغطاء الى الملك البرقية التالية :

«جلالة الملك المعظم . كيان العراق المقدس مهدد بالاخطار الهائلة. يلزم توقيف الحركات عسى ان يحصل الحل بالاصلاح الصحيح الذي يحفظ سلامة الشعب والبلاد».

فاجاب السيد رستم حيدر وزير البلاط على هذه البرقية بما يلي:

«حجة الاسلام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء : عرضت برقيتكم على صاحب الجلالة . فامرني بتبليغكم تقديره لاهتمامكم بالوضع الراهن ، ان جلالته حريص على حقن الدماء وكل سعي يبذل من قبلكم في هذا السبيل».

وتلفن العالمان الدينيان الشيخان عبدالكريم الجزائري والشيخ جواد الجواهري إلى وزير البلاط الملكي يوم ١٣ مارت سنة ١٩٣٥ وقالا «اخلاصاً للعرش الهاشمي واداءً للوظيفة الدينية وحقناً للدماء نلفت نظر صاحب الجلالة الملك للحالة الحاضرة فانها سيئة جداً . واذا بقيت الحكومة مصرة على سياسة الارهاب تكون الحالة اسوأ. ولا موجب لاستعمال الشدة مع امة مخلصة للعرش لاذنب لها إلا مطالبتها بتطبيق القانون الاساسي .

وابرق الشيخ الحاج عبدالواحد سكر الى جلالة الملك يوم ١٤ مارت سنة ١٩٣٥ البرقية التالية:

بغداد . جلالة الملك سيدنا المعظم

قدمنا احتجاجاتنا لجلالتكم طلبنا فيها اسقاط الوزارة المدفعية نظراً لتصرفاتها الكيفية والمخالفة للدستور وقوانين البلاد . ولم تزل سائرة على مخالفاتها وامتهانها حرمة الدستور، مما جعلنا وعشائرنا غير آمنين على انفسنا . كما انها سلبت حرياتنا نسترحم اصدار امركم بإقالة الوزارة وفقاً لرغبات ابناء شعبك المخلصين لعرش جلالتكم. قبل ان يستعصي علينا الامر لما نلاقيه من استبداد الوزارة».

اعلان الاحكام العرفية في منطقة التمرد

قرر مجلس الوزراء يوم ١٤ مارت سنة ١٩٣٥ اعلان الاحكام العرفية في منطقة الفرات الاوسط وارسل قراره الى البلاط الملكي للاقتران بالارادة الملكية، ولكن برقيات العلماء ورؤساء القبائل والمحامين جعلت الملك في موقف حكيم، فقرر عدم الموافقة على استعمال القوة في حل الازمة القائمة ، وامر رستم حيدر وزير البلاط ان ينقل رغبة الملك الى رئيس الوزراء ، فلما اطلع المدفعي على الرغبة السامية ، اعتبرها سحباً لثقة جلالته من رئيس وزرائه ، فقدم استقالة وزارته من الحكم يوم ١٥ آذار سنة ١٩٣٥.(١٥)

(١٥) راجع : كتاب عبدالعزيز القصاب في ذكرياته ، صحيفة (٣٠٢-٣٠٩).

الفصل الثاني
الهاشمي رجل الساعة

كان مصير العراق معلقاً في كفة القدر، فالشعب ثائر حانق، والنفوس كئيبة قلقة لا تدري ما يخفيه لها المستقبل من كوارث ومحن، والاطماع والحزازات العنصرية والقبلية والمذهبية قد رفعت رأسها وكشرت عن نابها، والسلطة في العاصمة والالوية [المحافظات] انتابها الضعف والوهن . وارتفعت في الافق صيحات جديدة، ونفخات نشاز، تهدد الوحدة الوطنية بالتصدع والانهيار، والانكليز يتصيدون في الماء العكر ويشجعون الطائفية والعشائرية على اضعاف السلطة المركزية. في هذا الجو الصاخب المشحون بالاخطار والفتن والدسائس اتجه الرأي العام في شمال العراق وجنوبه. واتجهت انظار المسؤولين عن كيان العراق الى شخصية قوية جبارة، تنقذ البلاد من محنتها الكبرى، وتعيد الامن والنظام الى نصابه، وتحفظ هيبة الدولة وسيادة القانون، فلم يجدوا غير الهاشمي لائقاً لهذه المهمة في مثل هذه الساعات العصيبة، فاضطر الملك غازي ان يستدعيه الى البلاط ويرجو منه ان يشكل «وزارة» انقاذ لتلافي الازمة وحل المشكلة، فطلب من الملك ان يترك حرية «اختيار» الوزارة . فلما اجابه الملك الى طلبه، صدع بالامر وقبل تحمل المسؤولية، وهو عالم بما سيواجه حكمه من اكدار واخطار وصعوبات، وشكّل الوزارة الهاشمية الثانية في ١٧ آذار سنة ١٩٣٥ الموافق ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٥٣هـ .

اول العقبات

كانت اول عقبة واجهت الهاشمي عند اختياره وزرائه، هي عقبة حكمت سليمان زميله وعضو الهيئة العليا في الحزب. فقد عرض عليه الهاشمي وزارة المالية فامتنع عن قبولها وعرض عليه وزارة العدل فرفضها. واصرّ ان يكون وزيراً للداخلية بدلاً عن زميله «السيد رشيد عالي الكيلاني» الذي اصرّ بدوره على اشغالها . وكان الهاشمي ميالاً الى جانب الكيلاني، لان حكمت سليمان قد ارتبط بميثاق سياسي مع اليساريين امثال كامل الجادرجي وجعفر ابوالتمن وعبدالقادر اسماعيل. فاشغاله وزارة الداخلية سيمنح حرية العمل السياسي لهؤلاء الذين سيصبحون خطراً على النظام الاجتماعي والامن العام . فقرر اسناد وزارة الداخلية الى رشيد عالي الرجل الثاني في الحزب فغضب حكمت على الهاشمي، ولم يدخل الوزارة واعلن انشقاقه على الهاشمي وحمل لواء المعارضة لحكمه مع جماعته «اليساريين» الجدد. كما سيجيئ ذكره وتشكلت الوزارة الهاشمية الثانية على الشكل الآتي:

١- ياسين الهاشمي رئيساً.
٢- السيد رشيد عالي الكيلاني وزيراً للداخلية.
٣- السيد جعفر العسكري وزيراً للدفاع.
٤- السيد نوري السعيد وزيراً للداخلية.
٥- الشيخ محمد رضا الشبيبي وزيراً للمعارف.
٦- محمد زكي المحامي وزيراً للعدلية.
٧- رؤوف البحراني وزيراً للمالية.
٨- محمد امين زكي وزيراً للاشغال والمواصلات.

انشرحت صدور المواطنين ، وابتهج الشعب العراقي ، وغمرت الافراح قلوب الناس عندما سمعوا اخبار الوزارة الجديدة بالشكل الذي رسمته الادارة الملكية ، فتقاطرت الجموع على مجلس الوزراء تهنئ الهاشمي، وتدعو له بالسداد والتوفيق .

وتدفقت المواكب والوفود من الشمال والجنوب، تعلن تأييدها للرئيس الجديد، وسارت المظاهرات الشعبية والطلابية في بغداد تهتف بحياة الشعب العراقي «والوحدة الوطنية» وسقوط «الاستعمار الانكليزي» وحياة «حزب الأخاء الوطني»..

كما عاد الثوار الى قواعدهم، والقوا سلاحهم، واعلنوا طاعتهم لسلطان الدولة وعادت الحياة في العراق الى مجراها الطبيعي كمعهدها الاول في ظل القانون والامن والنظام.

خطاب لرئيس الوزراء

بعد ان تسلم الهاشمي كتاب «الاستيزار» القي خطبة قصيرة في الحاضرين قال فيها : سادتي: اشكر حضرة صاحب الجلالة على الثقة التي حباني بها، ومن هذه الفرصة اودّ ان ابدي بعض الملاحظات حول الموقف الحاضر. تعلمون ايها السادة ان ما وصلت اليه البلاد من فقدان الثقة والطمأنينة لم يكن وليد مؤثرات حدثت من زمن قريب بل هو نتيجة لسلسلة من عوامل يرجع عهدها الى زمن بعيد. ولعل اهم البواعث لهذا الوضع او الحلقة البارزة من تلك السلسلة هو انحراف بعض الموظفين عن تطبيق احكام القوانين، او تنفيذها بصورة تنافي الحق والعدل، وتأثر بعضهم بعواطف او تحزبات لا تأتلف ومصلحة البلاد العامة. فاول ما استهدفه انا وزملائي هو مراعاة الحق والعدل في تطبيق القوانين والابتعاد عن التأثر بالعواطف لتحل الثقة بين الحكومة والشعب. وهذا ما اودّ ان الفت انظاركم اليه الآن وسأراقبه في المستقبل، لاشك انكم تعلمون حالة البلاد من نواحيها الاخرى العديدة وهي تحتاج الى معالجة حازمة فعالة لتأمين تقدم الشعب ونهوضه العاجل وتأمين رفاهيته. وهذا ما وطدنا العزم عليه. واملي وطيد ان الامة لم تبخل على ابنائها المخلصين بالمساعدة والمؤازرة. وان تجعلني من بين اولئك الابناء وتمدني بثقتها ومؤازرتها. فما اردنا تقلد المسؤولية إلا للاصلاح وخدمة الشعب والله ولي التوفيق.

بيان الى الموظفين

واذاع ياسين الهاشمي هذا البيان على الموظفين

١- ليعلم جميع الموظفين بأنهم يقومون بواجباتهم المنصوص عليها في القوانين

والانظمة باسم جلالة الملك واعني انهم امناء جلالته على حراسة الحق وتوزيع العدل بين الجميع. وليسوا مأجورين لاحد غير الامة التي هي «مصدر السلطات».

٢- يجب على الموظفين ان يتجنبوا جميع الامور المنافية للآداب ولذلك يحظر عليهم شرب المسكرات، وتعاطي الخمار، وتعاطي كل ماينافي المثل والاخلاق السامية. وسوف يقصى عن الخدمة كل من يثبت عليه الخروج عن هذه القواعد.

٣- اني ادعو الموظفين الى معاملة المراجعين بالرفق والانصاف، وعدم التحيز. كل ما يسيئ الى ابناء الشعب، ومن يهمل تطبيق القانون فسيعاقب على عملة.

واذاع وزير الداخلية على الموظفين هذا البيان «بناءاً على تسليمي وزارة الداخلية اطلب من جميع الموظفين الاداريين الاهتمام الجدي في انجاز واجباتهم. والسهر على حفظ الامن، وانجاز معاملات الناس وفقاً للقانون وليعلم الجميع ان اهم غاية تتوخاها الحكومة في الوقت الحاضر هي تأمين العدل والحق بين الناس. ان الوزارة ستراقب المقصرين في واجباتهم وتكافئ المهتمين بها».

وتنفيذاً لهذا البيان اقصى وزير الداخلية بعد موافقة مجلس الوزراء، عدداً من كبار الموظفين الاداريين لثبوت تقصيرهم في واجباتهم، وكان هذا العمل خطوة استحسنها الرأي العام، وباركتها الصحافة العراقية.

بيان رسمي

ثم اذاعت الحكومة على الشعب بياناً رسمياً هذا نصه.

ان الحكومة عازمة على معالجة امور الدولة بروح مشبعة باحترام التعبير وبالطرق الكافلة لتطبيق القوانين على اساس الحق والعدل. وعليه تطلب من الذين اعلنوا والتذمر والاضطرابات ان يعودوا الى مزاولة اعمالهم الاعتيادية بهدوء واطمئنان خلال ثلاثة ايام. لتستطيع الحكومة ان تباشر الاصلاح الضروري وتقضي على اسباب التذمر والفساد».

منهاج الوزارة

اذاعت الوزارة الهاشمية «منهج عملها» على الشعب وكان اهم بنوده :(١٦)

---

(١٦) راجع جرائد : البلاد ، الطريق لشهر آذار سنة ١٩٣٥.

١- احترام النظام الملكي الدستوري القائم. والقضاء على كل فكرة ترمي إلى مس هذا النظام او تغييره .
٢- ايقاظ روح التآخي بين الشعب والقضاء على النعرات الضارة والاعمال المؤدية الى تمزيق كلمة الامة بكل ما لدى الدولة من وسائل وقوة.
٣- العمل على استكمال استقلال العراق وسيادته .
٤- خلق جيش قوي مسلح بأرقى الاسلحة بكافة الصنوف ، يتحلى ضباطه وجنوده بروح وطنية عالية ، وضبط عسكري صارم ، يكون من واجباته الاساسية حفظ كيان العراق وسلامته وصيانة وحدته الوطنية وتنفيذ الخدمة «الاجبارية» خدمة العلم باسرع وقت ممكن.
٥- توطين القبائل المتنقلة واسكانها في الاراضي الصالحة للزراعة وتعويد هذه القبائل على استثمار الارض واستغلالها.
٦- تجريد العشائر من السلاح واضعاف الاقطاع واخضاعه الى قوانين الدولة وسلطتها.
٧ -الغاء نظام دعاوى العشائر الذي شرعته حكومة الاحتلال البريطاني ، وتعديل قانون العقوبات البغدادي، وقوانين الاصول الجزائية والحقوقية، وجمع القوانين المدنية المتفرقة في قانون «مدني» موحد يطبق على جميع المواطنين في العراق بغض النظر عن انتماءاتهم القبلية والعنصرية والسكنية، وانتداب الكفاءات القانونية في البلاد العربية لانجاز هذا المشروع وتقديمه الى البرلمان في اقرب وقت.
٨- وضع اسس نهضة زراعية وصناعية حديثة، واستثمار موارد البلاد وكنوزها الطبيعية، وانشاء بنك زراعي وآخر صناعي وجمعيات تعاونية لغرض تسهيل الاقتراض وعمليات الائتمان ، وحماية الفلاح والصناعيين من اطماع المرابين والصيارفة.
٩- التمسك بسيادة القانون وتوزيع العدل بين المواطنين ، لأن العراقيين متساوون امام القانون وإن اختلفوا في القومية واللغة والدين.
١٠- القضاء على الامية وتوسيع التعليم الرسمي في مختلف فروعه، وفتح المعاهد الصناعية والزراعية ، ورفع مستويات العلم في كليات الطب والحقوق والهندسة . وغرس الروح القومية والاخلاق الفاضلة في نفوس الطلاب.
١١- تعديل قانون الانتخابات بشكل يضمن للشعب حرية اختيار نوابه وممثليه

اختياراً صحيحاً .

١٢- تقوية روابط الاخوّة بين الدول العربية ، وعقد محالفات بينها وبين العراق لاجل توحيد الصف العربي . وتعزيز مكانة العرب في المحافل الدولية، واسناد الحركات الاستقلالية في الوطن العربي.

١٣- تسوية المشاكل القائمة على الحديد بين العراق وايران ، وعدم التفريط بسيادة العراق على اي جزء من اراضيه، وتنفيذ المعاهدات والبروتوكولات التي عينت هذه الحدود ايام الدولة العثمانية .

١٤- تحسين العلاقات الودية بين العراق وجارته تركيا .

كان الهاشمي يتوقع معارضة عنيفة لهذا المنهج تنبعث من مصادر مختلفة وجهات كثيرة عراقية واجنبية. وكان واثقاً من نشوب حرب قاسية بينه وبين خصوم سياسته ولكنه حرصاً على اداء الواجب الوطني قرر ان يجتاز العقبات والمحن ويتحمل المصاعب والنكبات من اجل سلامة الوطن وسلامة ابنائه. وهكذا حصل.

اقصاء مستشار وزارة الداخلية (١٧)

توج الهاشمي سياسة وزارته باقصاء عدد من الموظفين الانكليز، فلم يجدد عقود هؤلاء، ومنهم مستشار وزارة الداخلية «السير كنهان.كورنواليس».. وقد انتج هذا العمل اثراً سيئاً في اوساط السفارة البريطانية في العراق واوساط الحكومة الانكليزية في لندن لان كورنواليس يعتبر الركيزة الاولى للاستعمار البريطاني في العراق . وقد تمتع هذا الرجل بنفوذ واسع بين رؤساء العشائر وكبار السياسيين ، وكانت علاقاته الوثيقة بهؤلاء ومعرفته الواسعة بمطامعهم ومشاكلهم تؤمن مصالح الانكليز وتثبت سلطتهم في البلاد . وقد تمكن بمهارته وذكائه ان يكتل عملاءه ضد الحكم الوطني ويخلق ازمات كثيرة اضعفت السلطة الوطنية في اكثر المناسبات. فجاء اقصاؤه عن

---

(١٧) راجع :

١- جريدة البلاد ، آذار سنة ١٩٣٥.

٢- جريدة الطريق آذار سنة ١٩٣٥.

وظيفته استفزازاً وتحدياً لهيبة بريطانية في العراق ، وسبباً لخلق جو من التوتر والجفاء بين السفارة البريطانية وبين حكومة الهاشمي .

المتآمرون على وزارة الهاشمي

ان السياسة العربية التي رسمها الهاشمي وقرر السير عليها في المجالين الدولي والاقليمي ، ووقوفه موقفاً صريحاً وجريئاً في الدفاع عن استقلال سوريا وفلسطين وتشجيعه للثورات الاستقلالية في القطرين الشقيقين وانتهاجه في العراق سياسة اصلاح واعمار في الميدانين الصناعي والزراعي ، ومحاولاته الجريئة لاستكمال استقلال العراق وسيادته ، خلقت له المتاعب والازمات ، فتألب عليه خصوم اقوياء ، وتجمعت ضده قوى متعددة الاطراف ، مختلفة الاهواء والنزعات .

وكان الاستعمار الانكليزي واليهودية العالمية في العراق ، والاستعمار الفرنسي ومطامع ايران ، تغذي اولئك الخصوم وتثير تلك القوى ، وتنظم المعارضة بشكل ظاهر حيناً، وتحت ستار كثيف من الكتمان والسرية احياناً أخر .. وتلقت وزارة الهاشمي طعنات لجلاء ، وواجهت مؤامرات واسعة النطاق ، وثورات اثر ثورات ، وصمدت امام المؤامرات والثورات ولكن الجيش بقيادة الفريق بكر صدقي تمكن من اسقاطها يوم ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٣٦م. واهم تلك القوى هي :

١- السياسيون المحترفون

واكثر هؤلاء من رؤساء الوزارات والوزراء والنواب السابقين وشيوخ الاقطاع والمثقفين الذين يطمحون الى الوزارة والنيابة . كانت مهمتهم احتراف السياسة والقفز الى السلطة ، فاذا تسلموها عبثوا بالحريات العامة وقيدوها ، ومسخوا احكام الدستور وعطلوها ، وشرعوا القوانين التي تحمي مصالح الطبقة التي ينتمون اليها ، واهملوا مصالح اكثرية الشعب ، واغتصبوا حقوقه المشروعة ، وجعلوا مناصب الدولة ومرافقها في خدمة اغراضهم الخاصة وخدمة اعوانهم من المحسوبين والاقارب. واخذوا يتسابقون الى جمع الثروة بطرق غير مشروعة عن طريق الرشوة واستغلال النفوذ ، وعن طريق الغصب والاستيلاء ، فاثروا على حساب الشعب ثراءً فاحشاً غير مشروع ولا مقبول ، ونهبوا اموال الدولة حين استأجروا اراضيها الواسعة بدلات زهيدة لا تتناسب مع واردات الارض ووافر غلتها ، ثم اسندوا المناصب الرفيعة الى رجال غير اكفاء واياد ملوثة غير

نزيهة ، فإذا استاء الشعب في سلوكهم ، وانتقد سياستهم ، وفضح اعمالهم ، وثار على حكمهم ، بادروا إلى اسكاته بالقوة، وهدؤا ثائرته بالوعد والوعيد، والسجن والتشريد وصادروا حرياته، وعطلوا صحفه الناطقة باسمه وقضوا على مؤسساته الاجتماعية والسياسية من احزاب وجمعيات ومنتديات .

هذه ملامح السياسيين المحترفين وتلك صفاتهم عندما يكونون في قمة السلطة فإذا ابعدوا عنها حملوا لواء المعارضة والحرية ، وتباكوا على حقوق الشعب ، وذرفوا دموع التماسيح انتصاراً للفقراء والكادحين ،وطالبوا بانصافهم ورفع مستوى حياتهم ، وانتقدوا الحكومة القائمة نقداً مريراً ، واتهموها بخرق الدستور، واهمال تطبيق القوانين وارتكاب الاخطاء الجسيمة والجرائم الفضيعة. ولم يتركوا في قانون النقد والتجريح كلمة الا وصوبوها الى نحور الحاكمين تشفياً وانتقاماً .

كان اكثر هؤلاء السياسيين يتلقون الوحي والتوجيه من السفارة البريطانية ذات الكلمة العليا والقول الفعل في شؤون الحكم والادارة. وخاصة شيوخ القبائل الذين تملكوا المقاطعات الزراعية الشاسعة، ومارسوا سلطاتهم الخاصة في حدود مقاطعاتهم . وفرضوا نفوذهم على الفلاحين وطبقوا عليهم في معاملاتهم وعلاقاتهم «نظام دعاوى العشائر».

فعاش الفلاحون في ظل حكمهم عيش الضنك والبؤس والمرض والفاقة .

كان الانكليز والحكومات التي تسير في خط الانكليز، تحمي الاقطاع وتحرس مصالحه وتنمي ثرواته وكان اكثر الاقطاعيين نواباً دائميين في كل المجالس النيابية لا يتغيرون ولا يتبدلون. فكان الاقطاعي «حاكماً في مقاطعته» ، ومشرعاً يسن القوانين لمصلحته.

لقد توثقت الصلات بين رجال الاقطاع ورجال السياسة في بغداد ، وانتسب كل اقطاعي الى رجل من هؤلاء ، يعمل في كتلته، ويقاسمه المغارم ويشاركه المغانم . فإذا بسم الزمان لرجل السياسة وشكل الوزارة وحل المجلس النيابي القائم واجرى انتخابات جديدة عين اعوانه واصدقاءه من الاقطاعيين نواباً «يمثلون الشعب» ..

ولا يخف على القارئ ان جماعة من السياسيين وشيوخ القبائل «وهم اقلية في العراق» خرجوا على السياسة البريطانية .وحاربوا الاستعمار الانكليزي في عهدي الاحتلال والانتداب واسسوا الاحزاب السياسية وحملوا «علم الحرية والاستقلال الكامل» وقدموا لامتهم تضحيات جسيمة. وكان لهم في تاريخ الجهاد الوطني صفحات

مشرقة ومواقف نبيلة.

ولما اشتد النزاع وبدأ الصراع عنيفاً بين حكومة الهاشمي وخصومها من السياسيين في بغداد انتقل النزاع والصراع الى رجال الاقطاع انفسهم بين مؤيد للوزارة ومعارض لها . وانتهز السياسيون المعارضون امثال السيد حكمت سليمان وجميل المدفعي. وجعفر ابوالتمن بعض المناسبات فحرضوا الشيوخ المعارضين على التمرد والثورة المسلحة ضد وزارة الهاشمي . وبدأ لهيب الثورات يأكل الاخضر واليابس . وبذلت الوزارة الهاشمية جهوداً كبيرة لاخمادها . كلفت الخزينة العامة آلاف الدنانير.

٢- الانكليز واليهود

كان الهاشمي غزير العلم وافر المعرفة بالثقافتين الغربية والاسلامية . ومع كونه عسكرياً فانه كان واسع الاطلاع على الشؤون الاقتصادية والمالية . كثير الدراسة لعلوم الاقتصاد والتاريخ السياسي بوجه خاص ، وله شغف باستطلاع التاريخ العربي ومشاكل الامة العربية ، ومن هنا كان ايمانه بالوحدة العربية مبنياً على اسباب ودوافع ثقافية واقتصادية وعسكرية ، وقد تأثر بآراء بسمارك وماتزيني ابطال الوحدتين الالمانية والايطالية. وكان يعتقد ان الوحدة الثقافية للامة العربية يجب ان تسبق الوحدة السياسية وتمهد لنجاحها ، لان الثقافة تخلق الوعي القومي وتخلق الجيل القومي المتفتح الذي يعرف مصالحه القومية ويدرك واجباته الوطنية احسن ادراك .

انطلق الهاشمي في وزارته من هذه الزاوية ، وعزم على ان يوطد اسس نهضة قومية شاملة ووعي قومي مستنير ويعطي للقومية العربية والوحدة مفهوماً علمياً واضحاً.

ولكي يجعل من العراق قاعدة قومية ويجذب ألى هذه القاعدة المثقفين والاكفاء من العرب وقف يوم ١٦ كانون الاول سنة ١٩٣٥ في البرلمان العراق وصرّح قائلاً «من حق كل عربي لا شبهة في عروبته الحصول على الجنسية العراقية اذا اقام في العراق ثلاثة ايام» . فلما نقلت الصحافة واسلاك البرق هذا التصريح اسرع المثقفون العرب الى العراق افواجاً وزرافات يحدوهم الاخلاص لخدمة العراق . وشعب العراق .

وابتهجت الصحافة العربية والمؤسسات القومية في كافة ارجاء الوطن العربي بهذا التصريح . ولقبت الهاشمي «بانه بسمارك العرب» . كما اسرعت الوفود والاحزاب

الى دار القنصليتين العراقيتين في بيروت وحيفا تهنئ حكومة العراق بقادها ورئيس وزرائها السيد ياسين الهاشمي.

ولم يكتف الهاشمي بهذا التصريح بل اوفد «سامي» مدير المعارف العام الى سوريا وفلسطين للتعاقد مع اربعمائة مدرس ومدرسة من خريجي المعاهد العالية والجامعات ليتولوا التدريس في كليات العراق ودور المعلمين والثانويات والمتوسطات. وارسل وفد آخر يرأسه ساطع الحصري الى مصر ليتعاقد مع فضلاء اساتذتها ، فنجح الحصري في مهمته وقدم الى العراق الدكتور «السنهوري باشا» ، الاستاذ الكبير، فتولى مهمة اصلاح كلية الحقوق ووضع مشروع «القانون المدني الجديد» الذي كان نواة لبقية القوانين المدنية الحديثة في «مصر» وفي «سوريا».. وقدم كذلك اساتذة متخصصون في مختلف الفروع امثال الدكتور عبدالوهاب غرام وزكي مبارك وغيرهم ، وكان هؤلاء الفضلاء جميعاً رسل فكر وعقيدة.

انتعشت بهم دور العلم ومعاهد التربية. وغرسوا في نفوس الطلاب بذوراً ثورية جديدة وروحاً عربية وثابة تدعو الى احياء الامجاد العربية الغابرة والوحدة العربية الشاملة والتحرر من نير الاستعمار الاجنبي والصهيونية الغادرة.

وقد ركز الاساتذة السوريون والفلسطينيون دعايتهم ضد الانكليز واليهود والفرنسيين واشعلوا نار السخط والغضب في قلوب طلاب العراق ومثقفيه وحرضوهم على تطهير البلاد العربية من الاستعمار الغربي والاستيطان الصهيوني وفضحوا مخططات اليهودية العالمية واطماعها في بلاد العرب.

فلما شعر الانكليز واليهود بهذا الخطر الجارف والثورة العارمة : وايقنوا ان هذا المد القومي الذي يهددهم منبعث من مخطط اعده ياسين الهاشمي رئيس الوزراء، اعلنوا الحرب عليه بلا هوادة ولا رحمة ، وراحوا يؤلبون عليه الرأي العام بكافة الوسائل.

الثورة في فلسطين

ومما زاد من قلق اليهود والانكليز نشوب الثورة المسلحة في فلسطين سنة ١٩٣٦ وكان الثوار بزعامة «الهيئة العربية العليا» ومفتي فلسطين الحاج امين الحسيني يهاجمون الجيش البريطاني والمستعمرات اليهودية بقوة وشدة. وتراجعت القوات البريطانية امام الثوار في اكثر المواقع ، وتكبدت خسائر فادحة في الارواح

والاموال. كما تعرضت المزارع الجماعية اليهودية الى هجمات كاسحة وحملات مدمرة شنها الثوار بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية والبنادق. فهاجر قسم من سكانها الى بلاده الاصلية ، وبقى الآخر مضطرباً في زحمة الاخطار والخوف.(١٨)

لقد اثبتت التقارير الرسمية ان حكومة الهاشمي كانت تزود الثوار الفلسطينيين بالمال والسلاح والعتاد والمتطوعين الذين لهم خبرة في القتال ، وان طه الهاشمي رئيس اركان الجيش العراقي بأمر من اخيه ياسين الهاشمي ، قد انشأ «مقراً» يتدرب به المتطوعون «العراقيون وغيرهم» على استعمال السلاح ، وانتخب رئيس الاركان «المقدم محمد فهمي سعيد» للاشراف على التدريب ، كما اختار الضباط «العقيد صلاح الدين الصباغ ومحمود سليمان وعبدالوهاب العزاوي وخيري خورشيد وصالح فوزي ورشيد فليح ومدلول عباس ومحمود الدرة وحمود السعدون وأناط بهم» واجب نقل التجهيزات العسكرية من بنادق ورشاشات وذخيرة وقنابل يدوية الى الثوار الفلسطينيين في ساحة القتال . كما امرهم بالحذر والكتمان لأن الانكليز واليهود في العراق ، يراقبون نشاط الحكومة الهاشمية وعلاقتها بالثورة. وقد تمكن هؤلاء الضباط الشجعان من انجاز واجبهم . وتم وصول السلاح باستمرار الى جبهة القتال .

وعندما قدم فوزي القاوقجي احد القادة الثوار الى العراق لجمع السلاح من العشائر العراقية زوده ياسين الهاشمي بكتب شخصية الى رؤساء القبائل والى متصرفي الحلة والديوانية ، فجمع اعداداً كبيرة من البنادق التي تبرع بها الشيوخ «الحاج عبدالواحد سكر وموسى العلوان. وعبدالمحسن الجريان» وغيرهم. وارسلها بواسطة الضباط العراقيين الى اخوانه الثوار.

وكان الهاشمي يراقب شخصياً انباء المساعدات ، وقد اضطر يوماً ان يتصل من مقره الرسمي في رئاسة الوزراء بمعاون مدير كمرك ومكوس الرمادي وامره ان لا

---

(١٨) في سنة ١٩٤٠ اثناء الحرب العالمية الثانية ، وعندما اشتد النزاع والجفاء بين انكلترا وحكومة رشيد عالي الكيلاني والضباط الاحرار. عينت الحكومة البريطانية مستشار وزارة الداخلية السابق السير كنهان. سفيراً لها في بغداد ، وقد تمكن هذا بدهائه وصلاته مع عملاءه الحاقدين في العراق ان يضعف قوة الثورة التي اعلنها العراق على بريطانيا سنة ١٩٤١. «حركة رشيد عالي الكيلاني والضباط الاحرار والشهداء صلاح الدين الصباغ ومحمد فهمي سعيد ومحمود سلمان»... واستطاع الانكليز ان يحتلوا العراق طيلة ايام الحرب الثانية.

يتعرض او يفتش سيارات النقل التي تعود «للفلسطينيين» الذين يقومون بنقل السلاح من العراق الى جبهة فلسطين . كما امر الهاشمي وزارة الدفاع ان تستمر في صرف رواتب الجنود وضباط الصف الذين تطوعوا في القتال طيلة ايام الثورة الفلسطينية. وامرَ ان يكون نقلهم ذهاباً واياباً على نفقة الخزينة العراقية . واستمرت مساعدات الهاشمي للثورة بمقياس واسع حتى توقفت الثورة بنداء صدر عن «ملوك العرب ورؤسائهم». كانت جهود الهاشمي ووزارة الدفاع مجهولة لدى اكثر المسؤولين ومنهم الاعيان والنواب فلما سئل الهاشمي في اجتماع المجلس النيابي يوم ١١ كانون الثاني سنة ١٩٣٦ عن موقف العراق من الثورة الفلسطينية اجاب « ان ما تم وستم من الجهود لخدمة فلسطين او سوريا لا يمكن ان يذكر على لسان رجل مسؤول امام مجلس عراقي ».

ان موقف الوزارة الهاشمية من قضية فلسطين كان معروفاً وواضحاً لدى السفارة البريطانية في بغداد، وعند اليهود بشكل خاص، ولما اصبح تدخل العراق في هذه المشكلة كبيراً قصد السفير البريطاني «السير كلارك كير» ديوان رئاسة الوزراء وقابل ياسين الهاشمي واحتج لديه على تدخل الحكومة العراقية من قضية فلسطين ومساعدة الثوار الفلسطينيين بالمال والاسلحة والمتطوعين «المجاهدين» .. لأن هذا عمل يتنافى وروح المعاهدة والحلف الدائم بين الحكومة البريطانية والعراق. وطلب السفير ان تكف حكومة العراق عن هذه الاعمال العدوانية».. فاجابه الهاشمي [ان العراق متمسك بمبدأ «الحلف» وانه لم يقم بعمل من شأنه الاخلال بالمبدأ المذكور.] ولما عجز السفير البريطاني عن الوصول الى نتيجة ايجابية من هذه المقابلة انصرف وهو يهدد ويتوعد ولكن بلباقة دبلوماسية»(١٩)

واما غضب الصهيونية العالمية على حكومة الهاشمي فقد عبر عنه القنصل العراقي في حيفا بسلسلة من التقارير الرسمية . وارسل مقالات عديدة مما تنشره جريدتي «ها.أرتس الصهيونية» وجريدة «دافار اليهودية» فقد هاجمت الجريدتان قلق ياسين الهاشمي واتهمته بتغذية الثورة ومساندتها». وطلبت من يهود العراق ومن حكومة الانتداب في فلسطين والسفارة البريطانية في بغداد ان يضعوا حداً لهذا الرجل

---

(١٩) مذكرات : الشهيد العقيد صلاح الدين الصباغ . «فرسان العروبة في بغداد».

مذكرات المحامي احمد زكي الخياط «متصرف الحلة».

الذي تحدى سلطة بريطانيا وعظمتها[٢٠]

***

اكتسب الانكليز طيلة حكمهم في العراق تجارب وخبرات كثيرة ، وعرفوا نفسية الشعب العراقي معرفة صحيحة،ودرسوا مواطن الضعف والقوة في المجتمع العراقي دراسات عميقة ، ووضعوا على ضوء هذه الدراسات والتجارب سياسة لكل مشكلة تواجه حكمهم، او تهدد مصالحهم،ولما ارادوا ان يتخلصوا من مخاطر الاحتلال المباشر ونفقاته العسكرية الجسيمة ابتكروا نطاقاً جديداً سموه «الحكم الوطني». ظاهره الاستقلال الكامل وباطنه الحماية المباشرة والانتداب . وهكذا تخلصوا من سخط الشعب وثوراته الوطنية ووثباته التحررية ، وتخلصوا من مسؤوليات الحكم المباشر ونفقاته ووضعوها على عاتق «الحكم الوطني الذي كان لا يخرج عن خطهم ولا يناقض مصلحتهم إلا في ظروف استثنائية قاهرة وفي غضون الفترة الطويلة التي مارس الانكليز سلطتهم الفعلية خلقوا طبقة برجوازية كبيرة تتكون من التجار واصحاب العقارات والمرابين والصيارفة، واكثر هؤلاء من اليهود الذين سيطروا على الاقتصاد الوطني . واستولوا على صادرات العراق ووارداته من جميع المنتوجات، وعلى كافة المؤسسات المالية كالبنوك والشركات. واصبح نفوذهم واسع النطاق في انحاء العراق عموماً.

وارتبطت هذه الطبقة بحكم مصالحها الاقتصادية والسياسية وطبيعة تكونها ووسائل استغلالها بالانكليز ربطاً وثيقاً محكماً . وكانت العلاقات بين قادتها وبين السفارة البريطانية تزداد قوة وضعفاً مداً وجزراً تبعاً للظروف الطارئة والمناسبات، فاذا رضي الانكليز عن هيئة او شخص مسؤول «رئيس وزراء» او غير مسؤول من ابناء الشعب رضت عنه هذه الطبقة واحاطته بهالة من الوطنية والاعجاب والتقدير، واذا

---

(٢٠) ١- محاضر مجلس النواب العراقي لسنة ١٩٣٦.

٢- ملفات البلاط الملكي «شعبة الوثائق الرسمية».

٣- حديث بقلم صادق البصام وزير المعارف ، نشر في جريدة الجبهة الشعبية ، في ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٥٢م.

٤- ابهام النكبة في العراق : الاستاذ طالب مشتاق.

٥- مذكرات القنصل العراقي في حيفا الى وزارة الخارجية «الملف المرقم ت/١٣/٢/٢» وثيقة رقم (٢٠٨). وجاء فيها «ان اليهود يزعمون انهم بالاتفاق مع الانكليز مهدوا للانقلاب العسكري سنة ١٩٣٦ للتخلص من وزارة الهاشمي».

غضب الانكليز على هيئة او شخص مسؤول او غير مسؤول ، غضبت عليه وسلطت سخطها وغضبها عليه وعلى انصاره، واثارت حوله دعاية منظمة واسعة، واسندت اليه مختلف الاخطاء ووصفته بابشع الصفات والنعوت واتهمته بالخيانة العظمى واستغلال النفوذ وصورته للشعب ديكتاتوراً ظالماً يمتص الدماء ويصادر الحريات . ثم وتحرض الشعب على محاكمته والثورة ضده... وكان الشعب العراقي يومذاك واكثريته جاهلة لا تقرأ ولا تكتب ، ومعظم افراده فقراء معدومون لا يهتمون إلا بلقمة العيش يستجيب إلى دعاية اليهود ، ويصدق اكاذيبهم، ويستمع من حيث يدري او لا يدري الى الاشاعات المغرضة، والتهم الباطلة يصبونها على قادة البلاد المخلصين، وزعماء العرب المؤمنين بوحدة العرب واستقلالهم.

وهكذا وعندما نفر الانكليز من حكومة الهاشمي نفر معهم اليهود ، وسلطوا عليها نيران دعاياتهم واباطيلهم ، واتهموها بابشع واخطر الاتهامات .

ولم يكن لدى الوزارة «جهاز اعلامي رسمي» بمستوى المعركة. وكانت وسائل الاعلام الاهلية الوطنية يومذاك ضعيفة ومشوشة فهي بوضعها المالي والثقافي عاجزة عن كشف المؤامرات الاجنبية وتعرية المخططات اليهودية العالمية والاستعمار الانكليزي ، واصبح المواطن العراقي ضحية للدعاية اليهودية-الانكليزية توجهه لخدمة اهدافها بلا حرج او مشقة.

اراد الهاشمي ان يصفي نفوذ اليهود في العراق لان هؤلاء يتآمرون على سلامة العراق وكيانه ويساعدون الصهيونية العالمية ومؤسساته العديدة. مساعدات مالية كبيرة في كل المناسبات والظروف ويشجعون الجمعيات الصهيونية في العراق على العمل السري والعلني، ومنه تدريب الشباب اليهودي على استعمال السلاح والهجرة الى فلسطين ..... وبعد ان درس الهاشمي وضع اليهود الاقتصادي واستيلائهم علم التجارة اصدر «قانون البورصة» وعزم على تحديد التجارة ومراقبتها.

قانون البورصة

كانت التجارة في العراق مصدر ثراء فاحش لليهود ، وكانوا يتحكمون في اسعد البضائع والحاجات والسلع، وكان المستهلك العراقي يشتري عدّة الحاجات بأسعار عالية مع ان اسعار هذه الحاجات في البلاد المجاورة اقل بكثير منها في العراق او في البلد المنتج لها . كما كانت المراباة والاقراض بفائدة تصل احياناً الى ٥٠٪ من قيمة

رأس المال يدران على اليهود اموالاً طائلة بلا عناء او مشقة) وفي هذا ضرر كبير على المواطنين المحتاجين الذين يضطرون الى الاقتراض ، ويعجزون اخيراً على تسديد الفوائد ورأس المال فيحل بهم الافلاس والدمار ، وخاصة «صغار الفلاحين والصناعيين» منهم. .

ولاجل ان تتحدد الاسعار ويفرف قيمة البضائع المستهلكة بشكل حقيقي لا يستطيع احد من اليهود ان يتلاعب فيها او يحتكر بيعها ، اصدر الهاشمي قانون البورصة وتحديد التجارة «رقم ٦٥ لسنة ١٩٣٥». واحدث مديرية عامة جديدة باسم «مديرية التجارة» واناط بها دراسة «الاوضاع التجارية» والعمل على مراقبة الاسعار والتجار ووضع قائمة محدودة بالاسعار» وتشجيع المؤسسات الحكومية على شراء حاجاتها رأساً من الاسواق العالمية بلا وساطة « قومسيون».. ثم انشأت الوزارة «البورصة العراقية» وبدأ العمل التجاري في مجال البورصة منظماً ونشيطاً تحت رقابة «مديرية التجارة» وتوجيهاتها .

ولاجل ان ينقذ الهاشمي «صغار الفلاحين والصناعيين» من الاقتراض بفائدة فاحشة أسس «البنك الزراعي الصناعي» واخذ يقرض المحتاجين بفائدة ضئيلة لا تتعدى ٣٪ من رأس المال . فتنفس الزراع والصناع الصعداء وتخلصوا من استغلال اليهود وامتصاص دماءهم وثرواتهم الوفيرة.(٢١)

لم يقف اليهود امام هذه الاعمال صاغرين ، بل سلطوا ابواق دعاياتهم على الهاشمي واتهموه بانه «العدو الاكبر لليهود» . واسندوا اليه الجهل بامور التجارة والاقتصاد ، وانه بجهله يسبب دمار تجارة العراق واقتصاده ، وهو يضطهد «الطائفة اليهودية» التي يجب ان تتمتع بالحرية والرفاهية وفقاً «لصك الانتداب وميثاق عصبة الامم» الى ذلك من التهم والدعايات. كما بدؤا اتصالاتهم المريبة مع كل الفصائل والقوى التي تهاجم الهاشمي وتسعى الى اسقاطه امثال «جماعة الاهالي ، والحزب الشيوعي العراقي والساسة المحترفين». وهكذا انطلق اليهود كالذئاب يتآمرون على

---

(٢١) ١- راجع : محاضر مجلس النواب لسنة ١٩٣٦.

٢- جريدة الوقائع العراقية الرسمية «القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٣٦».

٣- كتاب «السياسة المالية الرشيدة في عهد الوزارة الهاشمية الثانية» تأليف رؤوف البحراني.

٤- جريدة الاستقلال ١٤ تموز سنة ١٩٣٦.

الهاشمي ، لانهم طبقة طفيلية لا تعيش إلا «في الاسواق الحرة والتجارة الحرة». ولا تعيش إلا في ظل الصيرفة والمراباة وفي «محلات مغلقة منعزلة» تجيد تدبير المؤامرات والانقلابات..

٣- الحزب الشيوعي العراقي

انعقد اول اجتماع للشيوعيين في مدينة بغداد يوم ٣١ آذار سنة ١٩٣٤. وقرر المجتمعون توحيد منظماتهم في منظمة مركزية واحدة اطلقوا عليها «لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار» وكان عاصم فليح ابرز واحد في هذا المجال، فانتخبوه سكرتيراً لهذه المنظمة ، وانتخب «فهد يوسف سلمان» عضواً في اللجنة المركزية. واصدرت اللجنة بياناً لخصت فيه الاهداف السياسية والنظام الداخلي لمنظمتهم، وحصروا نشاطهم في صفوف العمال والفلاحين والجنود. وكانت نشراتهم الدورية تطالب بتشكيل النقابات وتحديد ساعات العمل وسن قانون حماية العمال .

. وفي تموز سنة ١٩٣٥ اطلقت اللجنة على نفسها «اسم الحزب الشيوعي العراقي» بدلاً من مكافحة الاستعمار والاستثمار . وصدرت جريدة(كفاح الشعب) تعبر عن الحزب وتنطق باسمه وكانت يومذاك تطبع على «الرونيو».

كانت شعارات الحزب في اول تأسيسه ١- الغاء معاهدة سنة ١٩٣٠. ٢- توزيع الاراضي على الفلاحين. ٣- الاعتراف بحق كردستان في الاستقلال . ٤- ضمان الحريات الديمقراطية لليهود وللاقليات الاخرى ولكل المواطنين.

وفي آذار سنة ١٩٣٥ اصدر الحزب بياناً دافع فيه عن الحركات المسلحة في جنوب العراق وفي كردستان. وفي آب سنة ١٩٣٥. اصدر الحزب بياناً آخر ايد فيه اضطراب عمال السكك الحديدية.

وكانت جريدة الحزب تهاجم الوزارة الهاشمية، وتدعو الشعب الى الثورة ضدها واسقاطها من الحكم. وكانت الوزارة الهاشمية بدورها تضيق الخناق على الحزب وتطارد اعضاءه وقد القت القبض على اكثر اعضاء اللجنة المركزية ، ومنهم عاصم فليح ، ثم اطلقت سراحه بعد ان قدموا تعهداً بنبذ المبادئ الشيوعية . كما صادرت الحكومة «مطبعة الحزب» واعداداً كثيرة من جريدته ومنشوراته الثقافية. وجمد الحزب نشاطه السياسي ، فلما حصل انقلاب ٢٩ تشرين الثاني بقيادة بكر صدقي، وفسح المجال للمؤسسات المعارضة لحكم الهاشمي والعمل السري مارس الحزب الشيوعي نشاطه

من جديد ، واقنع حكومة الانقلاب فسمحت لبعض الكتب الشيوعية والمنشورات الماركسية بدخول بغداد . ولما تأسست «جمعية الاصلاح الشعبي» انضم اكثر اعضاء الحزب اليها) ، واصبح محمد صالح القزاز احد الشيوعيين النشيطين محاسباً للجمعية المذكورة.(٢٢)

٤- جماعة الاهالي

في اواخر العشرينات اسس الطلاب في الجامعة الامريكية في بيروت وهم عبدالفتاح ابراهيم ومحمد حديد وابراهيم حيدر سلمان ، «جمعية ثقافية» تعني بالنواحي السياسية والاجتماعية . ولما عاد عبدالفتاح ابراهيم الى بغداد بعد تخرجه من الجامعة سنة ١٩٣١ ، بحث مع المحامين حسين جميل وعبدالقادر اسماعيل وعزيز شريف اصدار جريدة تعبر عن افكارهم التي اطلقوا عليها «الشعبية» . وقد صدرت الجريدة تحمل اسم «جريدة الاهالي» لتعبر عن آراء الجماعة التي تضمنت الامور الآتية ، وهي خليطاً من المبادئ والاتجاهات الليبرالية والماركسية ، ومنها :

١- ضرورة تدخل الدولة في تنظيم المجتمع.
٢- تطبيق نظام الحكم الدستوري المبين على قاعدة التمثيل النيابي.
٣- توزيع الاراضي على الفلاحين.
٤- تأسيس المزارع الجماعية التي تشرف على ادارتها الدولة مباشرة.
٥- تأسيس الجمعيات التعاونية ، الانتاجية والاستهلاكية .
٦- مقاومة الافكار القومية لأن هذه الافكار تؤدي الى استغلال الشعوب وتسلط الاستعمار .

في سنة ١٩٣٤ إنضم الى هذه الجماعة كامل الجادرجي وجعفر ابوالتمن.

ولما استقال حكمت سليمان(٢٣) من حزب الاخاء الوطني سنة ١٩٣٥ احتجاجاً على رئيسه ياسين الهاشمي لأنه اسند اليه وزارة المالية ، ولم يسند اليه وزارة الداخلية التي اصر حكمت على اشغالها ، انضم الى جماعة الاهالي يستغل نشاطها السياسي ضد

---

(٢٢) راجع : «التطورات السياسية في العراق» رسالة ماجستير للاستاذ جعفر عباس حميدي.

(٢٣) راجع : «التطورات السياسية في لعراق»

ياسين الهاشمي. وبدأ الجميع يعملون صفاً واحداً لمعارضة وزارة ياسين واسقاطها وبدأ الخلاف الفكري والسياسي بين جماعة الاهالي ينمو تدريجياً. وقد تزعم حكمت سليمان الاتجاه اليميني داخل الجماعة ، وتزعم عبدالقادر اسماعيل وعبدالفتاح ابراهيم الاتجاه الشيوعي المتطرف، وتزعم ابوالتمن وكامل الجادرجي ومحمد حديد الاتجاه اليساري المعتدل واصدر حكمت سليمان جريدة «المبدأ» بعد ان عطلت جريدة الاهالي، وقاد حملة المعارضة وتنظيم الاجتماعات والاحتجاجات على الوزارة الهاشمية. واخيراً قررت الجمعية ان تلجأ الى المؤامرات العسكرية كوسيلة فعّالة لتنحية الوزارة الهاشمية. ونجحت في مسعاها ، حيث ادخلت الفريق بكر صدقي في صفوفها.(٢٤)

---

(٢٤) حكمت سليمان : من كبار الاقطاعيين في العراق ومن الموالين للسياسة البريطانية. تملك عن طريق الغصب والاستيلاء اكثر من خمسين الف دونم من الاراضي الاميرية المشهورة بجودتها ، وهو سليل اسرة «كولامندية» غير عربية. من بقايا الكولومند المماليك. وهم خليط من ابناء الكرج والصرب والداغستان والألبان. فقد كان سلاطين آل عثمان يشترون هؤلاء الاقوام بواسطة النخاسين «لتجارة الرقيق» ويدخلونهم في خدمتهم ويلحقونهم بالمدارس العسكرية . وبعد تخرجهم منها ينظمون الى الخدمة في الجيش العثماني. وكان السلاطين يطمئنون الى اخلاص مماليكهم ويغدقون عليهم ارفع الاوسمة والرتب. ثم يسندون اليهم حكم الولايات العثمانية . وكان حكام العراق ما بين سنة ١٧٥٠و١٨٣١م. من المماليك وابناء المماليك.

نشأ حكمت سليمان في بيئة تكره العرب وتمجد الاتراك . وقد تلقى دراسته الاولية في بغداد ثم اكمل القسم الاهم منها في استامبول. وهو اخ شقيق لمحمود شوكت باشا الذي زحف على استامبول سنة ١٩٠٩. واجبر السلطان عبدالحميد على التنازل عن العرش.

انتسب حكمت سليمان الى جمعية «الاتحاد والترقي التركية» وهي جمعية اسسها غلاة الاتراك ، ومن اهم اهدافها القضاء على القومية العربية. وتتريك الشعوب والحكم بالحديد والنار ، واستطاعت هذه الجمعية ان تحكم الدولة العثمانية من سنة ١٩٠٨-١٩١٨م..

عين حكمت سليمان نائباً عن والي بغداد سنة ١٩١٨م. وبعد احتلال بغداد سافر الى برلين. ثم رجع اليها في سنة ١٩٢١ وعين «مديراً عاماً للبرق والبريد» ثم انتخب عضواً في المجلس التأسيسي سنة ١٩٢٤. وعين وزيراً للمعارف في وزارة عبدالمحسن السعدون الثانية ، ثم وزيراً للداخلية . وفي سنة ١٩٢٦ انتخب رئيساً لمجلس النواب . وفي الوزارة السعدونية الثالثة عين وزيراً للعدلية. وفي سنة ١٩٣٣ عين وزيراً للداخلية في الوزارة الكيلانية الثانية. وكان من اعضاء حزب «الاخاء الوطني» ومن اشد المخلصين لزعامة رئيسه ياسين الهاشمي. وفي سنة ١٩٣٥ انشق على الحزب وعلى ياسين

٥- حكومة الانتداب الفرنسي في سوريا

قضى ياسين الهاشمي زهرة شبابه في سوريا بين اخوانه الاحرار المجاهدين قبل الحرب العالمية الاولى وفي غضونها. وقد ساهم في تنظيم الجمعيات العربية السرية، وشارك في اكثر الاحداث الخطيرة التي عاشها السوريون بعد الحرب مباشرة. ولما رجع الى العراق ظل محتفظاً بصلاته وذكرياته مع اخوانه المناضلين القدامى، امثال السيد هاشم الاتاسي ، وشكري القوتلي ، وعادل العظمة ، وسعد الله الجابري ، وجميل مردم، وغيرهم من زعماء «الكتلة الوطنية».

وفي سنة ١٩٣٦ طالب السوريون باستقلالهم واصطدموا بحكومة الانتداب الفرنسي ، وجرت الاشتباكات المسلحة والمظاهرات الصاخبة بين الشعب السوري وجيش الانتداب الفرنسي، فاندفع ياسين الهاشمي «وكان رئيساً للوزراء» واحتج لدى الحكومة الفرنسية وعصبة الامم على وحشية حكومة الانتداب وشراستها ، وطلب من العصبة ان تمنح الشعب السوري حق تقرير مصيره ، وتحقيق استقلاله ، عملاً بميثاق العصبة ومبادئها ، وسمح للقوميين في العراق ان يتظاهروا ويحتجوا ، فكانت مظاهرات صاخبة اهتز لها العالم العربي وانتفض يساند الشعب السوري في قضيته العادلة. واضطر الفرنسيون امام يقظة العرب وغضبتهم ان يخففوا من غلوائهم ويفتحوا باب التفاوض بينهم وبين «الكتلة الوطنية» الممثل الحقيقي للشعب السوري. واقترحوا ان تكون باريس عاصمة فرنسا محلاً «للمفاوضة». وسافر الوفد السوري المفاوض برئاسة السيد «هاشم الاتاسي» ليحقق استقلال سوريا وسيادتها الكاملة ، ويعقد مع الفرنسيين بعد

لان ياسين لم يسند اليه وزارة الداخلية. وفي سنة ١٩٣٦ الف الوزارة بعد الانقلاب العسكري الذي تزعمه الفريق بكر صدقي . وفي سنة ١٩٣٩ وفي يوم ١٥ آذار اصدر عليه المجلس العرفي العسكري عقوبة الاعدام على حكمت سليمان لانه دبر مؤامرة لقلب الوزارة السعيدية القائمة. ولكن الحكومة البريطانية وسفيرها في بغداد السير «موريس باترسون» واصدقاء حكمت من ضباط الاستخبارات الانكليز وفي مقدمتهم السير «لويد» ضغطوا على الملك ونوري السعيد فابدلا عقوبة الاعدام بالسجن المؤبد. وقضى حكمت مدة سنة في السجن. ثم اعفي عنه وخرج من السجن وزاول تجارته وادارة اطيانه الواسعة وتوفي سنة ١٩٦٤م.

ان يعترفوا باستقلال سوريا معاهدة «الند للند» على قدم المساواة.

اصدر ياسين الهاشمي اوامره الى المفوضية العراقية في باريس وكافة القنصليات في فرنسا ان تقوم بواجبات الضيافة للوفد المفاوض، وتقدم اليه ما لديها من الوثائق الرسمية والمستندات القانونية التي تثبت حقوقه المشروعة وامر الوزير المفوض في باريس ان يكون في خدمة «القضية السورية» في جميع المحافل والمناسبات الرسمية.(٢٥)

لقد ارتاحت الاوساط القومية الى هذه الالتفاتة السامية من رئيس وزراء العراق. واظهرت الصحافة السورية بالغ تقديرها وشكرها للهاشمي وسياسته العربية الحكيمة. ولما رجع الاتاسي الى دمشق، شكر قائد العراق على وطنيته الصادقة فقال في تصريح له نشرته جريدة القبس السورية «ان القوى الوطنية في سوريا قد انتظمت لجانها، وتعددت مكاتبها، وتماسكت فروعها بفضل ياسين الهاشمي ومساعداته وتوجيهاته».. وقد مجّد اعمال الهاشمي ايضاً، السياسي اللامع السيد فارس الخوري احد اعضاء الكتلة الوطنية السورية والقى اضواءً جديدة على جهود الهاشمي في هذا المضمار نشرتها جريدة البلاغ الموصلية في حينه.لم تنس حكومة الانتداب الفرنسي في سوريا مواقف ياسين القومية، وعداءه للحكم الفرنسي وتشجيعه المستمر على احداث الاضطرابات السياسية في سوريا، وتزويده المجاهدين القوميين بالاموال والسلاح، ودعمه المباشر لجهود واماني القوميين الاستقلالية، ووثباتهم العديدة، فاستغلت سذاجة «اليزيدية» الذين يسكنون قضاء سنجار المتاخم لسوريا. وحرضتهم على العصيان والتمرد عندما عزمت حكومة الهاشمي على تطبيق «قانون التجنيد الاجباري» في مناطقهم. واذاعت بينهم ان خضوع اليزيدية لهذا القانون يتنافى مع تعليمات دينهم وتقاليدهم وعقائدهم التي تحرّم عليهم الاختلاط بالمسلمين، ووزع ضباط «الاستخبارات» كميات كبيرة من الاموال والسلاح على رؤساء هذه «الطائفة». واغروهم باعلان الثورة. وقد ثار اليزيديون فعلاً، وجردت عليهم الحكومة حملة عسكرية بقيادة «اللواء حسين فوزي»، فاخمد هذه الثورة في تشرين الثاني سنة

---

(٢٥)١- جريدة القبس الدمشقية، تاريخ ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٣٦، تصريح هاشم الاتاسي.

٢- جريدة البلاغ الموصلية ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٣٩، تصريح لفارس الخوري.

٣- جريدة الاستقلال يوم ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٤٢ «في ذكرى ياسين الهاشمي» بقلم جميل مردم بك رئيس وزراء سوريا.

١٩٣٥ ، وحكم[٢٦] على المتفقين الذين نظموا الثورة ومهدوا لها بعقوبة الاعدام ومنهم المحامي عبدالله فائق وعبدالكريم قره‌كله .

٦- الملك غازي

بدأ العداء واستفحل الشك بين الملك ورئيس وزرائه بعدما هربت اخت الملك الاميرة عزة وتزوجت من شخص مسيحي لا يليق بمكانة اسرتها. فكان هذا الزواج جرحاً في صميم الكرامة العربية والعزة الاسلامية، وتألم الرأي العام من اهمال الملك غازي شؤون اسرته وعدم رقابته لافراد الاسرة المالكة، فقد كان الملك منصرفاً إلى لهوه اكثر من انصرافه لشؤون مملكته، وقد احاط نفسه بحاشيته من صغار الضباط الطائشين لا تعرف من الحياة الا العبث والمجون. فأخذت تسيئ الى سمعة الملك ومنزلته بين افراد الشعب كما استغلت علاقتها بالملك لقضاء مصالحها الشخصية في مناسبات كثيرة، وتمردت على طاعة من هو اعلى رتبة في مركز القيادة. وكان الملك غازي على العموم لا يشعر بمسؤوليته كملك ديمقراطي « يسود ولا يحكم » ..عملاً بالتقاليد الدستورية المعروفة في العالم الديمقراطي فقد كان يتصرف في حياته العامة والخاصة بتصرفات الشباب المغامر. وكان يقود سيارته بسرعة جنونية تعرضه لافدح الاخطار، ويطير بطائرته «العقاب الذهبي» مخترقاً أجواء الفضاء ويقوم بالعاب انتحارية تعرض حياته للموت في اكثر الاحيان .

فلما اراد الهاشمي ان يشعر الملك بأنه «مصون وغير مسؤول» وان حياته وحياة اسرته وسمعتهم هي «ملك الشعب» وليس ملكهم فقط . اصدر مرسوم (١) الاسرة المالكة رقم « ٧٥ لسنة ١٩٣٦ »[٢٧] واخرج من البلاط الملكي كثيراً من الموظفين الذين لا

---

(٢٦) جريدة البلاغ الموصلية . تشرين الثاني سنة ١٩٣٥. «تاريخ الوزارات العراقية» الحسني . تكون المجلس العرفي العسكري من المقدم عبدالوهاب عبدالعزيز رئيساً. وعضوية الرئيسين يحيى زهدي وفائق السيد سليمان. والحاكمين بها مالدين البازجي وعبدالحميد مدحت.

(٢٧) ١- جريدة الوقائع العراقية لسنة ١٩٣٦ .

٢- راجع «مذكرات طبيب العائلة المالكة» الدكتور هاري سندسن باشا ، بعنوان «عشرة آلاف ليلة وليلة» سنة ١٩٧٢.

- راجع مذكرات ناجي شوكت المطبوعة سنة ١٩٧٥م.

- «العراق بين امسه وغده» السيد خليل كنه.

يـ... بحاشية البلاط وقد عرفوا بسوء السمعة وفساد الذوق. ووضع رقابة شديدة على مصروفات الملك ليقيه مشاكل الاسراف والتبذير. ومنع صغار العسكريين من حضور مجالسه إلاّ في الامور الرسمية. وأمر ان تجرى مقابلات الملك بحضور الوزير المسؤول وفقاً للعرف الدستوري المتبع في الدول الديمقراطية.

اثارت اجراءات الهاشمي هذه سخط الملك ونقمته ، واستغل خصوم الهاشمي غضب الملك عليه ، فأخذوا يوغرون الحقد في صدره ، ويصورون ياسين «شبحاً يهدد العرش» و «يحطم التاج»... واخذ هؤلاء الساسة وخاصة حكمت سليمان يتصلون بالملك عن طريق «مدير التشريفات» السيد ناجي الاصيل ويفسرون اعمال ياسين وخطواته تفسيرات تثير الشك والخوف عند الملك وقد انتهزوا خطبة القاها ياسين الهاشمي عندما زار مدينة البصرة وجاء فيها «انه سيرى مدينتكم بعد عشر سنوات من وجوده في الحكم احسن بلدة في العراق رفاهية وعمراناً»... فقالوا للملك إن ياسين الهاشمي يمهد لبقاءه في الحكم مدة عشر سنوات. ولنه يتآمر مع رؤساء العشائر على اعلان الجمهورية . وصدّق الملك غازي هذه الاقوال وتلك الوشايات واخذ يعرقل اعمال الوزارة ، ويشجع المعارضين على كفاحها ، ويتصل سراً بكبار العسكريين امثال بكر صدقي ، ويفضي اليهم بمخاوفه ومكنونات نفسه. ويطلب منهم ام يكونوا «حراساً للعرش وامناء اوفياء للعرش وصاحبه».

«قانون التجنيد الاجباري» او خدمة العلم

ادرك ياسين الهاشمي بثاقب بصره ان العراق بلد محاط بالاعداء ، وجيرانه يطمعون في كثير من اجزائه ، فايران تطمع في السيطرة على شط العرب وجزء من المنطقة الجنوبية الشرقية بمحاذاة لواء العمارة والكوت ، وتركيا لاتزال تراودها الاحلام في اعادة منطقة الموصل ، والانكليز قد رسخوا اقدامهم وفرضوا حكمهم وامتيازاتهم بقوة الحرب ، والاقطاعيون ينازعون السلطة المركزية ويحولون دون سيادة القانون ، وتنفيذ الاصلاحات الاجتماعية. والعراق عموماً قطر يمزقه الجهل والفقر والمرض ، فهو بحاجة الى تجديد واعمار ، ونهضة ثقافية واجتماعية واقتصادية تشمل كل المواطنين. وهو في الوقت نفسه بلد ناقص السيادة مشوه الاستقلال لأن الانكليز يتدخلون في اموره ويتحكمون بمصائره بشكل مباشر وغير مباشر ، ويبتلعون خيرات العراق وثرواته بحيل قانونية ومعاهدات ظالمة غير متكافئة . وكل حكومة في العراق لا تستطيع ان

تحقق الاصلاح والتقدم ولا تستطيع ان تحافظ على وحدة العراق وسلامة كيانه وحدوده إلا اذا كان لديها «جيش قوي مسلح يصون كرامة البلاد ، ويحفظ امنها الداخلي ويصد عنها الاطماع والعدوان وبدافع من هذا الشعور' والتفكير وقدصدرت الارادة الملكية في ٢ مايس سنة ١٩٣٥. بتنفيذ قانون الدفاع الوطني اولاً ، وتخصيص مبالغ كبيرة لتنمية القوة الجوية وشراء دبابات واسلحة حديثة لتقوية صنوف الجيش الاخرى .
وبدأت مديرية التجنيد العامة ومراكز التجنيد وهيئاتها ، عملها في مراكز المدن والقصبات ، ولكن اكثر المواطنين استقبلوا قرار الحكومة في هذا الموضوع بالوجوم والقلق . فالطبقة المثقفة الواعية ايدته وادركت مزاياه الكبيرة وعقدت عليه الآمال لكبيرة في المستقبل القريب . واما السياسيون المحترفون فقد وجدوا الفرصة سانحة لإثارة الرأي العام وشيوخ القبائل ورجال الاقطاع على وزارة الهاشمي وقانون التجنيد الاجباري وصوروا لهؤلاء ان القانون سيخلق من البلاد جيشاً قوياً يقضي على سلطتهم وامتيازاتهم القبلية . واذاعوا بين سكان المدن او اولاد الامة سيموتون جوعاً وتعباً اذا التحقوا بالخدمة الالزامية. وان الثورات الداخلية وما اكثرها في العراق ستحصد فلذات اكبادهم وتزهق ارواح ابنائهم وهم في عمر الربيع وعنفوان الشباب . ولا حاجة لمثل هذا القانون الظالم . فنظام «التطوع» الذي سارت عليه الحكومات السابقة يغني عن «نظام الخدمة الاجبارية».
وان قانون التجنيد الاجباري يؤدي الى نقص الانتاج الزراعي والاقتصادي بسبب التحاق الشباب العامل في الخدمة العسكرية. وهكذا لاقت دعايات الساسة المحترفين صدى عميقاً وتجاوباً كبيراً في نفوس الشيوخ والاقطاعيين وعدداً هائلاً من سكان المدن، واخذت وفود العشائر تزور بغداد غاضبة ومحتجة على تطبيق القانون، وتطلب ارجاء تنفيذه ورحّب بهم الساسة المعارضون ، وشجعوهم على العصيان والتمرد والثورة على حكومة الهاشمي ، واسقاطه. وتزعم التحريض والإثارة حكمت سليمان وجميل المدفعي وجعفر ابوالتمن وكل الفصائل المعارضة الاخرى . هذا ما جرى على الصعيد الداخلي ، واما ما جرى على الصعيد الخارجي ، فإن ايران ذات المطامع الكبيرة في اراضي العراق وجدت في تنفيذ القانون خطراً عليها ، لانه سيخلق في العراق جيشاً قوياً يحد من اطماعها وعدوانها على الحدود العراقية، فبادرت الى التدخل سراً عن طريق عملائها. واتصلت ببعض القبائل المجاورة للحدود العراقية منها ووزعت الاموال ،

وحرضت على احباط القانون ومقاومة التجنيد الالزامي وقد نجحت في اكثر محاولاتها وبدأ السخط والتذمر يسري بين القبائل في العراق[٢٨]

ثورة الشيخ خوام

اول من ثار على وزارة الهاشمي وحمل السلاح ضدها هو الشيخ خوام العبد عباس الفرهود من منطقة «الرميثة» وهو من اتباع السيد جميل المدفعي احد رؤساء الوزارات السابقين. وقد طلب من الوزارة أن تستقيل من الحكم ، وتعفيه من دفع الضرائب ، وتسمح بالاستيلاء على مساحات شاسعة من اراضي الدولة. وطرد الشيخ الموظفين في القصبات واعلن العصيان الكامل، فأرسل اليه رئيس الوزراء وفوداً من رؤساء القبائل يلتمس منه ان يعود الى طاعة الحكومة ويخضع لسلطة القانون ، ولكن الشيخ خوام رفض الالتماس ، واصرّ على عناده وتمرده.

فقررت الحكومة ان تخمد الثورة ، وارسلت اليه حملة عسكرية بقيادة الفريق بكر صدقي في يوم ١٩٣٥/٥/٥ واستطاع الجيش ان يؤدب الثائرين ويفرض سلطة الدولة ، ويعيد الامن الى نصابه في تلك الربوع.

لقد ثبت لدى الوزارة ان المحترفين السياسيين في بغداد ، وحكومة ايران، تضافروا على تحريض المواطنين الابرياء على العبث بامن الدولة وهيبة الحكومة. واخذوا يتصلون باشخاص كثيرين لتحقيق هذا الغرض. ومن هؤلاء الاشخاص «الشيخ احمد اسدالله». وهو رجل ايراني له نفوذ واسع بين العشائر. «ومهدي الكرمنشاهي». والحاج «مهدي البهبهاني» فقد بدأ هؤلاء يبثون الدعايات الضارة ضد الوزارة الهاشمية في الوقت الذي رفعت فيه حكومة العراق شكواها على ايران في عصبة الامم. وبدأت العصبة تناقش شكوى العراق حول الحدود الايرانية العراقية. فلما نفت الحكومة هؤلاء

---

(٢٨) راجع مذكرات طه الهاشمي حيث يقول : من الحق ان اذكر ان وزارة رشيد عالي الكيلاني الاولى وياسين وزير ماليتها ووزارة ياسين الهاشمي الثانية سنة١٩٣٥. كانتا من اولى الوزارات التي عملت على تقوية الجيش . وفي الوقت الذي وضعت الخطط لتنسيق الجيش على اساس فرقتين وقطعات ملحقة به لم اهمل قضية تموينه بالعتاد اللازم وقت النفير. وتم تشكيل الفرقتين بداية سنة ١٩٣٦ وكان الهاشمي رئيس الوزراء قد ارسل مذكرة مستعجلة الى وزير الدفاع يطلب اليه «الاسراع وتخصيص النفقات لتشكيل الفرقة الثالثة. وتقرر ايفادي بصفة رئيس لاركان الجيش » الى انكلترا لشراء المدافع والطائرات والعتاد.. فاستفاد بكر من هذه الفرصة وقام بانقلابه المعروف»...

الايرانيين إلى خارج الحدود عادت الامور الى مجاريها الطبيعية لفترة قصيرة. وفي كانون الثاني تمكنت «الاستخبارات العسكرية» بالعثور على كميات كبيرة من الاسلحة يقوم بتهريبها وبيعها إلى رؤساء العشائر في الجنوب الاشخاص «عابدين صلهم، وصالح بن يوسف وحمد بن عوض». وبعد التحقيق اعترفوا بهذا العمل

وقد تمكنت «حامية الناصرية وجهاز الشرطة فيها» ان تلقي القبض على شخصين ينتسبان الى القنصلية البريطانية، يتجولان بين العشائر ويحرضانها على التمرد والثورة.

الثوارت في سوق الشيوخ والمدينة

في عشرين حزيران سنة ١٩٣٥، نشرت جريدة البلاد بياناً صادراً من وزارة الدفاع يتضمن فتح «١٩» تسعة عشر مركزاً للتجنيد في كافة انحاء البلاد كخطوة اولى لتنفيذ قانون الدفاع الوطني «التجنيد الاجباري».. فلما انتشر هذا البيان تمرد ثلاثة من الشيوخ على السلطة وهم عجيل الشويللي رئيس الحسينيات، وكاطع البطي رئيس الازيرج، ومنشد الحبيب رئيس آل غزي. وفي ايلول سنة ١٩٣٥ ثارت عشائر المدينة قرب القرنة ضد محاولات الحكومة لتنفيذ القانون ايضاً وكانت امارة الكويت وهي «تحت الحماية الانكليزية» تزود الثوار بالاسلحة. فقد وصلت الدفعة الاولى اليهم وقدرها خمسمائة بندقية انكليزية. وتوالت المساعدات ووصلت الى عشائر «القرنة» كبني منصور والرحمانية وتشجيع هؤلاء فرفعوا الى الملك غازي عرائض والتماسات يطلبون فيها اعفاء ابناءهم من التجنيد، ولما جاءهم الجواب انه لا يجوز استثناء فرد من الجندية إلا وفقاً لاحكام القانون، ثاروا على الحكومة واعلنوا انضمامهم إلى اخوانهم من الثوار في «المدينة» وقد استغلت الحكومة الايرانية غضب الثوار ورفضهم لتطبيق القانون فأرسلت اليهم مع عملاءها كميات من المناشير تحرضهم على عدم الخضوع للسلطة والاستمرار في التمرد والكفاح المسلح، فألقت السلطة العراقية القبض على هؤلاء ومنهم الايرانيين «عبدالمحسن عبدالله» من سكان قرية «الهويز». والشيخ باقر المظفر من قرية الكطوان» نفتهم خارج الحدود العراقية.

ثورة الشيخ شعلان العطية

كان شعلان العطية من اقرب الشيوخ إلى حكمت سليمان واحبهم اليه. فهو لا يخرج عن طاعة صديقه حكمت سليمان ويسير في الخط الذي ترتضيه مهما كانت الاسباب. وهو يأمر منه التمرد على وزارة الايوبي ووزارة المدفعي سنة ١٩٣٥. وهو في ٦ حزيران سنة ١٩٣٦ يعلن الثورة على وزارة الهاشمي بأمر من حكمت سليمان كذلك. وقد اعطى الشيخ اسباباً كثيرة لهذه الثورة منها اولاً انه لايريد ان ينفذ قانون الخدمة العسكرية على افراد قبيلته وثانياً انه يطلب من الوزارة ان تسمح لمواكب العزاء الحسينية ان تسير في الشوارع ولا تتعرض لاصحابها عندما يضربون انفسهم «بالزناجيل والفؤوس» [فلقد منعت الوزارة الناس من مزاولة هذه العادة المضرة لأنها تخالف روح الدين الاسلامي وتعاليمه]. وثالثاً طلب تنحي «الوزارة الهاشمية عن السلطة باسرع وقت».

وقد اراد الهاشمي ان يرجع الشيخ الى صوابه، ويعلن خضوعه للقوانين، وينصرف عن اعمال التهديد والوعيد، فأرسل اليه وزير الداخلية السيد رشيد عالي الكيلاني يقدم له النصح والارشاد ويدله على طريق الصواب، ولكن الشيخ رفض محاولات الوزير وابى ان يستجيب إلى طلب رئيس الوزراء، وأصر على تنفيذ طلباته السابقة. فاضطرت الحكومة امام هذا العناد والغرور، ان ترسل إلى قبائل الشيخ قوة عسكرية كبيرة يقودها «الفريق بكر صدقي» قضت على الثورة بوقت قصير. واستسلم الشيخ الى السلطة واحيل الى المجلس العرفي العسكري فحكم عليه بعقوبة الاعدام، ولكن توسط السيدين حكمت سليمان وجعفر ابوالتمن لدى قائد القوات، خفف من العقوبة وبدلها الى عقوبة «النفي خارج حدود اللواء»، وتقرر جعل مدينة الرمادي محلاً لاقامته.

احتجاج السياسيين

انتهز السياسيون في بغداد اضطراب الامور، واندلاع الثورات، فحزموا امرهم على مهاجمة الوزارة الهاشمية واسقاطها، لان الجو السياسي العام والظروف الطارئة اصبحت مواتية لخدمة مقاصدهم، فالوزارة الهاشمية بدأت تترنح وتنهار من شدة

الضربات والثورات ، ولابد من ضربة قاصمة تهوى على ظهرها وهي تعالج سكرات الموت. وكانت اولى الضربات عريضة شديدة اللهجة قاسية الاسلوب ، مليئة بالتهم رفعها السيد جعفر ابوالتمن الى الملك غازي يوم ١٠ مايس سنة ١٩٣٦ تفيض بالنقد المرير والكلام الجارح ، طلب صاحبها من الملك غازي ان يقبل استقالة وزارة الهاشمي ويسند الحكم الى رجال اكفاء مخلصين.

وفي يوم ١٤ مايس سنة ١٩٣٦ رفع السادة جميل المدفعي وفخري الجميل وجمال بابان ورشيد الخوجة وعبدالعزيز القصاب ومولود مخلص والشيخ احمد الداؤد إلى الملك عريضة لاتقل شدة وقسوة ، يقولون فيها ان الشعب لم يعد يتحمل طغيان الهاشمي ومظالم وزارته، ولابد من حل عاجل يعيد الثقة والامن الى النفوس وينقذ البلاد من كوارث تهدد بأوخم العواقب

جستن. ضابط المخابرات البريطانية

جستن ضابط مخابرات بريطانية من اصل يهودي ، رافق الحملة البريطانية التي احتلت العراق سنة ١٩١٤. وبأمر من رؤسائه استقال من الجيش ، وتوظف في شركة «لنج» البريطانية في العراق وفتح له محلاً تجارياً في شارع الرشيد يبيع فيه الاقمشة والاحذية لطبقة من الناس المترفين، وكان محله مركزاً يحضر فيه كثير من الساسة الذين تربطهم بالانكليز روابط محبة وولاء.[٢٩] وقد استطاع جستن بذكائه وعلاقته الوثيقة بالسفارة الانكليزية ان يقوي صلاته بالانتهازيين والمثقفين من طلاب المناصب والوزارات على اختلاف عقائدهم ومللهم. وكانت داره الجميلة في الكرادة - المفرق تغص ليلاً بنماذج غريبة من الرواد والعملاء ، يعاقرون الخمور في احضان الحسان

(٢٩) عندما نشبت الحرب الوطنية بين العراق والانكليز سنة ١٩٤١ «حركة رشيد عالي» لعب جستن دوراً كبيراً في احداث شقاق في الجبهة «الداخلية». واخذ هو وعملاءه يوزعون منشورات «ضد الثورة وضد الجيش» فألقت السلطات القبض عليه - واعتقلته مع زمرة من اعوانه: فلما احتل الانكليز بغداد واطلقوه ، فعاد يزاول نشاطه بشكل واسع. ولما بدأت «الحرب الفلسطينية» ضد الغزو اليهودي سنة ١٩٤٨ . انضم الى «منظمة الهاكانا» وقتل في شوارع «حيفا» اثناء الاصطدام المسلح مع العرب.

الرشيقات» ثم يتلقون الاوامر من جستن في اكثر الشؤون والمناسبات.(٣٠)

وفي اواسط تشرين الاول سنة ١٩٣٦ شهدت دار جستن «اجتماعين مغلقين» بين السيد حكمت سليمان ، وبكر صدقي ، خرج بعدها الاثنان وهما اكثر محبة وتفاهماً من قبل ، ثم توالت اجتماعات جستن مع حكمت واخوان حكمت في دار حكمت الواقعة في الصليخ من ناحية الاعظمية.. وبناء على رغبة حكمت واصراره انضم الفريق بكر صدقي الى جماعة «الاهالي» وبدؤا يعملون ويستعدون للانقلاب . وكانت مشاكل الوزارة الهاشمية وموجات التذمر والسخط التي انصبت على رئيسها من كل الجهات تشجع حكمت سليمان على المضي قدماً في خطوات التآمر ، وفي احد الليالي من تشرين الاول التقى حكمت مع بكر وكان في حالة شديدة من الغضب والانفعال وخاطب بكر قائلاً «يابكر صدقي إن سلامة المملكة ومستقبلها وحرية العراق وكرامة ابنائه وحرمة نسائه وكل شيئ في هذا البلد العزيز بين يديك ، الحالة كما ترى لا تطاق ، وقد اصبحت الكلمة للقوة اي للجيش ، اي لك. فعظام الاجداد تناديك من أعماق القبور ، بأن قد دنى الاجل»...

شكوك في محلها

تجمعت لدى ياسين الهاشمي معلومات كثيرة عن نشاط بكر السياسي وعلاقته بالمعارضين حكمت سليمان وجعفر ابوالتمن ، فقد اخبره السادة «علوان الياسري ، ومحسن ابوطبيخ ، والشيخ عبدالواحد الحاج سكر» عن اتصالات ومحادثات جرت بين بكر صدقي وبعض الشيوخ المعارضين لحكومة الهاشمي ، وان بكر كان ينفذ سياسة الهاشمي ويظر تذمره منها. كما ان الكتلة القومية(١) من ضباط الجيش وعلى رأ..ها

(٣٠) حدثني الفريق الركن «اسماعيل صفوت سعيد» وهو الذي رافق بكر صدقي عندما اخمد ثورة الآثوريين سنة ١٩٣٣ وثورات الفرات الاوسط سنة ٣٥-٣٦. وكان ضابط ركنه ، ومستشاره ، وكاتم اسراره. وفي الانقلاب سنة ١٩٣٦ كان رئيس ركن الفرقة الثانية. التي قادها بنفسه . حدثني سنة ١٩٧١م. عندما سألته عن علاقة «جستن» بالفريق بكر صدقي وحكمت سليمان قال [كنت من انصار بكر صدقي ومن المعجبين به ، وكنا نتوقع من انقلابه اصلاحات كثيرة ، ولكن آمالي خابت بعد شهرين من حدوث الانقلاب ، وقد علمت ان بكر اخذ يتردد على دار «جستن» ويقضي عنده سهرات ماجنه ، وعلمت ايضاً «القول لصفوت سعيد» من مرافقيه العسكريين «جمال جميل ، وعلي غالب «الملقب بالاعرج» ان بكر صدقي وحكمت سليمان كانا على علاقة وثيقة «بجستن» قبل الانقلاب ايضاً.

«المقدم صلاح الدين ومحمد فهمي سعيد» شعرا بتحركات واجتماعات سرية يعقدها بكر مع جماعة من ضباطه تثير الشبهات وتسترعي اليقظة، فطلبوا من السيدين جمال المفتي نائب الموصل والسيد يونس السبعاوي المحامي ان يحيطا الهاشمي علماً بهذه التحركات والاجتماعات لأن بكر صدقي رجل طموح غير مأمون. وقام السيدان المفتي والسبعاوي بما يجب ونقلا إلى الهاشمي ملاحظات المقدمين صلاح الدين وفهمي سعيد بهذا الخصوص .. فتنبه الهاشمي إلى خطر جديد يهدد النظام القائم من أساسه[٣١] وصمم على إقصاء الفريق بكر صدقي في أقرب فرصة مؤاتية . وصادف ان قدم بكر صدقي استقالته في الجيش يوم ١ تموز سنة ١٩٣٦ ليتحسس نوايا رئيس الوزراء ورئيس الاركان طه الهاشمي تجاهه، وليتعرف على مدى ثقتهم به واعتمادهم عليه، فوجد ياسين ان الفرصة قد سنحت للتخلص من بكر ومؤامراته. وسمع السيد نوري السعيد وهو في طهران يومئذ فأبرق الى الهاشمي ينصحه بقبول استقالة بكر صدقي لأنه «اخذ يتدلل» اكثر من اللزوم وانه يخشى جانبه وهو من تلاميذ «الاستخبارات البريطانية في العراق» . فتشجع ياسين على قبول الاستقالة، وطلب من الكيلاني وزير الداخلية وطه الهاشمي رئيس الاركان العامة ليقوما بما يجب من الاجراءات لاحالته على التقاعد. ولكن الكيلاني توسل الى ياسين والتمس ايقاف هذه الاجراءات، واخذ يبرهن على اخلاص بكر صدقي ومحبته للهاشمي ولاخيه رئيس الاركان، وان ما نقل الى الهاشمي من اخبار عن طموح بكر ونشاطه غير صحيحة ولا موثوقة وانما دبرها خصومه من الوشاة والحاسدين. وقد شارك[٣٢] طه الهاشمي رئيس الاركان السيد

---

(٣١) «عروبة العراق» «خواطر يومية مخطوطة» بقلم السيد جمال المفتي.

(٣٢) طه الهاشمي رئيس الاركان العامة : ولد في بغداد سنة ١٨٨٨. واكمل دراسته في المدرسة الراشدية والاعدادية العسكرية سنة ١٩٠٣ وهو اخ شقيق لياسين الهاشمي.

وفي عام ١٩٠٣ سافر الى استانبول ودخل المدرسة الحربية وتخرج منها عام ١٩٠٦ برتبة ملازم ثاني وكان الاول في صفه.

دخل كلية الاركان في استانبول وتخرج منها عام ١٩٠٩ برتبة رئيس اركان حرب وكان اول في صفه ايضاً.

تعين بعد تخرجه في الجيش العثماني الخامس في سوريا. واشترك في حركات حوران مع الفريق سامي باشا الفاروقي. كأركان حرب للفرقة الاولى.

تعين في عام ١٩١٠ في الشعبة الاولى لدائرة اركان حرب الفيلق الثامن في دمشق واتصل بدمشق برجالات سوريا الاحرار.

رشيد عالي في آرائه، والتمس من اخيه رئيس الوزراء ان يرفض الاستقالة لأن بكر صدقي من «محسوبيه» ومن «خدامه المخلصين».

فوافق الهاشمي على مضض، ورفض استقالة بكر، واكتفوا بنقله من بغداد واسندوا اليه «قيادة الفرقة الثانية» ومقرها في كركوك.. فشعر بكر بمثانة مركزه وسلامة كيانه. ومرت الايام سراعاً، والمسؤولون في غفله عما يجري في الخفاء من محادثات واجتماعات.

وفي عام ١٩١٢. اشترك في الحرب البلقانية. وفي سنة ١٩١٣ نقل الى اركان حرب الفيلق الرابع واشترك في حركات انقاذ ادرنه وقرەقيليسيل من البلغار، وفي شتاء سنة ١٩١٣م. اجتمع بصديقه الفريق عزيز علي باشا المصري في استامبول وكان من اوائل الذين انضموا الى جمعية العهد السرية. وقد املى عزيز علي المصري عليه منهاج ونظام الجمعية

وتعين في ٢٦ كانون الاول سنة ١٩١٦ رئيساً لاركان حربية الفيلق العثماني السابع في اليمن. فسافر من استامبول الى اليمن ماراً في بيروت ودمشق والموصل وبغداد والبصرة متصلاً بفروع جمعية العهد السرية ومنظماً لها.

وبعد اعلان الحرب سنة ١٩٤١. عين رئيساً لاركان الفرقة التي هاجمت محمية عدن، وفي سنة ١٩١٨ رفع الى رتبة عقيد. وبعد الهدنة، بقي في اليمن. وقام في مهمة تنظيم جيش اليمن بتكليف من الامام «يحيى حميدالدين».

وفي سنة ١٩٢٢ التحق في الجيش العراقي وعين آمر لمنطقة الموصل، وفي سنة ١٩٢٣ عين رئيساً لاركان الجيش العراقي.. وفي سنة ١٩٢٨ رفع الى رتبة زعيم ثم الى رتبة فريق سنة ١٩٣٠. وفي اوائل سنة ١٩٣٦ رفع الى «رتبة عميد» «اي مستر».. وفي سنة ١٩٣٦، وبعد الانقلاب العسكري احالته حكومة الانقلاب على التقاعد.. وحل محله بكر صدقي قائد الانقلاب. وفي سنة ١٩٣٧ انتخب نائباً عن لواء بغداد. وفي سنة ١٩٣٩ تولى وزارة الدفاع في وزارة نوري السعيد ورشيد عالي الكيلاني الثالثة. وفي شباط سنة ١٩٤٠ تولى رئاسة الوزارة. ودامت وزارته الى اول نيسان سنة ١٩٤٠. وفي سنة ١٩٥١ انتخب رئيساً «لحزب الجبهة الشعبية» وفي سنة ١٩٥٤ عين نائباً لرئيس مجلس الاعمار الذي حل بعد ثورة تموز سنة ١٩٥٨ مباشرة. وتوفي في لندن ١١ حزيران سنة ١٩٦١.

«مؤلفاته»

١-نهضة اليابان. ٢-التاريخ والحضارة في الازمنة الغابرة. ٣-تاريخ الشرق القديم. ٤-خالد بن الوليد. ٥-مباحث في التعبية ثلاث مجلدات. ٦-الخدمة السفرية في مجلدين. ٧-حرب العراق في مجلدين. ٨-تاريخ الحرب. ٩-جغرافية العراق العسكرية. ١٠-مفصل جغرافية العراق. ١١-الجغرافية العسكرية. ١٢-مذكرات طه الهاشمي «طبعت بعد موته» سنة ١٩٦٧.

الفصل الثالث
انقلاب بكر صدقي
بكر صدقي قائد الانقلاب

بكر صدقي من اصل كردي. ولد في قرية عسكر التابعة الى لواء كركوك، وانتقل إلى بغداد حيث اشغل والده وظيفة صغيرة في مديرية البريد، ودخل بكر المدرسة الرشدية ثم الاعدادية العسكرية وتخرج منها، وخدم كضابط في الجيش العثماني. وفي سنة ١٩٢١ التحق في صفوف الجيش العراقي ثم تدرج في سلم الخدمة العسكرية متنقلاً في مناصب كثيرة. وفي سنة ١٩٣٣ رفع الى رتبة «لواء» ، وفي سنة ١٩٣٦ رقي الى رتبة «فريق».

وفي ٢٩ تموز عندما سافر المشير طه الهاشمي «رئيس الاركان» الى انكلترا لشراء سلاح وحضور مناورات الجيش البريطاني ، عين الفريق بكر صدقي وكيلاً لرئاسة اركان الجيش بصفته أقدم رتبة بعد «رئيس اركان الجيش».

وقد لمعت شخصية بكر صدقي في اوساط الجيش والشعب بعد الانتصارات التي احرزها في قمع ثورة الآثوريين سنة ١٩٣٣ ، وثورات الفرات الاوسط سنة ١٩٣٥-١٩٣٦. وطغت شخصيته على شخصية طه الهاشمي لأنه اكثر انفتاحاً واعمق صداقة مع زملائه الضباط . ولما شعر السياسيون المحترفون في العراق بمكانة بكر السامية في الجيش، بدؤا يتزلفون اليه ويخطبون وده ورضاه وخاصة حكمت سليمان وجعفر ابوالتمن، فأصبح يؤمن بأفكارهم وانضم الى جماعتهم في ايلول سنة ١٩٣٦. وقد اثار السياسيان روح الغرور والطموح في اعماق نفسه، وكذلك فعل معه الآخرون، فلما شعر بكر باهمية مركزه وعلو شأنه راودته احلام الزعامة والرئاسة ، وبدأ يخطط للمعركة التي تقوده إلى الحكم والسلطة.

كان بكر صدقي يحب مجالس الخمر ومغازلة الحسان، ويقضي اكثر لياليه الخمر يعاقر الكؤوس في محافل الانس والطرب. ومع هذا فقد كان عسكرياً ممتازاً،

تمتع بثقافة عسكرية واسعة وشخصية قوية جبارة. وقد التف حوله كبار الضباط وصغارهم وحقق لجميع هؤلاء مصالحهم الشخصية على حساب مصلحة الجيش. وكان[٣٣] بكر صدقي يؤمن بإنشاء الدولة الكردية ويغذي في صفوف انصاره الافكار الانفصالية ويقاوم الافكار القومية، ويكره القوميين العرب وخاصة الضباط منهم ، وهو واسع الحيلة ذكي ، اخفى عواطفه وافكاره بستار كثيف من الحذر والحيطة.وكان يتخلص من خصومه بمهارة ولباقة. ومثال ذلك ان النقيب نعمان ثابت الاعظمي ضابط الاستخبارات في مقر قيادة بكر ،كان عربياً متعصباً لقوميته. فأراد بكر صدقي ان يتخلص من هذا الشاب الجريء الذي احصى عليه خطواته وراقب مكالماته الخاصة فأوعز إلى احد اتباعه من ضباط القوة السيارة ان يغتاله سراً، وبينما كان النقيب نعمان يقوم بواجباته في ساحة القتال ، اطلق الضابط النار عليه من الخلف فخر صريع المبدأ والواجب.

الاعداد للإنقلاب

كان بكر واثقاً من نفوذه وشعبيته في اوساط الجيش والشعب. وكان واثقاً من قدرة الجيش على اسقاط الوزارة اذا تهيأت الظروف والاسباب ، فاخذ يتربص بالوزارة ويستعد للوثوب عليها، وقد اسعفه الحظ وحالفه القدر فقرر المشير طه الهاشمي ان يسافر الى انكلترا يوم ٢٩ تموز لشراء السلاح وحضور المناورات . وسافر فعلاً في اليوم

---

(٣٣) يقول المشير طه الهاشمي في مذكراته المنشورة سنة ١٩٦٧ مايأتي «اما بكر صدقي فهو ذو معلومات جيدة وهو يحمل فكرة كردية. وقد اشتغل بالتجسس لحساب الانكليز ضد الاتراك والايرانيين. ويقول العقيد الشهيد صلاح الدين الصباغ في مذكراته المنشورة سنة ١٩٤٥ بعنوان «فرسان العروبة في العراق» [كان بكر يكره الدين ولايعترف لعروبة العراق. وكان من دعاة القضية الكردية. والمتعصبين لها . وكان يشتغل في هذا الموضوع مع ضابط الاستخبارات الانكليزي المستر آيدي. وتوفيق وهبي]..

***

وفي «الوثائق البريطانية عن العراق والمنطقة المحايدة والتي تسمح الحكومة البريطانية بنشرها بعد كل ثلاثين سنة من وقوعها » ان بكر صدقي كان يعمل وكيلاً للاستخبارات البريطانية في المنطقة المحايدة التي كانت قائمة في ذلك الوقت بين العراق وتركيا...

Public,record office. P.R.O - foreigon office. F.O. 20015 , 31.XII 1936 , E,7790. -

المذكور، واسند وكالة رئاسة الاركان العامة إلى الفريق بكر صدقي، وامره ان يحشد جميع قطعات الجيش في «قرةغان» «جلولاء» ويتأهب لاجراء «المناورات الكبرى» التي اعتاد الجيش ان يجريها في تشرين الاول من كل عام في منطقة بعقوبة وجلولاء بحضور الملك ووزراء وكبار القوم. فتقبل الفريق الاوامر شاكراً ممتناً، واخذ يستعد لليوم الموعود. واصبح بكر بحكم منصبه الجديد كرئيس للاركان، مطاع الاوامر، نافذ الكلمة، قوي الجانب، يلعب في مقر الجيش وقياداته وقطعاته حسب أهوائه، ويتصرف بحرية مطلقة لاينازعه احد ولايشك بتصرفاته رقيب او مسؤول من الوزارة وخارجها. وهكذا فان غرور طه الهاشمي وقصر نظره، واطماع رشيد عالي وغفلته مهدت جميعها الامور الى بكر صدقي ودفعته الى «الانقلاب العسكري» بسرعة فائقة. اتصل بكر بضباط ركن الفرقة الثانية المقدم «شاكر الوادي»، ومدير الحركات العسكرية العقيد بهاء الدين نوري، وكانا من اقرب اصدقائه واخلص اتباعه، ومن المقربين الى دوائر الاستخبارات البريطانية والمرتبطين بالسفارة البريطانية فافضى اليهما بسره وعزمه على تغيير الوزارة الهاشمية، فوافقاه على خطته وشجعاه على ذلك واقسموا «اليمين على العمل بحذر وكتمان»..

ثم اتصل بكر بآمر القوة الجوية المقدم محمد علي جواد، وهو يساري معتدل وفاتحه بالامر الخطير فرحب محمدعلي بالانقلاب واعتبره نصراً لمعتقداته السياسية، فربح بكر «القوة الجوية» التي قامت بدورٍ فعّال في الانقلاب.

واتجه بكر الى «رئيس ركن الفرقة الثانية» المقدم صفوت سعيد وهو ضابط ذكي، يحمل افكاراً اصلاحية ثورية. رافق بكر صدقي في كل الحركات العسكرية وكان رئيس ركنه في تمرد الآثوريين، وثورات الجنوب. وقد جمعت بين الرجلين ثقة متبادلة واحترام مكين. وبعد محاورات ومشاورات اقتنع صفوت سعيد بضرورة الانقلاب وتغيير الاوضاع وتسليم الامور الى وزارة مخلصة وتجنب سفك الدماء. واستمر بكر في جذب الاعوان واكتساب المؤيدين والانصار.

الفريق عبداللطيف نوري يؤيد بكر صدقي

استعداداً للمناورة الكبرى التي امر طه الهاشمي رئيس اركان الجيش باجرائها، أمر بكر صدقي القطعات العسكرية ان تتحرك من بغداد والموصل وتحتل مواقعها في بعقوبة وقرةغان «جلولاء».. ومن اجل المناورة وتحت هذا الستار تحركت القطعات

وتمركزت في المواقع الثي عينها بكر صدقي واختارها وفق خطة رسمها لنفسه، واجرى بين كبار الضباط والوحدات تنقلات واسعة تحسباً واحتياطاً للمستقبل، واختار لكل قطعة وموقع ضابطاً يثق به ويعتمد على اخلاصه. وكانت اوامره تنفذ بلا معارضة ولا مناقشة لأنه الضابط الاول المسؤول عن جريان المناورة ونجاحها.

كل هذه التحركات والاوامر صدرت بهدوء ونظام لان رئيس الوزراء ووزير الدفاع جعفر العسكري كانا مطمئنين منها لانها حصلت لغرض المناورة ولأسباب اقتضتها قواعد الحرب وفنون التعبئة. ولم يتبادر الى ذهن المسؤولين في بغداد ان بكر صدقي سيشق عصا الطاعة ويجعل من المناورة ستاراً للمباغتة والانقلاب.

لم يبق امام بكر من العقبات الا اقناع قائد الفرقة الاولى الفريق عبداللطيف نوري وكسب تأييده، فهو رجل محبوب وشجاع، ولا امل بالنجاح الا اذا ناصرت قطعات «فرقته الاولى» بكر صدقي وسارت في ركابه.

كان الفريق عبداللطيف نوري حانقاً على ياسين الهاشمي وجعفر العسكري لانهما لم يوافقا على ارساله خارج العراق للمعالجة على حساب الحكومة من مرض اصابه في معدته من جراء الخدمة العسكرية. وقد ارسل الى جعفر وياسين وطه كتباً يستعطفهم لانقاذ حياته وخلاصه من موت اكيد، ويستعجلهم في اعطائه نفقات السفر والمعالجة [٣٤] فلم يحض بجواب منهم. واهملت طلباته المتكررة، فنفذ صبره واشتد

---

(٣٤) «نص الرسالة»

١- الى فخامة وزير الدفاع جعفر باشا العسكري : ١- لا في الجيش الحجازي ولا في الجيش السوري ولا في الجيش العراقي، لم ارتكب ولم اقامار ولم اسكر. ولم اقوم بعمل غير شريف. وان ناصيتي والحمدلله بيضاء حسب ما اظن وقائم بواجبي العسكري بضمير حي. ولم انتسب لحزب ما.

٢- يمرضت بالخدمة وهذا ثابت رسما وصار ثلاث سنوات وانا اذهب للاستشفاء على حسابي الخاص. ولم يعينني احد، سوى فخامة الهاشمي فقد اعطاني مائة دينار في السنة الماضية عن يد فخامة نوري السعيد. واربعون ديناراً في هذه السنة على يد فخامة العسكري.

٣- ان مصروفاتي الجسيمة في تلك السنوات الثلاث تربو على الالف دينار. وكان املي الاستفادة من قانون خدمة الضباط الاخير حول معالجتي على نفقة الحكومة للتخلص من بعض الديون.

٤- وقد تفضل فخامة الهاشمي واوعدني اخيراً، وكلي امل وبدون ريب ان لفخامته سوف ينجز وعده هذا قبل ان يستحوذ

غضبه، واخذ يسلق الهاشمي وجعفر بألسنة حداد، وينتقد سياستهم في كل الامور. انتهز بكر صدقي نقمة القائد وثورته النفسية ، فاتصل به في مقره بوزارة الدفاع يوم ٢٣ تشرين الاول وبدءا يتحدثان عن سوء الاحوال ، واستبداد الوزراء ، وتفشي الرشوة ، واستغلال الهاشمي وجعفر نفوذهم للأثراء على حساب الشعب وانه يجب انقاذ البلاد ولو من طريق الجيش، فتحركت آلام عبداللطيف، وثارت كوامن السخط في اعماقه، وطلب من بكر ان يعملا كقائدين حالاً وعلى سبيل التضامن لانقاذ البلاد من ظلم الجبابرة وتحالفا بأغلظ الايمان على ذلك .

وترك عبداللطيف إلى بكر صدقي «اختيار الوسائل والوقت المناسب».

الانقلاب العسكري

زار حكمت سليمان صديقه الفريق بكر صدقي وكيل رئيس الاركان في مقره بوزارة الدفاع قبل شهر من تاريخ الانقلاب، فبحث الاثنان ضرورة الاسراع في الانقلاب لان جميع الظروف اصبحت مساعدة ومواتية لنجاحه. وطمأن الفريق بكر صديقه بأن الامور ستسير في الوقت الملائم حسب رغباته.

وفي يوم ٢٦ تشرين الاول سافر بكر صدقي الى قرتغان «جلولاء» حيث عسكرت الفرقتان «الاولى» و «الثانية» ، وهناك اجرى تنقلات جديدة شملت امراء الكتائب والالوية والافواج، وبعده قصد بكر موقع «بلدروز» مقر قيادة الفريق عبداللطيف نوري «قائد الفرقة الاولى» وهناك استعرض القائدان(٣٥) «الموقف العام»

عليّ اليأس الشديد الذي ستكون نتائجه غير محمودة.

٥- فأرجو ان يهدي من بيدكم مقاليد الامور ، للاهتمام بأمور المخلصين للواجب المقدس للاستفادة من خدماتهم للبلاد.

الفريق عبداللطيف نوري

صورة الى سعادة سكرتير مجلس الوزراء الموقر للعلم.

(٣٥) كان الجنرال «ووتر هاوس» رئيس البعثة البريطانية في الجيش العراقي، يراقب تحركات القائدين بكر وعبداللطيف. وعرف من اعوانهما المتصلين به وبدوائر الاستخبارات الانكليزية، ان القائدين يخططان للانقلاب . فأسرع الى خيمة عبداللطيف نوري وكان حاضراً عنده العقيد الركن ابراهيم الراوي آمر كتيبة الخيالة فسأل الجنرال الانكليزي عبداللطيف نوري اين هو «الفريق بكر صدقي» فاجابه انه يستعد للمناورة. فقال الجنرال متعجباً ومتهكماً : اية مناورات هذه؟ .. وما القصد الحقيق من الحركة التي تريدان القيام بها ؟ .. وما هو موقفكما من الحكومة البريطانية ومعاهدتها معكم؟ فاجابه

وكافة المصاعب والاحتمالات المتوقعة وغير المتوقعة ، واتفق الاثنان على الامور التالية:

١- تحديد ساعة الصفر «موعد الانقلاب».

٢- صيغة البيان الذي ستلقيه الطائرات على بغداد صباح يوم الانقلاب وهي موقعة بتوقيع بكر صدقي «قائد القوة الوطنية الاصلاحية» .

٣- صيغة الرسالة من الفريق عبداللطيف نوري قائد الفرقة الاولى إلى صاحب الجلالة الملك غازي ، وتتضمن طلب اقالة الوزارة الهاشمية ونصب حكمت سليمان رئيساً للوزراء.

الطائرات تحلق في سماء بغداد

في صباح يوم ٢٩ تشرين الاول في الساعة الثامنة والنصف ، اعلن بكر صدقي زحفه على بغداد فأرسل ثلاث طائرات عراقية يقودها المقدم محمد علي جواد آمر القوة الجوية ، يرافقه الملازمون اسماعيل فتاح ، وسالم النقيب ومجدالدين النقيب وزكي يحيى، فألقت البيان الاول على مدينة بغداد وهذا نصه:

«ايها الشعب العراقي الكريم»

لقد نفذ صبر الجيش المؤلف من ابناءكم على الحالة التي تعانونها من جراء اهتمام الحكومة الحاظرة بمصالحها وغاياتها الشخصية دون ان تكترث بمصالحكم ورفاهكم فطلب إليّ صاحب الجلالة الملك المعظم اقالة الوزارة القائمة وتأليف وزارة من ابناء البلاد المخلصين ، برئاسة السيد حكمت سليمان الذي طالما لهجت البلاد بذكره الحسن ومواقفه المشرفة. وبما انه ليس لنا قصد من هذا الطلب إلا تحقيق رفاهكم ، وتعزيز كيان بلادكم ، فلاشك انكم ستعاضدون قواد الجيش ، ورؤساءه في ذلك وستؤيدونه بكل ما اوتيتم من قوة. وقوة الشعب هي القوة المعول عليها في الملمات. وانتم ايها الموظفون لسنا إلا اخواناً وزملاءاً لكم في خدمة الدولة التي نصبو كلنا الى جعلها دولة ساهرة على مصلحة البلاد واهلها، عاملة على خدمة شعبكم قبل كل شيئ ، فلابد وانكم ستقومون

الفريق عبداللطيف نوري بأن الحركة امراً يخصنا وهو يتناول شئوننا الداخلية فقط. فأرتاح الجنرال ووتر هاوس من هذا الجواب. وانصرف الى خيمته. واخبر السفارة عما سوف سيحدث قريباً في صفوف الجيش العراقي .

راجع مذكرات «ابراهيم الراوي» اللواء الركن سنة ١٩٦٩م.

بهذا الواجب الذي الجأنا الى تقديم طلبنا الى صاحب الجلالة ملكنا المفدى لانقاذ البلاد مما هي فيه فتعارضون الحكومة الحاظرة ، تتركون دواوينها ريثما تؤلف الحكومة التي ستفخرون بخدمتها. اذ ربما يضطر الجيش بكل اسف الى اتخاذ تدابير فعالة لايمكن خلالها اجتناب الاضرار بمن لايلبي الدعوة المخلصة مادياً وادبياً.

٢٩/ ١٠/ ١٩٣٦

الفريق بكر صدقي العسكري
قائد القوة الوطنية الاصلاحية

وبعد ان القت الطائرات «المناشير» من الجو، قام بعض الضباط ومنهم الضابطان الكرديان «علي غالب الاعرج» و «سعدي مصطفى» بتوزيع هذا البيان على الموظفين في دواوين الحكومة.

***

صعقت بغداد من هذا الحدث الكبير، وصعق المسؤولون ومنهم وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني المسؤول الاول عن الامن الداخلي(٣٦) ووزير الدفاع الجنرال جعفر

---

(٣٦) من هو السيد رشيد عالي الكيلاني ؟.. هو من اسرة لها مكانتها المحترمة في العالمين العربي والاسلامي ، وهو عربي ينتسب الى الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه. ولجد العائلة الكيلانية مرقد كبير يقدسه المسلمون ويزوورونه في اوقات معلومة. كان رشيد عالي قانونياً كبيراً. تخرج من كلية الحقوق في استانبول. قبل الحرب العالمية الاولى واشغل وظائف مهمة في العهد العثماني ولما تشكل الحكم الوطني في العراق سنة ١٩٢١ بدأ يمارس السياسة ويعارض الحكم البريطاني وفي سنة ١٩٢٤. عين وزيراً للعدلية في وزارة ياسين الهاشمي الاولى ثم عين وزيراً للداخلية في وزارة السعدون الثالثة. وفي سنة ١٩٢٦. انتخب رئيساً للمجلس النيابي ، وفي هذه السنة «عين استاذاً لعلم الجزاء» في كلية الحقوق العراقية. وعندما شكل ياسين الهاشمي حزب الاخاء الوطني سنة ١٩٣٠. اصبح الكيلاني «معتمد الحزب» وانتخب نائباً لواء بغداد. واستقال عندما رفض المعاهدة العراقية البريطانية سنة ١٩٣٠. وفي سنة ١٩٣٣. شكل الوزارة الكيلانية الاولى ... وعين عضواً في مجلس الاعيان ثم شكل الوزارة الكيلانية الثانية بعد موت الملك فيصل وتولى غازي عرش العراق. وفي سنة ١٩٣٥. عين وزيراً للداخلية في وزارة ياسين باشا الهاشمي الثانية.

وعندما حصل الانقلاب العسكري سنة ١٩٣٦. غادر العراق الى تركيا ثم بيروت وعاد الى العراق بعد مقتل الفريق بكر صدقي العسكري. وفي كانون الثاني سنة ١٩٣٩ عين وزيراً للبلاط الملكي. وفي سنة ١٩٤٠. شكل الوزارة الكيلانية الثالثة ، وفي يوم ٣ نيسان سنة ١٩٤١ اثر الانقلاب الذي قام به العقداء الشهداء صلاح الدين الصباغ ومحمد

العسكري المسؤول عن شؤون الجيش وحماية الوطن، وقرؤا البيان وتدارسوه. واجتمع اكثر الوزراء فوراً لمعالجة الموقف ومجابهة الاحداث الطارئة. كما ان الملك غازي اطلع على هذا البيان عندما قدمه اليه وزير البلاط السيد «رستم حيدر».

مكالمة هاتفية

القت الطائرات «البيان الاول» واختفت في سماء بغداد ، وتولى الناس ذعر وخوف شديد وسد الهرج والمرج بين المواطنين. وانطلقت مختلف الشائعات والدعايات. وفي غمرة هذا الموج المتلاطم من التوتر والانفعال، كان ياسين الهاشمي في دار السيد جميل المدفعي محاولاً اشراكه في الوزارة، فقدم اليه احد الحاضرين «نسخة» من البيان الاول فقرأة بهدوء وامعان. ولم تظهر على سحنته ملامح الغضب والارتباك ، وترك دار المدفعي ودخل «ديوان مجلس الوزراء» ومن هناك اتصل بالفريق بكر صدقي قائد الانقلاب وطلب منه معالجة الموقف بالتفاهم، وطلب منه ان لا يزحف على بغدادلأن الوزارة ستقدم استقالتها الى الملك. وطلب منه ان يتصل بحكت سليمان ليقوم بتأليف

فهمي سعيد ومحمود سليمان ، ترأس حكومة «الدفاع الوطني» ثم شكل الوزارة الكيلانية الرابعة. وفي زمن هذه الوزارة ، اعلن الانكليز الحرب على العراق . فدافع الجيش العراقي عن كرامة البلد واستقلالها ووقف الشعب العراقي البطل يشد آزار الجيش ويكافح الاعداء بشجاعة ووطنية.

ولما اندحر الجيش واحتل الانكليز العراق دخلوا بغداد. ترك الكيلاني وبقية القادة العسكريين العراق والتجئوا الى ايران يوم ٢٩ مايس سنة ١٩٤١. وفي ايران التجأ الى تركيا. ثم قصد ايطاليا. واخيراً وصل الى برلين واستقر فيها يدافع عن حقوق الامة العربية واستقلالها حتى نهاية الحرب. فلما استسلمت المانيا للحلفاء سنة ١٩٤٥ اتجه الى بلجيكا ، ثم الى فرنسا. ومن هناك هرب متخفياً بجواز سفر مستعار فوصل بيروت. ثم اتجه الى السعودية. فقبله الملك عبدالعزيز لاجئاً سياسياً. واكرم وفادته ، ووفر راحته. وفي سنة ١٩٥٤ انتقل الى مصر فرحبت به حكومة جمال عبدالناصر . ولما انفجرت ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨. اصدرت حكومة الثورة عفواً خاصاً عنه ورفعت من عنقه «عقوبة الاعدام والمصادرة التي صدرت عليه بعد ان احتل الانكليز العراق سنة ١٩٤١». وفي بغداد بدأ يمارس نشاطه السياسي مع الخط القومي فاوعز الانكليز الى عبدالكريم قاسم ان يضطهده، ويحدد نشاطه، فدبر عبدالكريم مؤامرة مزعومة واسندها اليه والى جماعة من القوميين. وحكمت عليه «محكمة الشعب» بعقوبة الاعدام وذلك في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٥٨. وقضى في سجن بغداد المركزي ثلاث سنوات. وافرج عنه في ١٤ يوليه سنة ١٩٦١، فترك العراق واستقر في بيروت.. حيث وافته المنية بعد جهاد قومي طويل في ٢٨ آب سنة ١٩٦٥م.

الوزارة. وانتهت المكالمة على هذا الشكل، فطلب بكر صدقي مكالمة الملك من مكانه «من مخفر المفيسل على بعد تسعة كيلومترات من بغداد ». فأكد لجلالته ولاء الجيش واخلاصه للعرش ورجا من الملك ان ينفذ محتويات الرسالة التي سيقدمها حكمت سليمان الى البلاط بعد سويعات من الزمن.

اجتماع في القصر الملكي

بعد ان اطلع الملك غازي على البيان الاول واستمع الى مكالمة الفريق بكر صدقي قائد الانقلاب اسرع الى دعوة السفير البريطاني في بغداد السير «ارشتيبالد كلارك» للبحث في خطورة الموقف، فحضر السفير القصر الملكي في الساعة العاشرة من صباح يوم ١٩٣٦/١٠/٢٩ ومعه وكيله الميجر «يونغ» ومرافقه العسكري الكابتن «هولت». فسأل السفير الملك عن رأيه في «الانقلاب» فأجاب الملك إن «المقاومة عقيمة» وأكد على وجوب استقالة الوزارة الهاشمية. فطلب السفير الملك ان يأمر قادة الجيش ويمنعهم من الزحف على بغداد ونصحه بدعوة مجلس الوزراء الى حضوره. واثناء هذه المحادثة حضر رئيس الوزراء ومعه بعض الوزراء. وتخلف عن الحضور وزير الداخلية لأنه كان مشغولاً بحفظ الامن في بغداد وبقية الالوية. ووزير الدفاع لأنه كان مشغولاً في استقبال وزير خارجية الافغان وقائد الجيش الافغاني. وجرت مناقشة حامية بين الملك وبين ياسين الهاشمي ، وقد اتهم الهاشمي الملك بأنه هو الذي دبر الانقلاب ولولا «اوامره» لم يجرأ بكر صدقي على ان يقوم بالعصيان والتمرد ، واحتج الملك على هذا الاتهام ثم سكت الجميع. واقترح السفير البريطاني على الملك ان يدعو «حكمت سليمان» ويتفاهم معه حول الموقف .

***

وبعد مضي نصف ساعة على هذا الاجتماع حضر حكمت سليمان الى قصر الزهور وهو يحمل رسالة وقعها «الفريق بكر صدقي والفريق عبداللطيف نوري» وسلمها بيد وزير البلاط السيد رستم حيدر، واشهد بعض الضباط الحاضرين على تسليمها وترك القصر حالاً، فسلم رستم حيدر هذه الرسالة الى الملك غازي وهذا نصها

لاعتاب صاحب الجلالة الملك المعظم

غير خافٍ على جلالتكم بما لاقى ابناء بلادكم من جراء سياسة الحكومة

الحاضرة. سياسة التخريب والمحاباة والاستغلال التي لامبرر لها ، وتقديمها المصالح الشخصية على المصالح العامة واستهتارها بدماء ابناء البلاد التي اريقت لا سبب غير الاغراض الشخصية وتطمين رغبات المحسوبين والمنسوبين لهذه الحكومة حتى جرأها غرورها الى التطاول على صاحب العرش المفدى. بل ربما تحدثوا بما وراء ذلك. تعلمون جلالتكم بان الجيش برؤسائه وجنوده انما كان خلال هذه المدة يطيع الاوامر المقرونة بارادتكم بدافع الاخلاص الى قائده الاعلى، اما وقد تفاقم الامر، واستمرت حالة البلاد تتدهور من سيئ الى اسوء والاضطرابات فيها متوالية وسياسة الحكومة لم تتبدله والعدل مفقود بين رعايا جلالتكم ، والبؤس منتشر في بلادكم. كل ذلك لاجل اسعاد طبقة خاصة على أسها اعضاء الحكومة الحاضرة . فالجيش الذي تهمه مصلحة البلاد ، وتعزيز كيانها اسوة ببقية الامم المتحفزة يأبى ان يبقى صامتاً امام الحالة السيئة التي لاشك في ان تكون نتيجتها الدمار. لهذا يتقدم الجيش ليعرض على اعتاب جلالتكم طالباً انقاذ البلاد من هذه الهوة السحيقة، واصدار ارادتكم المطاعة باقالة الوزارة الحاضرة وتعيين وزارة من ابناء البلاد المخلصين برئاسة السيد حكمت سليمان خلال ثلاث ساعات. وعلى فرض مخالفة الوزارة اوامر جلالتكم بالتنحي عن الحكم خلال المدة المضروبة فالجيش الذي لايزال الامين المخلص لجلالتكم سيقوم بواجبه لتنفيذ هذا الطلب خدمة للمصلحة العامة التي تسهرون جلالتكم عليها.

الفريق عبداللطيف نوري
قائد الفرقة الاولى

الفريق بكر صدقي
قائد الفرقة الثانية

الطائرات العراقية تقصف بغداد

انتهت مدة الانذار وقدرها ثلاث ساعات ، ولم يقدم الهاشمي استقالة وزارته، ولم يستدعي الملك حكمت سليمان لتشكيل وزارة حسب طلب الجيش. وبينما الناس يتلهفون الى سماع الاخبار ، ظهرت في سماء بغداد ثلاث طائرات عراقية في الساعة الحادية عشر والنصف صباحاً بقيادة محمد علي جواد آمر القوة الجوية والقت من الجو اربع قنابل سقطت احداها على بناية مجلس الوزراء والاخرى امام البرلمان والثالثة على دائرة البريد قرب دار رئيس الوزراء والرابعة في نهر دجلة . وقد سببت هذه القنابل قتل وجرح مواطنين ابرياء لاعلاقة لهم بالسياسة ، وبعد ان رجعت الطائرات الى قواعدها في

بعقوبة ابرق الفريق عبداللطيف نوري للملك يؤكد ولاء الجيش ويطلب باقالة الوزارة».

الهاشمي يستقيل من الحكم

ادرك الهاشمي بثاقب بصره ان البلاد مقبلة على حرب اهلية وبدافع من حبه العميق لبلاده وشعبه وتجنباً لسفك الدماء قرر ان يقدم استقالته الى الملك. وتناول القلم وكتب باعصاب هادئة وعقل متزن استقالته التاريخية الرصينة. وهذه صورتها :

بغداد في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٣٦

مولاي المعظم

تعلمون جلالتكم ان الوزارة الحاضرة سعت بكل قواها على القيام بالاعمال المنتظرة بالنسبة للظروف العالمية. الا انه ظهر ان قلة التجربة وبعض الاطماع قد طوحت بالمسؤولين عن الدفاع عن هذه البلاد ان يقدموا على حركة اعتقد انها تؤدي الى نتائج غير محمودة وبعد ان بحثت مع زملائي في الموقف تراءى لي ان الرغبة متجهة نحو اجتناب تعريض البلاد الى خطر القلاقل الداخلية ، فسارعت بالتقدم الى جلالتكم بقبول استقالتي من اعباء الوزارة سائلاً المولى ان يأخذ بيد جلالتكم لتجنب الاخطار، وان يرشدكم الى ما فيه خير البلاد.

العبد المطيع: ياسين الهاشمي

دعوة حكمت سليمان الى القصر الملكي

قبل الملك استقالة الهاشمي وارسل الى من يدعو حكمت الى القصر الملكي، فلما حضر القصر اعلمه رستم حيدر بأن الملك قبل استقالة الوزارة الهاشمية وانه عهد اليه بتشكيل الوزارة فطلب حكمت من رئيس الديوان ان يطلعه على كتاب الاستقالة، فأمتنع هذا من تلبية الطلب ، فانسحب حكمت سليمان من غرفة رئيس الديوان وترك القصر الملكي حالاً، واتجه الى دار جعفر ابي التمن ، واعلمه بحقيقة الوضع ، فأتصل ابو التمن برئيس الديوان الملكي وطلب منه ان يجري تكليف حكمت سليمان بتشكيل

الوزارة بكتاب تحريري فاجابه رستم بأن العرف لم يجر عندنا بتوجيه كتب خطية عند الاستيزار. ولا داعي لمثل هذا الاجراء. والوزارة الهاشمية قد استقالت وان جعفر العسكري وزير الدفاع ذهب لمقابلة بكر صدقي لاطلاعه على سير الامور، فلما سمع حكمت هذا الحديث جن جنونه، واخذ يحسب الف حساب. فكيف يذهب جعفر لملاقاة بكر. والوزارة قد استقالت ، وبأي صفة يقوم جعفر بهذا العمل وغرق في بحر من الوساوس والشكوك.

مقتل جعفر العسكري

كان جعفر[٣٧] من اوائل الساسة العسكريين الذين شكلوا الجيش العراقي وعمد ا على تنظيم شؤونه ورفع مستواه وتزويده بالاسلحة الحديثة والعتاد. ففي ٦ كانون الثاني سنة ١٩٢١ احتفل العسكري بتشكيل اول وحدة من وحداته. وكان محبوباً من قادة الجيش وضباطه ويتمتع بمقام محرم لدى جميع صفوفه او مراتبه، وتربطه بزملاء كبار الضباط روابط شخصية متينة وذكريات قديمة ترجع لايام الحرب العالمية الاولى وثورة الحجاز والعراق... فلما قرأ البيان الاول تألم من هذا العمل الطائش الذي اقترفه

---

(٣٧) جعفر العسكري : نشأ والده في قرية عسكر من اصل تركماني. وانتسب الى الجيش العثماني وتدرج في رتبه. وسكن بغداد وفيها ولد ابنه جعفر العسكري. ودخل الرشدية العسكرية. ثم انتقل الى المدرسة العسكرية في استانبول وتخرج منها برتبة ملازم ثاني... وبعدها دخل كلية الاركان الحربية. وتخرج منها بدرجة ممتازة وخدم في الجيش العثماني. واشترك في اكثر حروبه . وعندما بدأ الغزو الايطالي لاقليم «ليبيا» سنة ١٩١١. ذهب جعفر هناك في معية انور باشا وابلى في قتال الايطاليين بلاءاً حسناً. وفي الحرب العالمية الاولى اشترك في القتال ضد الحلفاء. ونال سنة ١٩١٥ «وسام الصليب الحديدي». وفي سنة ١٩١٦ التحق بالثورة العربية في الحجاز. وتسلم منصباً قيادياً في جيش الثورة. وفي ت١ سنة ١٩١٨ دخل مع الملك فيصل مدينة دمشق ، وعين قائداً عسكرياً لمدينة حلب. ولما توج الملك فيصل ملكاً على العراق سنة ١٩٢١. عين وزيراً للدفاع في الوزارة النقيبية الاولى. وفي هذه السنة وضع نواة الجيش العراقي. وافتتح اول وحداته. وفي سنة ١٩٢٤ عين رئيساً للوزراء. وفي سنة ١٩٢٥ عين ممثلاً للعراق في لندن. وفي سنة ١٩٢٦ اختير رئيساً للوزراء ، ووزيراً للخارجية. وفي سنة ١٩٢٨ اعيد تعيينه وزير مفوض في لندن. وهناك دخل كلية الحقوق ونال الشهادة الحقوقية. وفي سنة ١٩٣٥ عين وزيراً للدفاع في وزارة الهاشمي ، وجرى اغتياله بأمر بكر صدقي قائد الانقلاب.

وكان جعفر يحسن التكلم والكتابة في اللغات الالمانية والانكليزية والفرنسية والتركية . وكان وطنياً عراقياً ، وقومياً مؤمناً بحق العرب في الوحدة الشاملة والاستقلال الناجز....

بكر صدقي، واعتبر حركة التمرد صفعة وجهت الى كبريائه وكرامته... فكيف غفل عن هذا التمرد؟ .. وكيف جرى وهو لا يعلم عن اسراره ومقدماته؟ وكيف استطاع بكر صدقي ان يغرر بالجيش وقادته البواسل ويدفعهم الى ارتكاب هذا الخطأ الجسيم؟!. كان واثقاً من مكانته في الجيش ومن نفوذه ورصيده بين قادة قطعاته واكثرهم من انصاره ومريديه... فيجب عليه ان يتدارك الامر قبل فواته ويحبط هذه المؤامرة الكبرى بنفسه وعلى مسؤوليته ويدون ان يستشير الهاشمي في هذا الموضوع.

رسائل وبرقيات الى امراء القطعات

حرر جعفر باشا اربع رسالات اولها موجهة الى الزعيم اسماعيل نامق آمر لواء الخيالة وهذا محتواها «تحركوا الى شهربان. وانتظروني فيها» وارسل الثانية الى العقيد اسماعيل حقي آمر المدفعية وفيها يقول «توجهوا مع قوة المدفعية الى بغداد ولا تأتوا بحركة قبل وصولي اليكم» . وارسل الثالثة الى العقيد سعيد التكريتي يقول «اجمعوا لواءكم وتوجهوا نحو بغداد». وارسل الرابعة الى قائد الفرقة الاولى الفريق عبداللطيف نوري وهي «لا تأتوا بحركة الى حين وصولي اليكم».. وبعد ان وقّع هذه الرسائل امر الزعيم امين العمري ان يسلمها لاصحابها . فاختار العمري الضابطين الرئيس عبدالمطلب الامين ، والرئيس حسيب الربيعي، وكلفهما بايصال الرسائل بأسرع وقت فامتثلا لامر الزعيم، وخرجا مسرعين بسيارة خاصة . وبينما هما متجهان نحو بعقوبة فاجأهم انصار بكر في الطريق ، فقبضوا عليهم، وفتشوا جيوبهم وعثروا على الرسائل وسلموها الى بكر صدقي قائد الانقلاب فلما قرأ بكر هذه الرسائل ثارت ثائرته، وفقد صوابه واعتقد جازماً ان جعفر يريد به شراً عظيماً . فصمم على قتله قبل ان تتصدع وحدة الجيش وتحبط عملية الانقلاب.[٣٨] وامر الفريق عبداللطيف نوري ان يجاوب جعفر على رسالته فحرر البرقية التالية «من قائد الفرقة الاولى الى وزير الدفاع - بغداد: الموقف يتطلب تنحية الوزارة الحاضرة حالاً وحدات الجيش تنتظر خبر تنحيتها... انبؤنا فوراً». وارسل الفريق بكر صدقي البرقية الاخرى وهي : بغداد. وزارة الدفاع «اني متقدم الى بغداد مع الفرقة الثانية لاسقاط الوزارة »

تسلم جعفر العسكري هاتين البرقيتين فقصد قصر الزهور لمقابلة الملك ، فعلم

---

(٣٨) راجع رسالة ماجستير تأليف صفاء عبدالوهاب المبارك «انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦».

ان الوزارة قد اجتمعت قبل ساعة تقريباً وان الهاشمي قدم استقالته ، فالتمس من الملك ان يزوده برسالة يحملها الى الفريق بكر صدقي ليحول بينه وبين دخول بغداد بعد ان سقطت الوزارة وانتهت الازمة وفقاً لرغبات المتمردين. وكان الملك غير ميال الى تحرير مثل هذه الرسالة ، ولكن الحاج جعفر جعله يرضخ للامر الواقع ، فامر وزير البلاط رستم حيدر ان يكتب الرسالة الآتية:

عزيزي بكر صدقي

تستلمون هذا الكتاب من يد السيد جعفر العسكري ، الذي سيلاقيكم بصورة خصوصية لاجل بحث الموقف. وقد بلغني الآن ان الطائرات القت ثلاث قنابل فاستغربت جداً لهذا الحادث بعد ان سبق لي ان اخبرتكم تلفونياً بلزوم ايقاف كل حركة بينما اتدبر الامر الحاضر. ان كل حركة اخرى سوف لاتخلو من ان تؤثر اسوأ الاثر على مستقبل البلاد وسمعة الجيش. اذ ليس من حاجة البتة لشيء من ذلك وسوف تفهمون التفاصيل من جعفر.

القائد العام

٢٩/١٠/١٩٣٦ غازي

واستلم جعفر الكتاب وترك قصر الزهور الساعة الثانية والنصف بعد الظهر يصحبه مرافقه الرئيس الحاج شاكر القرغولي ، والرئيس الاول طاهر محمد مرافق الملك الخاص وتوجهوا نحو بعقوبة وعلى مقربة من بغداد التقى بهم العقيد يوسف العزاوي فاصطحبوه معهم ، كان بكر قد أضمر الشر لوزير الدفاع وصمم على قتله وهو في الطريق ، لانه يعلم مكانة جعفر عند قواد الجيش ، ويعلم ان الجيش اذا اطلع على حقيقة الامر فانه سينقلب على بكر ، ويتمرد عليه ، وهناك الويل والثبور وعظائم الامور . فاختار اربعة من اعوانه الضباط وهم جمال جميل ، وجواد حسين ، وجميل فتاح ولازار برودوس وهو «يوناني تطوع في الجيش العراقي» وامرهم ان يستقبلوا جعفر العسكري وهو في طريقه الى بعقوبة ويقتلوه حالاً .

فلما وصل جعفر «نهر الوزيرية المندرس» على بعد عشرين كيلومتراً من بغداد تلقاه الضباط واركبوه معهم وتركوا رفقاء جعفر في محلهم بعيدين عن الانظار ، وعلى

مسافة قصيرة أنزلوه من السيارة واطلقوا عليه النار من مسدساتهم، فسقط صريعاً بنار الغدر والخيانة. وعاد الجناة الى قائدهم يزفون اليه النبأ المشؤوم. وهكذا ذهب اول مؤسس للجيش العراقي ضحية أنفار طائشين من هذا الجيش

الزحف على بغداد

.غادرت القطعات العسكرية وعلى رأسها الفريق بكر صدقي مدينة بعقوبة الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم الخميس المصادف ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٣٦. ووصلت ابواب بغداد في الساعة الرابعة بعد الظهر، ونصبت مدافعها فوق سدة «ناظم باشا» فذعر الناس واستبد بهم الخوف، وخيم على العاصمة جو رهيب. وفي الساعة الخامسة والنصف بدأت الوحدات العسكرية تجتاز شارع الرشيد تتقدمها القوة الآلية وفي وسطها «قائد الانقلاب» . وكان اول من استعد لاستقبال القائد بكر صدقي ونثر على رأسه الورود هم فتيات المدارس اليهوديات فانهن يتهيئن الى هذا اليوم منذ امد بعيد. واحتشدن بنظام رائع من بداية شارع الرشيد حتى نهايته.

الوزارة الجديدة

وفي الساعة السادسة مساء يوم ١٩٣٦/١٠/٢٩. صدرت الارادة الملكية بتكليف السيد حكمت سليمان بتأليف الوزارة فشكلها على النحو التالي:

١- السيد حكمت سليمان للرئاسة ووكالة وزارة الداخلية.

٢- جعفر ابوالتمن : وزيراً للمالية .

٣- صالح جبر : وزيراً للعدلية.

٤- ناجي الاصيل : وزيراً للخارجية.

٥- كامل الجادرجي : وزيراً للاشغال والمواصلات.

٦- عبداللطيف نوري : وزيراً للدفاع.

٧- يوسف ابراهيم : وزيراً للمعارف.

وكان اول عمل قامت به الوزارة هو احالة رئيس اركان الجيش المشير الركن طه باشا الهاشمي على التقاعد .

الوزارة وموقفها من الانكليز

في اليوم الثاني من تأليف الوزارة، قصد السفير البريطاني في بغداد رئيس الوزراء ووزير الداخلية في مقر وزارة الداخلية .وبعد تبادل المجاملات والتحيات سأل السفير البريطاني رئيس الوزراء عن موقف الحكومة والعهد الجديد من الحكومة البريطانية فرد عليه الرئيس قائلاً «ان الوزارة تحترم جميع المعاهدات المبرمة بين العراق وبريطانيا العظمى. وتحافظ على صلاة الود والولاء القائمة بين الحكومتين».. فانشرح صدر السفير لهذا الجواب، وخرج مسروراً وابرق الى حكومته بذلك.

وقد ذكر[٣٩] الهركروبة ممثل المانيا في العراق «ان السفير البريطاني السير أرستيبالد كلارك كيز كان معجباً بشخصية حكمت سليمان وناجي الاصيل وزير الخارجية. وكان يظهر العطف عليهما كثيراً».

الوزارة تنفي اقطاب الوزارة الهاشمية

دخل بكر مدينة بغداد ظافراً منصوراً، وتسلم حكمت سليمان رئاسة الوزارة وتربع على منصتها وقد تملكته نشوة الحكم وبهرته اضواء السلطة وزخارفها، فتشاور الاثنان ، وقررا ان يتخلصا من اقطاب الوزارة الهاشمية «ياسين ورشيد ونوري» باغتيالهم سراً كما فعلوا بزميلهم جعفر واعدوا العدة لذلك واختار بكر المنفذين المخلصين من اتباعه المغامرين من ذوي السوابق. ولكن الشائعات واقاويل السوء ، فضحت نوايا القائد وزميله الرئيس. ووصل خبر الاغتيال آذان السفير البريطاني في بغداد ، واطلع على هدف قادة الانقلاب وما يضمرونه لياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني ونوري السعيد. وحفظاً على الامن العام وتجنباً للاضطرابات التي ستخلقها تلك الاغتيالات استدعى السفير «المستر ادمونس» مستشار وزارة الداخلية وقال له «اذهب حالاً الى حكمت سليمان رئيس الوزارة واخبره بانه مسؤول شخصياً عن حياة اعضاء الوزارة الهاشمية. واذا سفكت قطرة دم بعد الآن من احدهم سواء كان من بغداد

---

(٣٩) راجع كتاب «العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب» ترجمة «مجدة فتحي صفوة».

او في طريقهم الى الشام، فإن الموظفين البريطانيين المستخدمين في حكومة العراق يقدمون استقالاتهم من الخدمة مرة واحدة، وان علاقة بريطانية بالعراق تصبح متوترة». فارتبك حكمت سليمان ثم اعتذر واستغفر. والتمس من المستشار ان يطمئن السفير على حياة المواطنين جميعاً ومنهم الوزراء ... ووعد بانه سيسير على سياسة رشيدة تتمشى ورغبات بريطانيا في العراق[٤٠]

واراد حكمت سليمان ان يتخلص من ورطة كبيرة فقصد صاحب الجلالة والتمس منه ان يتصل بالسادة رشيد عالي الكيلاني ، وياسين الهاشمي ونوري السعيد ويطلب منهم مغادرة العراق ولو الى امد قصير لان بعض المتطرفين من الضباط قرروا قتلهم. فاتصل الملك بهؤلاء ورجا منهم مغادرة البلاد للاسباب التي ذكرها رئيس الوزراء.

وسافر الهاشمي ورشيد عالي الى سوريا يوم ١٩٣٦/١٠/٣. تحت حراسة شديدة ولجأ نوري السعيد الى السفارة المصرية ، فنقلته بالطائرة الى مصر وحّل ضيفاً على اصهاره في القاهرة. وبعد ان تم ابعاد هؤلاء نشرت الحكومة يوم ٣١ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ البيان الرسمي التالي:

بيان رسمي

«لما كان الواجب يقضي على الحكومة ان تعمل كل ما من شأنه استتباب الامن وتأمين راحة ابناء البلاد وسكانها لاجل ان يسود الاستقرار والسكون، فقد فارق العراق كل من ياسين الهاشمي ونوري السعيد ورشيد عالي الكيلاني . وتوصي الحكومة بان يكون رائد الجميع المصلحة العامة، وفي سبيلها تفنى مصلحة الاشخاص».

مظاهرات في بغداد

اتفق اليهود والشيوعيون وجماعة الاهالي على ان تنظم مظاهرات شعبية لدعم الانقلاب وتأييد وزارة حكمت سليمان، وكونوا بينهم لجنة مشتركة تمثل الاطراف الثلاثة

---

(٤٠) راجع :

ايام النكبة . تأليف الاستاذ طالب مشتاق.

جريدة البلاد . تشرين الثاني سنة ١٩٣٦.

جريدة الحارس . تشرين الثاني سنة ١٩٣٦.

سموها «لجنة الاصلاح التقدمي الشعبي» ودعو افراد الشعب الى الاجتماع في جامع الحيدرخانة عصر يوم الثالث من تشرين الثاني سنة ١٩٣٦. وبعد ان احتشد الناس وازدحموا ، خرجوا وهم يحملون الشعارات التالية،

١- العفو العام عن المسجونين السياسيين.

٢- تقوية الجيش.

٣- فتح النقابات والصحف المعطلة.

٤- توحيد الحركات الشعبية في الاقطار العربية.

٥- المساواة في الحقوق بين جميع المواطنين.

وسار المتظاهرون في شارع الرشيد وهم يهتفون «بحياة بكر صدقي قائد الانقلاب» و «حياة جلالة الملك غازي» وحياة «حكمت سليمان».

وخطب في المتظاهرين السادة «محمد صالح القزاز رئيس نقابة العمال ، والشاعر محمد مهدي الجواهري والمحامون شالوم درويش وعبدالقادر اسماعيل وذيبان الغبان». وكانت خطبهم تدور حول اقرار الاسلام بالاخوة بين اليهود والعرب. واطلاق الحريات الديموقراطية لجميع المواطنين. وسقوط القومية عدوة الشعوب ومحاكمة «اعدا الشعب».

شخصيات اخرى تغادر البلاد

قررت وزارة حكمت سليمان ان تنفي كل شخص له علاقة باعضاء الوزاره السابقة. فأوعزت الى السيد احمد المناصفي سكرتير وزير الدفاع والسيد تحسين العسكري مدير الري العام «شقيق جعفر العسكري» والسيد علي ممتاز مدير الواردات العام وصهر ياسين الهاشمي ، وصادق البصام وزير المعارف ورؤوف البحراني وزير المالية في الوزارة الهاشمية بترك العراق حالاً ، فامتثل هؤلاء للامر الواقع وتركوا البلاد حفظاً لارواحهم.

تعطيل الصحف

وقفت الجرائد القومية كالاستقلال لصاحبها الاستاذ عبدالغفور البدري وجريدة الناس البصرية للاستاذ عبدالقادر السياب موقفاً عدائياً من الانقلاب وانتقدتا رجاله برجولة وقسوة، واعتبرت تمرد الجيش بزعامة قائده بكر صدقي خروجاً على المبادئ

القومية وسياسة الانفتاح العربي الذي وضع قواعدها المؤسسون الاوائل. وكذلك جريدة العراق لصاحبها رؤوف غنام فإنها بدأت تعارض الوزارة وتنتقد تصرفات ابي التمن وكامل الجادرجي فقررت الحكومة تعطيل الجرائد الثلاث ووضعت اصحابها تحت رقابة شديدة وسببت لهم متاعب كثيرة.

حل المجلس النيابي

استصدرت حكومة الانقلاب ارادة ملكية بحل المجلس النيابي القائم، وجاء في تبرير طلب الحل ما يأتي: «استناداً الى المادة ٣٦ من القانون الاساسي العراقي. ولما كانت الاصول الدستورية تقض بأن يسود التعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ولما كانت الظروف التي تجتازها البلاد في الوقت الحاضر تستدعي التآزر بين السلطتين على اتمه لتتمكن الوزارة القيام بالاعمال الاصلاحية التي تستهدفها. ولما كانت الوزارة لا تشعر بوجود هذا التآزر بينها وبين مجلس النواب، فقد اصدرت ارادتي الملكية بعد الاطلاع على المادة ٢٦ من القانون الاساسي وبناءاً على ما قرره مجلس الوزراء وعرضه رئيس الوزراء بحل المجلس النيابي والبدأ بانتخابات جديدة».

وقررت الحكومة يوم ١٠ كانون الاول سنة ١٩٣٦ بداية الشروع في الانتخابات على ان تنتهي قبل يوم ٢٠ شباط من سنة ١٩٣٧ وفق احكام القانون الاساسي.

جمعية الاصلاح الشعبي(٤١)

اعتقد جماعة الاهالي ان مهمة قائد الانقلاب بكر صدقي انتهت بسقوط الوزارة الهاشمية وان من واجب الجيش ان يسحب الى ثكناته ويترك سياسة البلد الى المدنيين وافرطوا في تفاءلهم واغرقتهم احلام اليقظة. وظنوا ان الامور اصبحت طوع بنانهم وخاصة بعد ان شكل الوزارة رئيسهم حكمت سليمان ودخل فيها ابرز اعضاءهم «كامل الجادرجي وجعفر ابوالتمن» فاقترح اكثرهم ان تنقلب الجمعية الى حزب سياسي يحقق المبادئ التي اتخذتها الجمعية نبراساً لعملها واقسموا الايمان المغلظة على تحقيقها عندما يستلمون السلطة وفاتحوا رئيس الوزراء واطلعوه على اقتراحهم. وبعد

---

(٤١) راجع :

«التطورات السياسية في العراق» للاستاذ جعفر عباس حميدي «رسالة ماجستير».

ان تشاور حكمت مع بكر صدقي حول الاقتراح، اتفق الاثنان على تشكيل جمعية تتبنى مبادئ «الاهالي» يطلق عليها اسم «جمعية الاصلاح الشعبي» على ان لا ينتسب اليها «حكمت سليمان رئيس الوزراء».

وهكذا حصل ، فقد اجازت الحكومة تشكيل الجمعية بتاريخ ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٣٦ وانتسب اليها من الوزراء السادة جعفر ابوالتمن ، كامل الجادرجي ويوسف عزالدين ابراهيم ومن الموظفين حسين جميل مدير «الدعاية والنشر» ومحمد حديد «معاون مدير المحاسبات العام» ومن المحامين محمد الجرجفجي وذيبان الغبان وعبدالقادر اسماعيل وعيسى طه وعزيز شريف ومكي الجميل وصادق كمونة. وجرت انتخابات الجمعية ، ففاز السيد كامل الجادرجي «بمنصب السكرتير» وصادق كمونة «نائب السكرتير» ومحمد صالح القزاز محاسباً وكان اكثر الذين انتسبوا الجمعية هم اليهود ، والديمقراطيون الخياليون والشيوعيون والاكراد الانفصاليون والنفعيون . وتبنت الجمعية سياسة اقليمية ضيقة واعلنت عداءها للخط القومي العربي وحاربت الافكار الوحدوية وساندت الحكم الدكتاتوري العسكري وبررت انتهاكته للحريات الدستورية واعتداءاته السافرة على حياة المواطنين واموالهم وأمنهم.

منهاج الوزارة

لم تأت الوزراة بمنهاج جديد يختلف عن مناهج الوزارات السابقة لها ، غير انها اكثرت من المواعيد البراقة واسرفت في عهودها للشعب ومنتهم بتحسين احوالهم المعاشية والاقتصادية والقيام بانشاء المزارع الجماعية وتوزيع جزء من اراضي الدولة على صغار الفلاحين وحسم المشاكل القائمة بين الاقطاعيين من شيوخ العشائر. ونظمت الحكومة حملة دعائية واسعة لهذا المنهج وصورت للشعب العراقي وزارة الانقلاب بانها وزارة «انقاذ» ستحقق للامة السعادة والرفاهية والحرية والامن الى غير ذلك من الوعود والاماني العذاب.

ولقد اهتمت وزارة حكمت سليمان بالسياسة الخارجية اهتماماً كبيراً واكدت بشكل خاص على تقوية علاقاتها ببريطانيا العظمى واحترام المعاهدات المعقودة بين الحكومتين.

وورد في باب الشؤون الخارجية من منهاج الوزارة مايلي:

١- تسعى الحكومة الى تعزيز روح التآزر بين العراق وبريطانيا العظمى والعمل

المتواصل لتأمين اقى الفوائد مالياً واقتصادياً وعسكرياً من الحلف العراقي البريطاني.

٢- تحكيم اواصر الصداقة والتعاون بين العراق وجمهورية تركيا.

٣- تحسين العلاقات السائدة بين العراق وايران والسعي لتوطيد اواصرها وبذل كل الجهود لحسم القضايا المعلقة بين البلدين.

٤- توطيد دعائم الاخوة العربية .

٥- تقوية روح الخدمة في السلك الخارجي ورفع كفاءة الموظفين.

وهكذا اهملت وزارة حكمت سليمان القضايا العربية ، وانحرفت عن الخط الوحدوي العربي ، وقصرت اهتمامها على تقوية صداقتها مع الحليفة بريطانيا وحرصت على كسب رضاها.

رسائل سرية تهدد القوميين العرب بالقتل

بعد ايام قليلة من تشكيل الوزارة استلم فريق من ساسة العرب الذين يشتغلون في القضايا العربية رسائل من البريد موقعة بتوقيع «الجمعية الكردية الاصلاحية» وهذا نصها «يقتضي عليك ان تهاجر من العراق بظرف ثلاثة ايام من هذا التاريخ والا فانك ستقتل».. ومن الذين وجهت الهم هذا الرسائل السادة :

١- السيد مولود مخلص : عضو مجلس الاعيان.

٢- السيدان جمال المفتي وسعهد الحاج ثابت :نائبا لواء الموصل.

٣- السيدان صادق حبة والسيد عبدالغفور البدري: نائبا بغداد.

٤- السيد عبدالقادر السياب : صاحب جريدة الناس .

٥- السيد داؤد السعدي «رئيس الادعاء العام».

٦- السيد ضياء يونس «سكرتير عام مجلس الوزراء».

٧- السيد عبدالاله حافظ «مدير التجارة العام».

٨- السيد صائب شوكت «رئيس نادي المثنى».

٩- السيد محمد زكي «رئيس مجلس النواب» زمن الوزارة الهاشمية.

١٠- السيد رستم حيدر «وزير البلاط».

وقد اشتبهت دوائر الامن بالسيد علي كمال نائب السليمانية . وقررت ان تتحرى داره ولما طلبت الهيئة المكلفة «بالتحري والتفتيش» دخول داره احتج عليهم ومنعهم من

دخول الدار واتصل «بمدير الشرطة العام» حسن المدفعي وهو من اعوان بكر صدقي واعلمه بواقع الامر... فاتصل هذا برئيس الوزراء وشرح له الموقف فأمر الرئيس بعدم التعرض لدار علي كمال والاعتذار اليه عما حصل بطريق الخطأ.

خطبة حمقاء

استقبل بعض الضباط الاكراد انقلاب بكر صدقي بحماس بالغ وتسرع احدهم وهو العقيد رشيد جودة فالقى على افراد «لوائه» في معسكر الوشاش خطبة ورد فيها «لقد انتهى حكم العرب في العراق وعلى الاكراد ان يستعدوا لنيل حقوقهم».. فلما سمع الضباط العرب هذا الخطاب قابلوه بالرفض والاحتجاج. وانتقل الخبر بسرعة البرق الى كافة القطعات العسكرية فاثار اشمئزازاً وقلقاً في نفوس العرب. واكفهر الجو وتلبدت السماء بالغيوم فلما علم بكر بهذا الحادث استدعى «العقيد رشيد جودة» ووبخه على موقفه الطائش لانه تسرّع في اعلان عواطفه ومقاصد اخوانه.... ومرّ الحادث بسلام بعد ان ترك في النفوس جرحاً عميقاً لا يندمل.

ارهاب فضيع واغتيالات مروعة

كان السيد ضياء يونس سكرتير عام مجلس الوزراء عالماً كبيراً ووطنياً مخلصاً امتاز بدماثة خلقه وشدة ورعه وتمسكه بتعاليم دينه الاسلام وقد انتخب مرات عديدة نائباً عن لواء الموصل وكان من المقربين الى السيد ياسين الهاشمي والمعجبين بسياسته فاختاره «الهاشمي» من بين ثقاته وعينه سكرتيراً عاماً لمجلس الوزراء فلما وقع الانقلاب العسكري استدعاه حكمت سليمان وطلب منه ان يقدم اليه «اضبارة بكر صدقي التي كانت بصندوق رئيس الوزراء» وفي هذه الاضبارة معلومات صحيحة ودقيقة عن علاقة بكر صدقي بالسفارة البريطانية وضباط الاستخبارات وصلة بكر بالمعارضين وجماعة الاهالي ومخالفات قانونية فضيعة ارتكبها بكر صدقي اثناء ثورات الجنوب فاجابه بانه لا يعلم عن هذه الاضبارة شيئاً ولم يطلع عليها، فلم يصدق حكمت اقواله واخبر الفريق بكر صدقي بهذه المحاورة التي تمت بينه وبين السيد ضياء يونس فقرر بكر صدقي ان يصرع هذا الرجل ويقضي على اسرار خطيرة يحملها بين ضلوعه وربما يعلنها في الوقت المناسب واستدعى «مرافقيه» وامرهم بقتله قبل ان يستعد للهروب من البلد. فبدأ هؤلاء يترصدون الشهيد وفي ليلة ٢١ كانون الثاني سنة

١٩٣٧ وبينما كان ضياء واقفاً على حافة الطريق امام داره في محلة السعدون اطلق المرافقون النار عليه فخر صريعاً يتلوى من شدة الالم وفرّ الجناة سالمين واستلموا من سيدهم «قائد الانقلاب» الاجر الوفير والهدايا الثمينة... وشيع جثمان المرحوم باحتفال شعبي مهيب الى مثواه في مدينة الموصل وذرفت عليه المدينة دموع الاسى والحزن العميق وصبت لعناتها على الانقلاب وحكومة الانقلاب.

السيد توفيق وهبي (١)

قرر مجلس الوزراء بتاريخ ١٩٣٦/١١/٢١ تعيين السيد توفيق وهبي مديراً للاشغال العام[٤٢] براتب قدره «ستون ديناراً» وهو راتب يعطى للموظفين من الدرجة الاولى فقط. كان السيد وهبي صديقاً صدوقاً لبكر صدقي وكان من قبل ضابطاً في الجيش مشهوراً بنزعته الكردية وافكاره «الانفصالية». ثم اخرج من الجيش وعين متصرفاً للواء السليمانية وهناك استغل وظيفته فأخذ يحرّض العشائر الكردية على التمرد والعصيان ويبث بينها الشعور القومي بصورة تهدد الوحدة العراقية وتوجد الشقاق بين الاكراد والعرب. وكانت علاقته وطيدة جداً بضباط «المخابرات البريطانية» وينفذ طلباتهم بلا مناقشة او تردد واستمر في سلوكه وارتباطه معهم حتى أقصي عن الوظيفة لتصرفاته المضرة بكيان الدولة وامنها فانصرف الى الترجمة والتأليف ولما حصل الانقلاب امر بكر صدقي بتعيينه وارجاع حقوقه. فاثار هذا التعيين تكهنات كثيرة واسئلة لاحصر لها لان كلا الرجلين يتمتعان بعطف الانكليز ورعايتهم.

الضباط يطلقون النار على السيد مولود مخلص

كان مولود قومياً عربياً شجاعاً شارك في اكثر الجمعيات والثورات التي عملت لوحدة العرب واستقلالهم وتقلد مناصب ادارية مهمة في حكومة الاحتلال وعين عضواً في مجلس الاعيان العراقي «وهو مجلس يعين اعضاءه الملك من رجال لهم خدمات

---

(٤٢) كان السيد احمد شوقي الحسيني ، المدير العام ، «للاشغال» موظفاً كفوءاً ونزيهاً، ويتمتع بثقة الهاشمي وعطفه كثيراً. فلما وقع الانقلاب قرر مجلس الوزراء تعيينه «مهندساً» ملحقاً بمنطقة اشغال البصرة «احدى المناطق التي كانت تابعة له..» وكان هذا التعيين مخالفة مخجلة للقانون والانظمة المتبعة في الدولة. فلما زالت حكومة الانقلاب اعيدت اليه حقوقه المشروعة .

ومواقف مشهودة في تاريخ الامة العربية»... فلما وقع الانقلاب وبدأت حكومته تعادي القومية العربية وتضطهد احرار العرب وتنتهج سياسة اقليمية هدفها عزل العراق عن الركب العربي والنهضة القومية ، عارض مولود هذه الحكومة واخذ ينتقدها في مجالسه العامة والخاصة ويوجه لومه وتقريعه الى قائد الانقلاب بالذات، فلما اغتيل ضياء يونس صديقه في الجهاد تألم عليه كثيراً وطلب مواجهة بكر في مقره بوزارة الدفاع وحصلت بين الرجلين مناقشة حامية اتهم بها مولود بكراً بأنه هو القاتل وهو المسؤول عن جميع ما يحدث في البلد من ارهاب وظلم. وكان هذا الهجوم على بكر وهو في «قلعته» شجاعة فائقة لم يتحملها قائد الانقلاب واعتبرها اهانة مقصودة «لشخصه المقدّس» «وأمر زبانيته» من المرافقين العسكريين ان يؤدبوا مولوداً ويجهزوا على حياته ليكون عبرة لغيره من المعارضين واستعد هؤلاء للعمل واحضروا سيارة عسكرية واصطحبوا معهم فيها بعض «المغامرين» من الجنود. ووقفوا ليلة ١٠ شباط سنة ١٩٣٧ في الساعة الحادية عشر بالقرب من دار المجني عليه مولود مخلص. فلما جع الى داره وهو في سيارته ومعه ابن اخيه السيد جاسم مخلص وسائقه العربي الشجاع انهال عليه الرصاص بشدة كالمطر المنهمر واطلق عليه اعوان بكر مئات الطلقات ولكن مولود وجماعته جاوبوا على النار بمثلها وتركوا السيارة وتتبعوا الجناة بنار مسدساتهم وانتهت محاولة الاغتيال بالفشل. وكتب الله لمولود واخوانه النجاة من شباك بكر ومؤامراته.. «وتقدرون وتضحك الاقدار»... وفي صباح الحادث ترك مولود العراق سراً الى جهة مجهولة ثم وصل مدينة الشام بعد ان اصدرت الحكومة «امر القبض عليه»

اغتيال عبدالله باشا عالم العمري

عبدالله باشا عالم من وجهاء الموصل ومن اعداء الانقلاب ، ابتعد عن رقابة الحكومة في قريته «تل الشعير» في ناحية الشرقاط ، فحرض عليه اعوان بكر صدقي جماعة من الفلاحين الناقمين فأغتالوه ليلة الثلاثاء الموافق ١٦ شباط سنة ١٩٣٦ فذهب مأسوفاً على شبابه من اصدقائه وابناء بلده.

مقتل علي رضا العسكري نائب بغداد

نقل الوشاة والمتزلفون الى بكر صدقي ان جعفر علي رضا العسكري شقيق جعفر العسكري الذي اغتيل ظلماً قد اقسم ان ينتقم لاخيه ويثأر لدمه من قاتليه

ىلى رأسهم بكر صدقي، فانتفض غضباً لهذا الخبر وقرر ان يباغت الخصم قبل ان ىقض عليه وينشب اظفاره في جثته وارسل الى السفاكين من اعوانه ومرافقيه مرهم بقتل العسكري.. وذهب الجناة السفاكون ودخلوا الدار ، واطلقوا على رأسه ىنار فوقع يتضرج بدمائه وخرجوا ضاحكين فرحين وتراكضوا الى سيدهم يعلنون لامر الخطير.. وبعد ايام ، اذاعت الحكومة «ان السيد علي رضا العسكري قد مات ىنتحراً»..

السيد محمد يونس السبعاوي المحامي

وهذا شاب يتدفق حماساً ووطنياً ، يشع ذكاءاً وعلماً ، رافق ياسين الهاشمي في حزب الاخاء ، وتولى شؤون جريدة الاخاء الوطني ، وكتب اكثر افتتاحياتها ودافع عن سياسة الهاشمي دفاعاً حاراً في كل المناسبات. وقبل الانقلاب بشهر واحد «انتخب نائباً» في المجلس النيابي القائم، وكان الهاشمي يلقبه «بالشيخوخة الباكرة» لنضجه وثاقب بصره فلما حصل الانقلاب كان يونس السبعاوي في طليعة الشباب القومي الذين قاوموا الانقلاب واعتبروه حدثاً خطيراً يهدد القومية العربية بأوخم العواقب، وكان يحرض اخوانه الضباط القوميين على التخلص من بكر صدقي قبل ان يشتد ساعده ويفرض سيطرته على البلاد. وكانت اعمال يونس واقواله تصل حكمت سليمان وبكر صدقي في انتظام ، فقررا ان يتخلصا منه اسوة بغيره من المعارضين. فلما سمع المقدم صفوة سعيد «ساعد بكر صدقي الايمن» وكانت تربطه بيونس صداقة ومحبة التمس من بكر ان يترك هذا الشاب فهو لا يستحق مثل هذا العقاب ، واتصل بيونس السبعاوي ونصحه بمغادرة العراق فاستجاب للامر وغادر البلاد واستقر في لبنان .

زوجة السيد جعفر العسكري

كانت السيدة فخرية زوجة جعفر العسكري في القاهرة ، فلما سمعت بمصرع زوجها ، اثناء الانقلاب «ركبت الطائرة وتوجهت الى بغداد» فلما دخلت المطار واجرت بعض المعاملات وهمت بالخروج الى دارها في الوزيرية تقدم لها مدير شرطة بغداد وابلغها بأن دخولها الى العراق ممنوع بأمر رئيس الوزراء ، «وعبثاً حاولت» اقناعه بالعدول عن هذا الرأي او السماح لها بالاتصال بالمسؤولين الكبار. ثم طلبت من المدير اذناً بالاقامة لمدة «اسبوع واحد في وطنها لقضاء بعض الضرورات». والدستور يمنع نفي

العراقيين خارج بلادهم فلم يستجب الى طلبها وقال اني موظف مكلف بتنفيذ الاوامر واستحضر لها سيارة خاصة وسفرها الى الشام تحت حراسة شديدة فلما وصلت ابرقت الى الملك غازي تحتج على ظلم الحاكمين وانتهاك الدستور.

اغتيال عبدالقادر السنوي في وضح النهار

قانوني كبير ، وموظف عالم كفوء اشغل مناصب رفيعة في سلك القضاء وكان مثالاً للرجل العادل الفاضل وقد نقل من القضاء الى وزارة المالية وعين «مديراً عاماً للاملاك والاراضي الاميرية» وبحكم وظيفته كان عضواً في «مجلس الانضباط العام» ومن الصدف السيئة ان يرفع احد المقربين الى بكر صدقي وهو «السيد محمود جودة» قضية تخص راتبه التقاعدي. فلما عرضت القضية على المجلس وجه السنوي اسئلة قانونية محرجة لم تكن في صالح «المدعي محمود جودة» فامتعض من هذه الاسئلة وتهجم على اعضاء المجلس وطلب تأجيل النظر في قضيته فاجلت الجلسة الى اشعار آخر. وقد تدخل بكر صدقي في هذا الموضوع وطلب من السيد عبدالقادر ان لا يزعج الناس بتطبيق القانون حرفياً ويتشدد في القضية موضوعة البحث. فلم يستجب السنوي واصرّ على تطبيق احكام القانون فامتعض محمود جودة ولقى تشجيعاً من لدن بكر قوى هذا النفور والامتعاض فحمل مسدسه ، وانتظر السنوي على درج وزارة المالية ، فلما خرج السنوي من ديوانه على عادته اطلق عليه محمود جودة النار من مسدسه . فأرداه قتيلاً يتدحرج من اعلى الدرج...واحيل القاتل الى المحكمة الكبرى في بغداد . فحكمت عليه بعقوبة الاعدام ، وميز المحكوم القرار لدى محكمة تمييز العراق وادعى اخوه «العقيد محمود جودة» ان اخاه مصاب بلوثة في عقله «مجنوناً» وبتأثير من حكمت سليمان على اعضاء محكمة التمييز قبلت المحكمة هذا الدفع القانوني . وقررت تأجيل تنفيذ عقوبة الاعدام ووضع «المحكوم» تحت المشاهدة والرقابة في مستشفى «المجانين» لمعرفة مرضه. فلما قتل بكر صدقي في الموصل استدعت المحكمة الكبرى «المحكوم» وقررت تنفيذ حكم الاعدام. وصدّقت محكمة التمييز القرار الجديد. ونفذ الحكم في محمود جودة في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣٧.

السيد جميل روحي

وبعد شهرين من وقوع الانقلاب هجم شخص مجهول الهوية على السيد جميل روحي مرافق ياسين الهاشمي وطعنه بسكين كانت بيده. ولولا شجاعة جميل وقوة

جـ... لاصبح من الهالكين... وفرّ الجاني ، واغلقت التعقيبات القانونية بحقه.

استقالة وزير البلاط

رستم حيدر شخصية قوية تأسر القلوب برقة طبعها ولطف حديثها ونبوغ مشرق يفصح عن كفاءات عالية في اكثر العلوم والفنون واختصاص في السياسة والاقتصاد زانته خبرة ومراس طويل. رافق الملك فيصل في مراحل جهاده في الثورة العربية في سوريا ، وحضر معه مؤتمرات السلام في باريس ولندن وطهران وانقره. وكان عربي الاصل والعقيدة ، يؤمن بحق «الامة العربية في الوحدة الشاملة والاستقلال الكامل».. وقد ساهم في تكوين الجمعيات العربية السرية مع اخوانه الاحرار القدامى امثال عزيز علي المصري وشكري القوتلي وسليم الجزائري وهاشم الاتاسي وياسين الهاشمي. فلما وقع الانقلاب العسكري وتشكلت وزارة حكمت سليمان بدأ التناقض والعداء واضحاً بين سياسة رستم وسياسة العهد الجديد. وفرضت وزارة حكمت سليمان رقابة شديدة على اعماله وتصرفاته داخل البلاد وخارجه . فوجد من الحكمة ان يقدم استقالته من منصبه. وقبل الملك استقالة وزير البلاط تنفيذاً لرغابات رئيس الوزراء قائد الانقلاب. وترك رستم حيدر العراق وسكن في بعلبك موطنه الاصلي ومسقط رأسه.

ابراهيم كمال وزير البلاط

وتشاور بكر مع حكمت لاختيار الشخص الذي يشغل هذا المنصب ، فوقع اختيارهم على ابراهيم كمال مدير الكمارك والمكوس العام، وهو من الذين تربطهم بقادة الانقلاب نزعات وافكار واحدة. فقد كان حاقداً كل الحقد على السيدين نوري السعيد وجعفر العسكري لانهما حالا دون دخوله في وزارة الهاشمي وحالا دون تعيينه «سفيراً للعراق في لندن» ... فلما استقر الوزير في منصبه الجديد واخذ يحتك بالملك غازي نفر منه الملك لخشونة طبعه وتدخله فيما لا يعنيه ونشأت بين الطرفين جفوة وقطيعة كان يلطفها احياناً قائدالانقلاب .

***

اقوال الصحف العربية والاجنبية في الانقلاب

استقبلت الصحافتين العربية والاجنبية الانقلاب في العراق بدهشة وذهول ، وقد

اثار وقوعه المباغت تعليقات كثيرة واهتمام شديد وها نحن نقتطف بعضاً من اقوال الصحف في هذا الشأن:

«جريدة البلاغ القاهرية»

نقلت الجريدة عن مراسلها في لندن «ان الدوائر الرسمية البريطانية ترى ان الانقلاب الذي حدث في بغداد لا يثير اي قلق بالنسبة للعلاقات بين بريطانيا والعراق. ان ميول الوزراء الجدد نحو الكماليين لا تدعو الى القلق نظراً للعلاقات الحسنة بين تركيا وبريطانية».

«جريدة الاهرام القاهرية»

قالت جريدة الاهرام ان العنصر العربي في العراق لا يرضخ الى دكتاتور وعلى الاخص اذا كان غير عربي. اننا نعتقد ان القبائل العربية المسلحة سوف لاتقف مكتوفة الايدي تجاه قلب حكومة عربية برئاسة ياسين الهاشمي بأيادي غير عربية والواقع ان الانقلاب لا يتجه الى معاداة السياسة البريطانية ... ».

وقالت جريدة القبس الدمشقية

«ان الدكتاتورية الجديدة في العراق برأسة بكر صدقي وحكمت سليمان ديكتاتورية تؤمن بالنزعة الاقليمية وتعادي النهج العربي والعقيدة العربية»..

وقالت الشباب القاهرية

ان لبريطانيا دور مهم في تدبير الانقلاب في العراق. كما ان لايران اصبع ظاهر في هذه الحركة وذلك لاطماعها في شط العرب. ان هذا الانقلاب يوشك ان يكون نذير حرب اهلية ويثير النصرة العربية ويدفعها الى التمرد على قائد الانقلاب لانه رجل كردي يؤمن بالاقليمية الضيقة»

وكتبت جريدة الف.باء الدمشقية بعنوان «الاكراد يقفون ضد العرب» اتهمت النظام الجديد في العراق بانه محاولة جريئة لتجريد العراق من عروبته»...

وقد انتقدت جريدة «السياسة المصرية» تدخل الجيش في السياسة وقالتْ ان الجيش يجب ان يكون اداة دفاع ونظام لا اداة انقلاب واضطراب. لذلك يجب ان يبتعد عن السياسة

اقوال الصحف الاجنبية

قالت جريدة سنداي تايمس اللندنية «يستبعد على العموم كون الانقلاب العسكري في العراق مضر بالمصالح البريطانية لان تقدم البلاد مشتبك بهذه المصالح اشتباكاً وثيقاً. وان الانقلاب يدل على ان الحكومة الجديدة تهوي بسرعة تنذر بسوء المصير اسوة بجمهوريات امريكا الوسطى»...

وقالت جريدة سبكتاثور اللندنية « ان الانقلاب الذي وقع في العراق احدث دهشة تامة في وزارة الخارجية ، ومع ذلك فانه ليست له اي علاقة بالحوادث التي وقعت في فلسطين ولا يشكل خطراً على مصالحنا في العراق»..

واما جريدة فرانكفورتر زيتونغ الالمانية فقد ذكرت «ان الانقلاب العراقي نظم في لندن لان الانكليز غضبوا من حركة الوحدة العربية التي كانت تساعدها حكومة العراق السابقة وان حكومة الانقلاب تميل الى الحكومتين التركية والايرانية»...

وفاة ياسين الهاشمي في بيروت

نقلت اسلاك البرق نبأ وفاة زعيم العرب ياسين الهاشمي في بيروت اثر نوبة قلبية عنيفة يوم ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٣٧ فاهتز العالم العربي لهذا النبأ المفزع وغمر الحزن كل مكان. واعلنت عواصم العرب الحداد ولبست السواد وذرفت الدموع والعبرات ، وابرق السيد طه الهاشمي شقيق الفقيد الى الملك غازي والحكومة العراقية والتمس ان تسمح له «بنقل الجثمان» الى بغداد، فورد الجواب بالموافقة على شرط ان لا يكون طه الهاشمي مع الجثمان ، فهو ممنوع من دخول العراق. وابرقت الكتلة الوطنية في الشام بلسان رئيسها «السيد هاشم الاتاسي» وطلبت من الحكومة ان تسمح للوفود العربية ولوفود «الكتلة الوطنية» «ولرجال القمصان الحديدية» ان يرافقوا الجثمان بطريقه الى بغداد فجاء الجواب بالرفض لان دفن الهاشمي بهذا الشكل يعتبر مظاهرة سياسية عربية تهز الحكومة. وتصدع نظام الحكم القائم «فقررت الحكومة لسورية والوفود التي جاءت من كل الاقطار العربية ان يدفن الزعيم بجوار «البطل العظيم صلاح الدين

الايوبي» في دمشق... فكلاهما قدّما للامة العربية وللأسلام خدمات جليلة يعجز عن وصفها اللسان.

كيف شيع جثمان الفقيد من بيروت الى الشام

وها نحن ننقل وصف هذا الموكب كما صورته جريدة القبس الدمشقية الصادرة بتاريخ ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٣٧. فكتبت تحت هذا العنوان مايلي:

بيروت تذرف الدموع السخينة

مر يوم الجمعة على العرب وما عرفوا كيف مر فقد كان الحزن البالغ مالئاً كل نفس والالم العميق مخترقاً كل صدر وكان كل انسان يردد في ذهول وحسرة واسف مات ياسين الهاشمي ، مات الرجل الذي كانت سنته في الحياة ان يتخطى كل عقبة ، ويستسهل كل صعب ، ويحمل كل عبئ ويتحمل كل مسؤولية في سبيل ان ترتفع لهذه العروبة الجبارة المقدسة راية واحدة تخفق في اقصى بلاد الضاد الى اقصاها. فيعود العرب وحدة جامعة كبرى، كما كانوا ، ويظل مجد محمد وابي بكر وعمر وعثمان وعلي في الشام وفي بغداد. هؤلاء العرب الذين زلزلوا يوم امس ايما زلزال عندما نعى «الناعي» ياسين الهاشمي..

وقدمت مدينة بيروت الدليل الاوفى على حرصها على تكريم الرجل الذي جاءها مبعداً من الدولة التي انشأها واستقبلته خير استقبال ، كما حرصت ان تبدي كل ما تملك من شعور دفاق واخلاص للعروبة قوي عندماهزها نبأ وفاة صيفها العظيم وودعت جثمانه الكريم اروع وداع .

ولقد كان مأتمهم في بيروت مأتماً ينطق بالوفاء الجميل والنكبة الهائلة ، وازدحم الناس في باب دار الهاشمي الفقيد يذرفون الدموع السخينة ويعزي الواحد الآخر بمصيبة العرب جميعاً وخرج النعش من الدار في الساعة التاسعة قبل ظهر يوم الجمعة يحمله «طلاب الجامعة الامريكية» وقد «لف بالعلم العربي» . وطلع النعش على الناس فما ملك واحد شأنه. وعلا البكاء والنحيب واطلت النسوة من الدار ينادين والالم العنيف يخنق اصواتهن «مع السلامة ياياسين ، يارفيق فيصل» .

ومشى النعش في موكب تمثلت فيه عظمة الموت والميت ، وكان عدد المشيعين

لا يدخل في نطاق الحصر فتقدم النعش فرقتان من البوليس اللبناني وفرق الكشافة الاسلامية ، وفرق راكبي الدراجات وحاملي الاعلام العربية مكتوباً على بعضها «فقيد الوحدة العربية».. ومشى في مقدمة النعش الطلبة العراقيون وشبان القمصان الحديدية وطلاب من سائر البلاد العربية ووراء النعش شقيق الفقيد «طه باشا الهاشمي» وحواليه سماحة المفتي وسيادة القاضي وكبار العلماء ، ورئيس مجلس النواب الامير خالد الشهابي والوزراء ، والسادة رياض الصلح وعمر الداعوق وفخري البارودي مندوباً عن «الكتلة الوطنية» والاستاذ معروف الارناؤوط صاحب جريدة «فتى العرب» والاستاذ اديب الصفدي والاستاذ نجيب الريس صاحب جريدة «القبس» والاستاذ ابوالهدى اليافي مندوباً عن «عصبة العمل القومي» والبرنس عبدالمجيد وغيرهم من رجالات بيروت واعيانها ورجال الصحافة فيها. ومثل الحكومة اللبنانية في المأتم «الاستاذ ابراهيم حيدر وزير الاشغال العامة . ومثل مدينة بيروت محافظها الاستاذ كامل حمية».. وقبل خروج النعش من الدار قصد اليها الاستاذ «حبيب ابوشهلا» وزير التربية الوطنية الدفاع معزياً باسم رئيس الوزارة اللبنانية . وسار الموكب في شارع ربيز ، فحاووط ، باب ادريس ، فجامع العمرية ، حيث اصطف رجال الشرطة والبلدية وازدحم الناس وصل الموكب الساعة العاشرة وكان في انتظاره الشيخ بشارة الخوري والاستاذ ميشيل زكور. وبعد الصلاة وقف الطالب السيد عبدالمنعم الرفاعي وارتجل قصيدة رائعة ، وفي ساحة الدباس القى الاستاذ علي ناصرالدين كلمة باكية في رثاء الفقيد وفي الساعة العاشرة والنصف تماماً نقل النعش الى دمشق يرافقه طه باشا والوفود..

. دمشق الملتاعة تنتظر نعش الراحل

اما دمشق فيالهول الوجوم المريع الذي اخذ على دمشق مأخذها كلها وملك عليها كل امرها وعادت بها النكبة الى ذكريات الماضي السعيدة ، ذكريات فيصل وتاجه وعرشه ورجاله وتمثلت لها صورة ياسين الهاشمي من هاتيك الايام الناعمة الحلوة من اجمل روعة وانصع صفحة واحسن اثر ، فتفجرت دموع العرب في عاصمة العرب وزحفوا منذ الساعة الثانية عشرة بعد ظهر الجمعة مواكب تتبعها مواكب الى طريق بيروت ممسكة بقلوبها الواجفة الملتاعة تنتظر نعش الرجل الذي مر بها قبل ثلاثة اشهر مشرداً عن بغداد ، في طريقه الى بيروت ويمر بها اليوم ميتاً في طريقه الى قبره الخالد في بغداد.

ياسين الهاشمي فقيد الوحدة

وشق الناس طريقهم الى دمر والصحراء وميسلون ، وفي طليعتهم فريق من الضباط العسكريين المتقاعدين رفاق الفقيد من ساحات المعارك الكبرى في الحرب العالمية منهم الزعيم العسكري السيد نصوح النجاري ،والقائمقام العسكري احمد اللحام.

واصطفت فرق القمصان الحديدية وفوق الكشافة وطلاب المدارس من امام الجبخانة حتى فندق فكتوريا. ووقف ثلة من رجال الشرطة ومثلها من رجال الدرك ، وفي الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة عشر وصل النعش ملفوفاً بالعلم العراقي .

***

وعند وصول الموكب الى قرب معمل «الجوخ الوطني» ترجل مرافقو النعش من السيارات ومشوا وراءه. ومشى الناس في جموع زاخرة ، ومشى الفقيد طه باشا وصهر الفقيد ، ووكيله.

رجالات العاصمة سوريا خلف النعش

وعند وصول الموكب الى حديقة الامة انظم اليه الدكتور نجيب الارمنازي وزفيق بك العظمة مندوبين عن فخامة رئيس الجمهورية ، وانظم السادة رئيس المجلس النيابي الاستاذ فارس الخوري ، ورئيس الوزراء والوزراء الحاليون والسابقون والنواب وقنصل المملكة العربية السعودية وكبار موظفي الحكومة وفريق لا يحصى له عدد من اعيان دمشق ووجهائها وشبابها ورجال صحافتها ومحافظ مدينة «دمشق» الذي قدّم الى طه باشا الهاشمي تعزية «دمشق» ومدير الشرطة العام وعميد الجامعة السورية ونائب غبطة بطريرك الروم الارثذوكس. وفريق من الرؤساء الروحيين.

ثم سار الموكب على الترتيب الآتي «فرق القمصان الحديدية ، فرق الكشافة ، الموسيقى الارثذوكسية فطلاب الصنائع فطلاب الجامعة ، فشباب «عصبة العمل القومي ، فكشافة الكلية العلمانية وطلابها وطلاب التجهيز ، فحملت الإكاليل وكوكبة من الحرس منكسة الاعلام وثلة من الشرطة وفرقة من الحرس الوطني فألوف المشيعين ،

واجتاز هذا الموكب العظيم طريق بردى ، فجسر فكتوريا ، فشارع الحجاز ، فشارع النصر ، فسوق الحميدية ، وفي هذا السوق اصطف شباب القمصان الحديدية لتحية النعش حتى مدخل الجامع الاموي.

الاكاليل لا يحصى لها عدد

ومن العسير على الصحفي يحيط باسماء الاكاليل. ولكننا نورد هنا ما علق من الاسماء في ذاكرتنا منها اكليل هاشم الاتاسي ، الامير عبدالله بن الحسين ، الزعيم الدكتور الشهبندر ، فارس الخوري ، جميل مردم بك ، سعدالله الجابري ، شكري القوتلي ، عبدالرحمن الكيالي ، سلطان باشا الاطرش ، نبيه العظمة ، رئاسة الوزراء ، وزارة الداخلية ، وزارة الخارجية ، وزارة الدفاع ، وزارة المالية ، وزارة المعارف ، وزارة الاقتصاد ، الكتلة الوطنية ، طلعت باشا جرب ، رياض الصلح ، لطفي الحفار ، بطريرك الروم ، حسن الحكيم ، فائز الخوري ، فخري البارودي ، احسان الشريف ، نصوح البخاري ، مصطفى الشهابي ، بهجة الشهابي ، الشباب الوطني ، منير العجلاني ، الجامعة السورية ، معهد الحقوق ، رشيد الحسامي ، معهد الطب ، الغرف التجارية ، عصبة العمل القومي ، الغرف الزراعية ، الغرف الصناعية ، نقابة المحامين، نقابة الصحفيين ، الكلية العلمية الوطنية ، محافظة اللاذقية ، محافظة جبل الدروز ، القمصان الحديدية ، مدينة بيروت ، طرابلس الشام ، حلب ، حمص ، صور ، حماه ، صيدا ، اسكندونه ، انطاكية ، دير الزور ، الانشاء ، المضحك المبكي ، الف باء.

برقيات التعازي

وقد انهالت برقيات التعازي على شقيق الفقيد طه الهاشمي ، بالالوف ، مما دل على عظم النكبة التي شعرت بهولها جميع البلاد العربية . وها نحن نكتفي بنشر برقية سمو الامير عبدالله وبرقية صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا «رئيس حزب الوفد المصري» ورئيس الوزراء..(٤٣)

حضرة صاحب السعادة طه باشا الهاشمي .دمشق

رزئت مصر ، كما رزئت البلاد العربية كلها بوفاة المجاهد الوطني الكبير ياسين

---

(٤٣) جريدة القبس الدمشقية ليوم ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٣٧.

باشا الهاشمي الذي وقف حياته على خدمة قضية العرب ، وادى لشقيقنا العراق اجّل الخدمات . فبأسم الحكومة المصرية ، والامة المصرية ، وبأسمي خاصة اقدم اصدق آيات العزاء . اطال الله بقاءكم وتغمد الفقيد برحمته في نعيم جناته والهمكم فيه الصبر الجميل .

مصطفى النحاس

وتلقى الدكتور صبحي بك ابوغنيمة من سمو الامير عبدالله البرقية الآتية وعمل بمضمونها .

الدكتور : صبحي ابو غنيمة.دمشق

انبناكم عنا في السير بجنازة المرحوم الهاشمي باشا ، والقيام على قبره وتأبينه بذكر حياته العسكرية وخدماته الجليلة لبلاده ، وإنه لم يكن مصابه يخص ذويه بل هو مصاب للبيت الهاشمي والعرب ، وليعلم طه باشا ذلك مع تكرر تعزيننا له بواسطتكم

رئيس وزراء الدولة السورية يقول للعالم العربي:
لقد اعددنا للهاشمي قبر صلاح الدين تكريماً لبطولته وتخليداً لرجولته

وفيما يلي الخطاب الرائع الذي القاه حضرة صاحب الفخامة جميل بك مردم رئيس الوزراء امام تابوت العربي العظيم تحت قبة جامع بني امية

ايها السادة

لقد ودت دمشق مدينة الاضاحي الخالدة وعاصمة العرب التي احبت ياسين رجل العربية الكبير والقائد الشجاع والسياسي الداهية ، والعربي المؤمن برسالة العروبة المقدسة ان تستقبله ببشاشتها وحماستها وتحيطه باعجابها وتقديرها ، معترفة باياديه البيضاء واعماله الغراء ، لذلك كان عزيزاً على دمشق وعلى هذا القطر الشامي العربي ان يخيب القدر رجاءه وينفذ فيه قضاءه وان تستقبله في هذا اليوم باللوعة والاسى جسداً هامداً ، وهو الذي كان يبعث في النفوس القوة وينفث في القوب الحياة ، لقد طوى الموت هذا اللواء العربي الخفاق ، واخمد الردى ذلك القلب النابض ، واطفئ ذلك العقل المدبر واذوى تلك الآمال الكبيرة التي كان العرب يعقدونها ، فاذا كان لم يشهد

في حياته ثمرة مساعيه الجليلة واعماله العظيمة باتحاد كلمة العرب واجتماع شمل اقطارهم المبدد ، فإن روحه في علياء الخلود لتشهد رجال العرب حول نعشه خاشعين، يعقدون الخناصر على تحقيق امانيه الغالية وآماله السامية.

ايها السادة: لقد عرفت الهاشمي الكبير ايام تأسيس المملكة السورية العربية المتحدة في هذه الديار، وتعاونا معاً في حزب «العربية الفتاة» وحزب «الاستقلال العربي» فكنا نشاهد في كل يوم من مزاياه الكريمة، وبعده عن سفاسف الامور ، وعكوفه على الجد في الرغائب، والسمو في المطالب ، ونرى من آيات ووفائه واخلاصه للقضية العربية الكبرى ما يملئ النفوس اعجاباً وإجلالاً. لقد جنى عليه اخلاصه لقضية العرب ، فكان من مقدمة الاسباب التي دعت الى اعتقاله في فلسطين سنة ١٩١٩م. ولقد استمرت فيما بيننا وبين الفقيد الكريم الصلات وتوثقت عرى الاخاء. فما اطمئن الى مستقبل العراق حتى غادر دمشق الى بغداد يعمل الى تمكين قواعد الحكم العربي فيها واقامة بنيانه على امتن الاركان، فظهرت آثاره الباهرة في الحكم، وفي ساحات النضال والجهاد مما جعله معتمد المغفور له الملك فيصل في مدلهمات الحوادث وسود الخطوب، يفزع لرأيه ويركن لمشورته معارضاً كان او مجاهداً في مقاعد الحكم ام في صفوف الشعب.

ولقد اتيح لي عندما سافرت وفريقاً من الاخوان الى مكة المكرمة ان المس مقدار حرصه العظيم على تحقيق الاماني القومية الغالية ، وارى عمله الكبير في احكام اواصر الاتحاد العربي الذي يرجع اليه الفضل في ايجاد نواته بعقد معاهدة الحلف العربي بين العراق والمملكة العربية السعودية.

كان الهاشمي عظيماً في اخلاصه ، عظيماً في تفكيره ، عظيماً في عفة نفسه، عظيماً في بطولته ، عظيماً في صلابة عقيدته. ولقد رأيته كبيراً في الاعتقال وكبيراً في الحكم وكبيراً في ثقته بالعراق واعتماده على اخوانه وابنائه الاكرمين. ولقد قال لي قبل ايام «ان آمالي كبيرة بالعراق ولايمكن لاي شخص تولى الحكم فيه إلا ان يفكر ابداً فيه وفي المستقبل الذي ينتظره .

كان عف اللسان ما سمعته ذكر احداً بسوء ، ولو كان من خصومه الالداء وما تعرض لاحد بكره في غيب ، واذا اراد احد ان يعرض لامور شخصية في مجلسه جابهه بقوله «مالنا وللشخصيات . ان الجميع مخلصون».

اما وقد طوى الموت هذا اللواء فملأ النفوس عليه حزناً والقلوب التياعاً فلا يسعنا ايها السادة ، إلا ان نشيد بعظيم ما أراده الراحل العزيز لبلادنا السورية العربية من خدمات كبرى ومساع مشكوره، في جهادها للحرية وفي مفاوضاتها لعقد معاهدة الاستقلال وان نشير باللوعة والاسى الى مقدار ما اهمته وغمته قضية لواء الاسكندرونه منذ نشوبها ، فكان دائم التفكير فيما يجب القيام به من عمل لصيانة حوزة هذا الوطن العربي ، واحترام حدوده وهو في مستهل حياته الجديدة.

كما واننا نذكر بالاعجاب والتقدير ما اسداه لشطر سورية الجنوبية «فلسطين» من جميل الصنع، وما بذله من كريم الجهود في نهضتها. فلم يدخر وسعاً في بذل كل معونة مهما عظمت، وكل مساعدة مهما جلت.. هذه حقيقة ايها السادة نجهر بها في هذه الساعة الرهيبة خدمة للحقيقة التي لا يحجبها باطل واعترافاً بجميل الصنيع الذي لا ينكره عاقل

والهاشمي قد اكتسب محبة القلوب وفرض على كل عربي احترامه وتقديسه لاعماله المخلصة وكفاءته النادرة وكريم فعاله الخافية والظاهرة.

ايها السادة : ان دمشق التي تعتبر الفقيد الكبير مواطناً لما اسداه لها وما ضحاه في سبيلها ارادت ان يضم ثراه الريان بدماء الشهداء وان تبني له مرقداً فخماً الى جانب مرقد شيخ الابطال المجاهدين صلاح الدين.

ايها الاخ الحبيب لقد جهدت طويلاً وضحيت كثيراً ، وها انك الآن تستوي في مرقدك الاخير بين الخالدين والشهداء المقربين في اعلى عليين. تحمل آمال امة مفجوعة، واماني شعب مرزوء. جاهدت في سبيله فما ونيت ، وضحيت من اجله فما بخلت ، وتعبت في خيره فما قصرت، فإن المصاب بك افعم القلوب حسرة وملئ النفوس لوعة. نم في مستقرك الاخير فما ينام البطل الشجاع الذي عقد النصر بلوائه وضفر المجد له اكاليل الظفر فلم ينعم بشعار نصره، ولا هنئ بجني ظفره، ولكنه بنى لقومه فأعلى البناء وسعى لشعبه فاحسن المسعى. عاش حميداً وقضى مجيداً.

مات الهاشمي

بهذا العنوان كتبت جريدة الدفاع الفلسطينية التي تصدر من القدس بتاريخ ٢٢ كانون الثاني : في بيروت وليس في بغداد. في سوريا وليس في العراق. ودع ياسين الجندي الثائر والزعيم الباني .. فيا عهود الثورة وما قبلها، وايام البناء في

العراق ، ارتدى ثوب الحداد. سيري وراء الرجل كما سار الليل والنهار فيك ، خواض غمار الموت، وقحام أسواق المنايا . وإذا خارت قواك ، وخانك التجلد ، فاذكري انك الخالدة وكل ابناءك الذاهبون ، وتقدمي احملي «الابن البار» الى رقدته الاخيرة في ذمة المجد والعلى والتاريخ.

صدمة النفي ، يالها ، اذهلت واثقلت وتركت كل عارف هذا الرجل لا يصحو من سكرات الغيبوبة، ومرت على الذهن المفجوع مواقف ياسين الهاشمي قائد الفيلق الرابع والعشرين . ثم الثامن عشر ، ثم رئيس ديوان الشورى الحربي في حكومة دمشق العربية ، ثم زعيم المعارضة في بغداد ، ثم رئيس الحكومة فيها. فحال بين عبق الذكريات ، كسير القلب يرسل الدمعة مفترقة من الجوى.

وحين جاء ما سموه «انقلاباً» سكت كل قلم مع الهاشمي بأمر منه، وانبرت الى الميدان اقلام حاولت ان تنال من النفس الكبيرة، ورضي الاصدقاء بالسكوت لأن المأجورين لا شأن لهم. كبرياء العظمة تسقف على معروضات أسواق الذمم والمصالح. ومن كان لا يؤمن بعودة الى الهاشمي الى البناء الذي سهر عليه؟.. فنحن نقول إن رسالته خالدة الى الابد .

***

سيرة بطل لاريب فيها ، حارب مع الدولة فكان اعرف قائد بفنون الحرب ، وتقلب في المناصب رفيعها ، الى ارفع محل له نفسه الكبيرة الى القيادة، وعلمه الغزير يطير به الى الطليعة.. واعجب به فوق رجال الدولة العثمانية غليوم قيصر المانيا، وفي الدفاع عن «اياستفانوس».. تجلت كفاءته العسكرية التي لاتطاول، ثم في فلسطين زمن الحرب العالمية ، ثم الثورة العربية الكبرى ، ثم في حكومة فيصل في الشام. واخيراً في مختلف ادوار الحكم في العراق. وإذا احصت كل امة نبغاء قوادها العسكريين تقدم العرب «بياسين الهاشمي» ومعه رهط من صفوة القواد. فياانصار ياسين ، وزملاء ياسين، واخوان ياسين وقفة خاشعة في ادق المواقف لقد فقدتم الذي تعتز به امة العرب. ان الفراغ الذي يتركه هذا الراحل المجيد ، سوف يظل كذلك الى اليوم الذي تخرج فيه هذه الامة الزكية رجلاً عظيماً وزعيماً مثله.

وداعاً يامعاصر الثورة ، ولقاءً ياأيها العربي الوفي...

وكتبت جريدة «المصري» القاهرية في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٣٧ تحت عنوان

ياسين الهاشمي يموت بعيداً عن العراق

وسيرة الهاشمي بما حوته من جلائل الاعمال اكبر من ان تلخص في اسطر، وكل عربي يعلم انه لولا قوة شكيمة الراحل لما احرز العراق في حلبة الاستقلال السياسي ما احرزه . سواء كان بما اسداه الى الملك فيصل من نصائح وهو على رأس المعارضة ، ام بما قدّم من كفاءات ومواهب وهو على رأس الحكم..

ويعلم الناس عامة والعرب خاصة ان الرجل الذي انقذ العراق من اسر الديون التي كان سيظل ينوء بها العراق سنين طويلة كما حدث لمصر هو ذلك العبقري القذ فقيد العرب اليوم ياسين الهاشمي. فعزاءاً للعرب وعزاء للعراق بقائد عظيم ومصلح كبير.

وكتبت جريدة فتى العرب الدمشقية تحت هذا العنوان :

ياسين الهاشمي

كانت المعارك في غاليسيا على اشدها بين الروس والنمسويين الالمان ، وكان النصر يضيئ ويبتسم في وجوه الروس ونفوسهم. انك لا تعلم اي حظ عاثر كتبه القدر للجيوش المغلوبة. فلو تقدم الروس واستمروا في الزحف لكانت هذه الجبال التي يغطيها الثلج في صعيد «غاليسيا» لنصف مليون مِنْ الجنود فيهم ازهى رياحين الجرمان والاتراك..ولكن العناية ابت الا ان تستبقي هذه الرياحين الوانها وعطورها. فربح المعركة عربي من العراق اسمه «ياسين الهاشمي» وانهزم ثلاثمائة الف من الروس امام الجيش الذي قاد اعلامه الى الظفر. وعلى هذه الصورة حققت العبقرية العربية في اودية غاليسيا وفي جبال الكاربات ما كان يقال عن استعداد السلاح العربي لجني الظفر في اي موطن..

وفي غداة هذا النصر جاء قيصر الجرمان «غليوم الثاني» الى الجحفل المنتصر وسأل على القائد العظيم فدلوه على رجل متواضع ، نعم دلوه على رجل ما كان همه في هذا اليوم الذي ربح اعظم معركة الا ان يظهر كبرياءه الوطني ، اما كبرياؤه فقد

حجبها تواضع وادب وعقل يسع الدنيا.. لقد صافحت يد النصر يد العراق المنتصر ورفع من قدره او ساواه بهؤلاء الذين تفخر بهم المانيا من كل هؤلاء الفحول الذين انتصروا على دنيا الروس في «ميسوري» وتانبرج، وفي رومانية.

لكن هذه الحرب التي ربحها عربي العراق لم تبطره فظل متواضعاً، وظهر اثر تواضعه في حياته جميعها وفي حياة هذا الشعب العربي الذي كان موضع فخر وعظمة.

ووضعت الحرب اوزارها وعبث الحلفاء بحقوق العرب وقامت للحرية قضية مقدسة في الشام وفي العراق. فبينا الناس يتخطفهم الجزع على مصايرهم اذا هذا الرجل البسيط في لباسه المتواضع في حياته، العظيم في تفكيره، ينشئ في دمشق وطناً اسمه «العراق» وبيان ذلك ان ياسين الهاشمي الذي روعه ما صار اليه وطنه لم يقطع تفكيره في مستقبل هذا الوطن. ولسنا مؤرخين فنسجل العمل الضخم. ولكننا من شهود عمل رائع يشهد على صدقه رجال سورية. وفيهم هاشم الاتاسي وجميل مردم، وفيهم شكري القوتللي، وجميل الحكيم. وفيهم اعلام العرب جميعاً. ان هؤلاء يشهدون معنا ان الهاشمي استفز وطنية سوريا ،حماستها فاعطت هذه الشامية الاموية العراق ثورته على الاجنبي مالاً ضخماً وسلاحاً كثيراً. فكان حصاد العراق من حب شقيقته الغالية ان استقل وتحرر والفضل في استقلاله وحريته يعود الى جهود فيصل وياسين واخوان ياسين.. الذين اتخذوا طريق سوريا طريقاً الى وطنهم الحر.

واليوم يموت الرجل الذي ولد متواضعاً وعاش متواضعاً على سرير حف به التواضع فلا راية تخفق ولا جيش يتحرك، ولا شعب يهتف وما من موسيقى تعزف الا هذه الموسيقى المحزنة التي تردد انغامها كل قلب، لم يمت الرجل العظيم في معركة فلقد كان من احب امانيه ان يموت في معركة يثيرها العالم العربي في سبيل حريته. ولكنه مات في ميدان يموت فيه الرجل المعتاد. مات مقهوراً لأن وطنه الذي احبه قد ازدرى بالرجولة، وعبث بالبطولة، وقتل رجالها، واطرحهم كل مطرح ولأن هذا الوطن لايزال يهتف للذين حقروا القضية العربية في تشريدهم رجالها وترويعهم ابطالها...

اللهم ان سوريا تحفظ الجميع ولا تنكر الاحسان فقد نزل الروع في نفسها غداة اليوم فوقفت على الجثة الهامدة تسكب ماهو اثمن من كنوز الدنيا.

انها تبكي وتشنج ولكنها على شديد جزعها تنحني على جثة البطل لتهمس

في اذنه وتقول له «أنه احسن اليها كثيراً ، وساعدها كثيراً» ..

انها لا تنسى ما فعله الهاشمي ، في سبيل حريتها قبل اشهر، فلقد منحها كثيراً، وحباها كثيراً ، وجعل العراق كله مقصوراً على الدفاع عن حريتها ، فشكرته يوم كانت الحياة تضحك على شفتيه، وبكته في هذا اليوم الذي جثم الموت في صباحه على صدره ، رحم الله هذا القتيل الشهيد. وكان في عون الامة العربية في مأساتها القومية .

في العراق

وفي العراق وطن الشهيد الفقيد الكبير ياسين الهاشمي غمر القلوب حزن شديد، والم عميق ولكن الحكومة امرت صحافتها ان تهمل ذكر الحدث الكبير. وامرت سلطاتها ان تمنع الاقارب والمعجبين في «اقامة مجالس العزاء» «وتلاوة القرآن الكريم» كما جرت تقاليد المسلمين في قديم الازمان..

الفصل الرابع
انتفاضات وصراعات
خلاعة ومجون

كان بكر صدقي من فرسان اللهو والطرب. وكان يتعشق مغازلة الغواني في جنح الظلام فكثرت سهراته الماجنة ولياليه الملاح. وكان يدعو الى هذه السهرات الضباط من اعوانه والسائرين في ركابه، فانقادوا اليه اذلاء صاغرين تغمرهم الشهوات وتأسرهم كؤوس الشراب الفاخر وبسمات الغيد الحسان. وقد كلفت هذه السهرات خزينة الدولة نفقات باهظة، تصرفها الحكومة بلا تردد وابطاء..

واراد امين العاصمة ارشد العمري ان يتقرب الى الديكتاتور بكر صدقي وينال ثقته، فأمر لعدد كبير «من الفنانات الاجنبيات» الدخول الى العراق على جناح الاثير. وظهر هؤلاء بملامحهن الفاتنة في المسارح والمنتزهات والخلوات. وغصت دور اللهو بصغار الضباط وغيرهم من الرواد المعجبين. وحدث بين «رفقاء بكر صدقي» وغيرهم، اشتباكات وخصومات مبعثها «التنافس والحسد على اقتناص الغواني الجميلات»، ولم يكتف العابثون بهذا القدر من المجون والخلاعة فكتب احد اعوان بكر صدقي «المحامي سلمان الشيخ داؤد» مقالاً في جريدة الزمان بعنوان «نريد مرحاً».. اثنى على سياسة امين العاصمة في خدمة اذواق المواطنين. وطالب المزيد من «حرية الجمال». فضج العلماء والفضلاء من تفشي الرذائل الخلقية، وقدموا احتجاجاتهم الى رئيس الوزراء ليبذل جهوده في اصلاح الحال، وحماية الخلق الفاضل. فلم يهتم الرئيس بتلك الاحتجاجات واضطر نائب ديالى السيد عبداللطيف الفارسي ان يوجه في يوم ١٩ نيسان سنة ١٩٣٧ السؤال التالي لرئيس الوزراء في الجلسة النيابية المنعقدة [الفت نظر فخامتكم على ما اصبحنا فيه من تفسخ وفساد اخلاقي وذلك من جراء كثرة الراقصات الاجنبيات والوطنيات في معظم الاوتيلات وانتشار بيوت البغاء في اكثر المحلات

وارتكاب انواع الموبقات وتهافت الشباب على هذه المحلات ، مما يسبب اضراراً مادية ومعنوية. فاذا ما استمرت هذه الاوضاع فنكون قد ضيعنا اخلاقنا واموالنا وانتشرت الامراض بين السكان ، فعليه اطلب من فخامتكم اتخاذ التدابير المقتضية تجاه هذه الاحوال الجديدة واعلام المجلس العالي بذلك].. فأجاب رئيس الوزراء ان الامر طبيعي وليس فيه ضرر على البلاد (٤٤).

الانتخابات النيابية

حددت وزارة الانقلاب يوم ١٠ كانون الاول سنة ١٩٣٦ بداية للشروع في انتخاب المجلس النيابي على ان تنتهي الانتخابات قبل يوم ٢٠ شباط سنة ١٩٣٧... وقد اتفق قائد الانقلاب بكر صدقي وحكمت سليمان رئيس الوزراء على اختيار «المرشحين للمجلس الجديد».

وكانت حصة الاسد من هذا الاختيار لقائد الانقلاب فقد رشح جميع انصاره ومحبيه. وترك الباقي لرئيس الوزراء وكانت «حصته» من النواب قليلة.

وجاء توزيع المقاعد النيابية عموماً على الشكل التالي : ١٢ مقعداً لجمعية «الاصلاح الشعبي» «كامل الجادرجي وابوالتمن وجماعتهم» و٢٣ مقعداً لشيوخ العشائر والاقطاعيين ، وتسع واربعون مقعداً (٤٩) الى تجار المدن ، و٣٤ مقعداً للمثقفين.. وعبثاً حاول «ابوالتمن وكامل الجادرجي» من اقناع قائد الانقلاب في زيادة عدد انصارهم من المنتسبين الى جمعية الاصلاح الشعبي ، ولم تلق توسلاتهم عند القائد اذناً صاغية بل كان مصيرها الاهمال.

وعلى الاصول وجرياً على الاساليب الكلاسيكية التقليدية في انتخاب النواب ابلغت وزارة الداخلية «المتصرفين في الالوية» «المحافظون».. وأمرتهم باجراء الانتخاب وكل حسب وسائله وظروفه على ان تكون النتائج مطابقة لما ورد «في قائمة وزارة الداخلية» المبلغة اليهم في التلفون وفي كتب سرية.

وجرت الانتخابات العامة في جو من الرعب والارهاب والبطش والتزوير وفاز مرشحو الحكومة جميعاً واصبحوا نواباً يمثلون الامة في عهد ظن فيه الناس «ان عهد

---

(٤٤) راجع «العراق بين انقلابين» عبدالفتاح الباقي.

محاضر مجلس النواب ، نيسان سنة ١٩٣٧.

الظلم والتعسف ومصادرة الحريات قد انتهى الى غير رجعة».

وهكذا جاءت نتائج الانتخابات مخيبة لآمال الاحرار عموماً... وآمال «جمعية الاصلاح الشعبي» لانها «لم تكتسب من الانتخابات الا الفتات وسقط المتاع».

***

واجتمع البرلمان العراقي «الاعيان والنواب» .. وقد جرى انتخاب الرئيس لكلا المجلسين ففاز مرشحا «الحكومة».. السيد محمد رضا الشبيبي رئيساً لمجلس الاعيان، والسيد فخري الجميل رئيساً لمجلس النواب.

وصدرت الارادة الملكية بتعيين السادة عبداللطيف نوري واحمد الشيخ داؤد وجعفر ابوالتمن اعضاء في مجلس الاعيان ، والعضوان الاولان يمثلان الجيش العراقي، والثاني يمثل «جمعية الاصلاح الشعبي».

بكر صدقي يسفر عن اطماعه

اصبح واضحاً لدى العراقيين ان بكر صدقي هو المسؤول الاول في دولة العراق فارادته هي القانون واوامره تفرض على المواطنين ولو كانت مخالفة لنصوص الدستور واحكامه ومقره في رئاسة الاركان كبلاط الملك او ديوان مجلس الوزراء تهافت عليه كبار الموظفين وصغارهم ، وكبار الساسة والمنتفعين واصحاب الحاجات والمصالح ، يتلقون التوجيه والنصح والهبات وأصبحت مقابلات القائد كمقابلات رئيس الدولة او رئيس الحكومة تحدد وفق المناسبات . كان الدكتاتور ينتهز الفرص ليوضح خطوط السياستين الداخلية والخارجية ويعين اهداف السياسة العليا ويرد على اسئلة الصحفيين وما اكثرهم في تلك الايام.

واما رئيس الوزراء فقد اضحى تابعاً لسيده ولا يخرج عن خطه ولا ينحرف عن نهجه واما وزير الدفاع وبقية الوزراء فآلات صماء لا تملك لنفسها ولغيرها ضراً ولا نفعاً..واما الملك غازي فانه انكمش في بلاطه حائراً..لا يعرف ما يجول من خواطر بكر وفي نفسه من هواجس وافكار، فحاشيته والمخلصون اليه بدأوا يحذرونه من مطامع الرجل وطموحه ، واما وزير البلاط السيد ابراهيم كمال فقد صار عبئاً ثقيلاً على الملك فهو رقيب الجيش في ردهات البلاط يرفع اخبار الزوار والكبار والمراجعين الى صديقه وولي نعمته القائد الديكتاتور.

***

ورغب بكر صدقي في التعرف على الامور صغيرها وكبيرها ، فقرر ان يحضر اجتماعات مجلس الوزراء المهمة ، وهذا امر يخالف قواعد الدستور واصول الحكم فرضخ الوزراء لقراره صاغرين وبدأت جلسات مجلس الوزراء تعقد في وقت يحدده «بكر صدقي» رئيس الاركان.. واراد بكر صدقي ان يطلّع على مشاكل العراق فاوعز الى آمر القوّة الجوية المقدم محمد علي جواد ان يؤلف لجنة برئاسته وعضوية المرافقين «الملازم الاول جمال جميل والرئيس علي غالب والمحامي مصطفى علي» لتدرس مشاكل العراق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وتبحث بشكل خاص عن نظام سياسي يوافق مصلحة العراق وطبائع اهله.... وترفع اليه تقريراً مفصلاً عن هذه الامور باسرع وقت ممكن.

وبعد اجتماعات ومناقشات صورية قدمت اللجنة تقريرها الى «الديكتاتور» واقترحت ان يكون نظام الحكم في العراق ديكتاتورياً برئاسة قائد الشعب ومنقذه بكر صدقي العسكري .... لانه بنظرها الرجل الوحيد اللائق لهذه الرئاسة [٤٥]

اثار تدخل الجيش في السياسة نقمة الرأي العام وبعض رجال السياسة ... فتكلم العين جميل المدفعي في جلسة مجلس الاعيان يوم ٢٦ حزيران سنة ١٩٣٧ وانتقد تدخل الجيش في شؤون الحكم وقال «ان اشتغال الجيش في السياسة يهدد المملكة بالانهيار». فردّ عليه العين علي محمود الشيخ علي عضو مجلس الاعيان ووزير العدلية منكراً هذه التدخلات وقام العين الشيخ احمد الشيخ داؤد يدافع عن الجيش وينفي تدخله ويؤيد وزير العدلية في موقفه فقام السيد المدفعي وقال «ان اكبر شاهد على تدخل الجيش في السياسة هو تعيين الشيخ احمد الداؤد عضواً في هذا المجلس الموقر».. وانتهت الجلسة وسط الضجيج والصياح ... وترك المدفعي البلاد تحت جنح الظلام مخافة ان يبطش به بكر وزبانيته واستقر في لبنان.

اقطاب الثورة العراقية

ثلاثة من قادة ثورة العشرين الوطنية هم الشيخ عبدالواحد الحاج سكر والسيد علوان الياسري والسيد محسن ابوطبيخ كافحوا الاحتلال الانكليزي وثاروا عليه وكبدوا المحتلين خسائر جسيمة في الاموال والارواح وتكبدوا هم وعشائرهم الاموال

---

(٤٥) راجع «محاضر مجلس الاعيان لشهر مايس وحزيران سنة ١٩٣٧».

والارواح. فلما القت عليهم حكومة الاحتلال القبض بعد فشل الثورة حكمت عليهم «بعقوبة الاعدام» .. ثم بدلتها بعقوبة السجن المؤبد ثم عفت عنهم لاسباب سياسية وانظم هؤلاء السادة الى الحركة الوطنية في العشرينات والثلاثينات. وعارضوا الانتداب الانكليزي بقوة وعنف ورفضوا توقيع جميع المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع حكومة العراق وشاركوا في تأسيس الاحزاب الوطنية وعملوا تحت راية «الهاشمي» في حزبي الشعب وحزب الاخاء الوطني ، وتمتعوا برصيد شعبي كبير في منطقة الفرات الاوسط ، واستمروا يساندون الهاشمي الى ان سقطت وزارته بحراب الجيش، فوقف الثلاثة على الحياد يراقبون حكومة «الانقلاب» بحذر ويقظة.. وكانت الحكومة تخشى جانبهم وتستعد لضربهم وتشتيت شملهم... وكان السيدان علوان الياسري ومحسن ابوطبيخ عضوين في مجلس الاعيان.. واما الشيخ عبدالواحد الحاج سكر فقد كان عضواً في مجلس النواب يمثل لواء الديوانية يومذاك.

اراد بكر صدقي وحكمت سليمان ان يتقربا الى هؤلاء الثلاثة فهم يؤلفون جبهة قوية اذا ساندت الحكم واخلصت لرؤسائه، زادته ثباتاً ورسوخاً...[٤٦] واعتقد بكر وكان محقاً في اعتقاده ان هذا المثلث اذا آزره وصدق القول معه فإنه سيحقق اهدافه العليا ومنها «ازاحة الملك عن العرش».. واعلان الديكتاتورية بكل سهولة ويسر فالجيش تحت امره ولا يخشى ثورة القبائل المسلحة التي تتمثل في اولئك الرؤساء ، واراد بكر ان يختبر الشيوخ الثلاثة ويتحسس عواطفهم ويعرف موقفهم من مخططاته فأمر تابعه الوفي «السيد ماجد مصطفى» ان يفاتح هؤلاء مبتدئاً بعبدالواحد ثم السيد علوان ثم السيد عبدالمحسن.. ويعرف مدى استعدادهم لمؤازرة بكر صدقي ومساعدته فيما اذا اقدم على «خلع الملك غازي» لانه لا يصلح لحكم العراق فلما تم اجتماع المتصرف معهم وانصرفوا على انفراد تداولوا في هذا الامر مجتمعين وقرروا ان يكون الجواب واحداً «وحضر الثلاثة في اوقات مختلفة الى ديوان المتصرف واجابوه «اننا عرب ولا نرضى ان يكون في البلاد ملك غير عربي ولا نشجع قائد الانقلاب وحكومته على تغيير نظام الحكم في العراق» ... فحاول المتصرف ان يقنعهم بالكلام المعسول حيناً ، وبالاغراء والتهديد احياناً أخر ، فلم يفز بطائل واصرّ الثلاثة على موقفهم وتركوا مدينة الديوانية واتجهوا الى مضاربهم ... فاوجس المتصرف بعد

---

(٤٦) راجع كتاب «المبادئ والرجال» تأليف السيد «محسن ابوطبيخ».. عضو مجلس الاعيان «العراقي».

المقابلة شراً كبيراً وادرك ان هؤلاء سوف يذيعون ما دار بينهم وبينه من امور جسام ، فترك مقر المتصرفية حالاً وركب سيارته واتجه الى بغداد ، وقابل بكر صدقي وحكمت سليمان واطلعهم على تعنت الرؤساء واستنكارهم لخلع الملك فاتفق الثلاثة «على اعتقال الشيوخ الثلاث بتهمة التآمر وقلب نظام الحكم» .. قبل ان يفتضح المخطط ويطلع الملك والشعب على نوايا بكر صدقي ومقاصده .

واتخذت السلطات اجراءات سريعة وحشدت قوة آلية ضخمة والقت القبض على السادة عبدالواحد وعبدالمحسن وعلوان وسفرتهم الى مدينة السليمانية وقذفتهم في ظلمات السجن بين السدود والقيود » واصدرت البيان التالي :

في ٨ مايس سنة ١٩٣٧.

«بيان رسمي»

نظراً الى ما تبين من قيام بعض الاشخاص في لواء الديوانية بما فيهم عضوان في مجلس الاعيان هما السيد علوان الياسري والسيد محسن ابوطبيخ وعضو مجلس النواب الحاج عبدالواحد سكر بجلب كمية من الاسلحة ، وتحريض العشائر على عدم اتباع القوانين بقصد القيام بثورة مسلحة ضد الحكومة. فقد تقدمت الحكومة برفع الحصانة عن العينين والنائب المذكور فقرر مجلسا الاعيان والنواب الموافقة على ذلك كل فيما يخص المنتسبين اليه. وكذلك قامت الحكومة باتخاذ ما يقضي من الاجراءات بحق الاشخاص الآخرين والحالة هادئة في اللواء المذكور.

زواج قائد الانقلاب[٤٧]

عقد الفريق نكاحه على احدى السيدات النمساويات يوم ١٨ مارت سنة ١٩٣٧. وكانت رشيقة القوام فاتنة الجمال ولها صلات وثيقة بدوائر الاستخبارات البريطانية ، وقد ابتهجت الدوائر الرسمية بهذا الزواج، فاقيمت الحفلات والسهرات ابتهاجاً بهذا اليوم ، واسرع امين العاصمة ارشد العمري فأفصح عن مهارته وجميل ذوقه. ونظم عدة سهرات احتشد فيها اسراب الحسان وظبيات البان من كل مكان،

---

(٤٧) راجع مجلة «آفاق عربية» السنة الثانية ، العدد التاسع ، آيار سنة ١٩٧٧. صحيفة «١٢٦» المراجع «رقم ٦» نوادر الوثائق البريطانية عن العراق».

ورقص المدعوون وشربوا انخاب «قائد الانقلاب» بين الكؤوس المترعة والزهور المعطرة والشفاه العذاب.

وانتهز اليهود هذه المناسبة تقدموا الى «بكر صدقي» اغلى الهدايا ، واثمن المجوهرات ، وجلبوا اليه من باريس ولندن تحفاً يعجز عن وصفها البيان. وحذا كبار التجار والاغنياء والشيوخ ، حذو اليهود وتسابقوا من تقديم احسن ما يملكون من حلي واثاث وطنافس ورياش واموال ، فتقبلها القائد قبولاً حسناً «واودعها في خزائن قصره» ووضعها تحت تصرف زوجته الحسناء.

قانون العفو العام

في يوم ٢٨ نيسان سنة ١٩٣٧ قدمت حكومة لائحة قانون العفو العام عن القائمين بانقلاب ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ فصادق عليها المجلس النيابي بالاجماع. وهذا نصها «يعفى جميع الاشخاص الذين قاموا بالحركة الوطنية المؤدية الى انقلاب ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ من كافة التعقيبات القانونية والتبعيات عن جميع الافعال الصادرة منهم مما لها مساس بالحركة المذكورة بصورة مباشرة او غير مباشرة مهما كان نوعها. وكذلك بعض الذين اشتركوا مع هؤلاء الاشخاص بأي كيفية كانت سواء كان ذلك قبل تاريخ ٢٩ تشرين الاول او بعده الى حين صدور هذا القانون».

قرض جديد

كان الفريق بكر صدقي يبذر الاموال ، وينفقها ذات اليمين وذات الشمال على المحسوبين والمنسوبين من الانصار والاعوان، وما اكثرهم في العراق. فلقد تجمعوا حول «القائد» واغدقوا عليه النعوت والاوصاف ، وزينوا له حكم البلاد بالحديد والنار ، فتملكه الغرور وبسط يداه كل البسط وفتح باب الصرف على مصراعه بلا حساب غير مهتم بما تبديه وزارة المالية ورئيس الوزراء من ملاحظات حول «طريقة الصرف» التي تخالف قانون الميزانية العام وقواعد المالية العامة فارتبكت الامور المالية، وزادت المصروفات العامة وقلت الايرادات من الضرائب، فلجأت الحكومة الى الاقتراض لسد العجز . واضطر وزير المالية «ارضاءاً لرغبات بكر صدقي» ان يقترض مبلغ ثلاثة ملايين ديناراً من الشركات الاجنبية بفائدة قدرها ٣٪ وقدم لائحة قانونية الى المجلس يطلب المصادقة على هذا القرض. فوافق المجلس على الطلب في جو «من الخوف

والقلق» ، وتمت عملية «القرض» واستلمت حكومة العراق المبلغ المطلوب ، وامتدت يد القائد الى هذا المبلغ ليبدده مجدداً على السهرات والحفلات والمؤامرات.

دولة كردية

يقول الدكتور «فريتز غروبة» وزير المانيا المفوض بالعراق في مذكراته مايلي[٤٨] (دخلت وزارة الدفاع العراقية في مفاوضات مع الشركات الالمانية لشراء صفقات من الاسلحة لتوسيع الجيش العراقي. لان الحكومة البريطانية لم تكن في تلك الاوقات مهيئة لمثل هذه الصفقات. واتصل بكر صدقي رئيس اركان الجيش بي وبزميلي الوزير الايطالي واعرب عن رغبته في احضار ممثلين عن شركات الاسلحة للتفاوض معهم وعلى ذلك حضر ممثلون عن شركتين المانيتين هما [راين ميتال-بوزيك] من برلين و [اوتو-وولف] من كولون للتداول في الموضوع. وكان بكر صدقي يزورني كل يوم تقريباً لبحث الموضوع. وفي احد الايام قال انه يودّ ان يستقدم ضابطاً المانياً من ضباط الاركان يعهد اليه مهمة «وضع خطة للدفاع عن كردستان» .. وعلى اثر ذلك حضر الى بغداد «س.هايتنز» وهو ضابط كبير متقاعد منتحلاً صفة جيولوجي. ومن المحادثات التي كانت تدور بين بكر صدقي وهايتنز كل يوم، طلب اليه بكر صدقي ان يقدم اليه اقتراحات للدفاع «عن كردستان» على نطاق واسع وعن مقاومة اي هجوم محتمل من الجانب الايراني وتنفيذاً لرغبة بكر صدقي سافر هايتنز الى حدود ايران للاطلاع على وضع الحدود وتكوين فكرة عن العدد المحتمل ، كما ذهب الى كردستان مرتين ، وتحادث هناك مع شيوخها واغواتها في موضوع الدفاع واختيار مواقع ستراتيجية للمدفعية والرشاشات وكيفية بناء «الاستحكامات» ودرس الحدود الايرانية . وابدا مقترحاته بشأن فتح الطرق الاستراتيجية. كما تباحث هايتنز مع بكر صدقي في كيفية (تأسيس جيش كردي والاستعدادات اللازمة لتسليحه وتموينه) ..

وعندما كان بكر صدقي يتصل بي ويحادثني عن خططه في الدفاع عن كردستان[٤٩] اخبرني ايضاً ولكن بصورة «سرية» «انه كردي وإنه يهدف الى خلق دولة

---

(٤٨) راجع . العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب «ترجمة الاستاذ نجدة فتحي صفوة».

(٤٩) «يقول الاستاذ خلدون ساطع الحصري ، الذي نشر مذكرات «العميد الركن طه باشا الهاشمي» بأن طه باشا اخبره في حديث خاص ان شاكر الوادي وضع يده على هذه «الخطة» خطة الدفاع عن كردستان الذي وضعها الجنرال الالماني «هايتنز» وسلمها الى الانكليز.

كردية» تضم «السكان الاكراد في العراق وتركيا وايران» وان هذه الدولة يجب ان تكون قادرة على صيانة استقلالها من اعتداءات جيرانها . وقال ان هذه القضية مهمة لديه لانها في «قلبه»... ويبدو ان بكر صدقي قد صرّح بهذه الفكرة ليس لي فقط وانما صرَح بها للآخرين. وهذا يفسر عداء القوميين العرب له. كما يفسر اغتياله فيما بعد . سألته ذات يوم لماذا لا يؤلف وزارة برئاسته؟! فاجاب ان حكمت سليمان انسب لهذا المنصب وانه اذا الف الوزارة فستقوى الشائعات الجديدة القائلة بانه يحاول ان يكون ديكتاتوراً ، وان الملك ربما لا يوليه ثقته لانه يعلم بهذه الشائعات.. ولكن بكر صدقي كما سبق ذكرت كان يرمي الى هدف آخر وهو خلق «كردستان مستقلة» ولهذا كان يعمل على تأليف جيش يحتوي على عناصر كردية.

العراق بين انقلابين

يقول الاستاذ عبدالفتاح الباقي في كتابه «العراق بين انقلابين» مايلي:(٥٠)

لم يكن الهدف الذي رمى اليه بكر صدقي من وراء الانقلاب منحصراً في تنصيب حكمت سليمان رئيساً للوزراء ، بل كان يمتد الى ابعد من هذا المدى ، كان مزدوجاً :

١- خلع الملك واغتصاب العرش كالشاه بهلوي ملك ايران.

٢- جمع شتات الاكراد من شرق الاناضول وغرب ايران وشمال العراق وتوحيد كلمتهم تحت زعامته. وتأليف حكومة مستقلة منهم على طريقة الغازي مصطفى كمال «اتاتورك».

وكلا الهدفين لم يكن بالامكان تحقيقهما الا بقوة الجيش، وهذه القوة كانت بيد بكر صدقي كما هو معلوم، فلم يكن ينقصه سوى التمهيد للعمل الذي كان يضمره وهنا ما فعله في هذا السبيل... من المعروف عن بكر صدقي انه كان في مقدمة المناوئين «لجماعة الاهالي» في العراق . ولكنه على اثر اجتماعه بحكمت سليمان وجعفر ابي التمن اتفق معهم على خلع الوزارة الهاشمية ، ثم رأى من حسن السياسة الاستمرار في مسايرة هذه الجماعة توصلاً لاهدافه ومراميه البعيدة. وسارت الامور طبق رغائبه واستطاع ان يقلب الوزارة الهاشمية وان يقيم بدلاً منها وزارة غير متجانسة برئاسة

---

(٥٠) العراق بين انقلابين «مطبعة صادر ، بيروت» سنة ١٩٣٨ للاستاذ عبدالفتاح الباقي.

حكمت سليمان المشهور بعدائه للعرب وتبدبير المؤامرات. ثم وقع الخلاف مراراً وتكراراً بين اعضاء الوزارة غير المتجانسة.... ولكن بكر صدقي وهو سيد الموقف استطاع ان يحول دون انهيارها حتى لا تنهار احلامه. وجاء يوم ولاسباب تتعلق بنتائج الانتخابات قدم كامل الجادرجي استقالته من وزارة الاشغال والمواصلات، فغضب بكر صدقي وراح الى هذا الوزير يهدده بالقتل ان لم يسحب الاستقالة فرضخ الجادرجي بالتهديد المسلح وسحب الاستقالة وعادت الامور الى مجاريها. ورأى هذا الطاغية انه لا يمكن ان يكون مطمئناً الى نجاح خططه الا بايجاد رجال مخلصين الى جانبه واني له ان يجد من يخلص غير الاكراد. وهم منه ، وهو منهم. لذلك راح يفرق على الاتباع منهم الاموال الطائلة من خزينة الشعب... ثم صب بكر صدقي نقمته على الضباط العرب فاخذ يبعدهم عن المناصب المركزية العليا ويستبدلهم باكراد. كما استبدل موظفي البلاط من العرب باكراد ايضاً . هذا مع العلم ان مجموع ما في العراق من اكراد لا يتجاوز سدس العرب وبعد ان تم له ذلك راح يجاهر لبعض اخصائه الاكراد بعزمه على تأسيس دولة كردية شمال العراق وفي الولايات الشرقية من الاناضول الى غرب ايران».

وفي هذا الاثناء[٥١] سنة ١٩٣٧ ظهرت الثورة الكردية في الولايات الشرقية

---

(٥١) وقد روى لي المرحوم الشهيد العقيد محمد فهمي سعيد في كانون الاول سنة ١٩٣٩. ان بكر صدقي قد اختار زمرة من ضباط «الاكراد». واناط بهم مهمة ايصال السلاح والذخيرة الى الثوار الاكراد عن طريق «زاخو..الموصل».. كما ان رئيس البعثة الانكليزية في الجيش العراقي كان مطلقاً على هذه الامور. وقد علمنا في وقته ان الانكليز كانوا يشجعون ثورة الاكراد على «مصطفى كمال» .. وقد اكد لي هذه الحقيقة الفريق الركن المتقاعد السيد صفوة سعيد في سنة ١٩٦٧. وقال كنت «من انصار بكر. وكاتم اسراره» فلما اطلعت على روابطه بالانكليز وصلته بضابط الاستخبارات «جستن» وغيره من افراد البعثة البريطانية في الجيش العراقي. وتأكدت ان بكر صدقي «يحلم في انشاء الدولة الكردية» ويعمل لها بكل قوته. سحبت ثقتي منه. وقررت ان ابتعد عن جماعته. واخذت انتقد تصرفاته بحضوره. ومنها مساعدته «للثوار الاكراد» في منطقة «درسيم» في الاناضول.

عاد المجاهد القومي الكبير السيد فوزي القاووقجي الى العراق ، بعد ان قاد الثورة الفلسطينية لسنة ١٩٣٦ واحرز انتصارات باهرة على الانكليز واليهود في فلسطين الى العراق ، فاستقبله القوميون والوطنيون استقبالاً رائعاً، مما اثار سخط الانكليز واليهود. فأوعزوا الى حكومة الانقلاب ان تبعده عن بغداد وتحد نشاطه وتبقيه تحت المراقبة ، فقررت «الحكومة نفيه الى مدينة كركوك»

من تركيا فجردت الحكومة الكمالية حملة قومية استطاعت ان تحاصر العصاة وتشتت شملهم في الجبال إلا ان بكر صدقي زود هؤلاء العصاة بالسلاح والذخيرة وارسل اليهم بصورة سرية معونات كثيرة... وقد ذهب بكر صدقي وفي معيته «مدير الشرطة العام» «حسن فهمي المدفعي» وهو من اصل كردي الى السليمانية والقى القبض على بعض «الاغوات» «من الاكراد الذين ينحدرون من اصل عربي ولا يحبذون فكرة الانفصال عن دولة العراق» واودعهم في السجون.. ان جميع تلك المظاهر التي كانت تراها العين وتنقلها الالسن عن اعمال الطاغية بكر صدقي، تدل دلالة صريحة على ان هذا الاخير كان ذا يد في الحركات الكردية. وليس هذا بمستغرب فالذي عرف كيف يقود الجيش الى اسقاط الهاشمي يعرف كيف يحقق حلم «الدولة الكردية» .

تعطيل جمعية الدفاع عن فلسطين

تبنت دولة العراق سياسة الدفاع عن استقلال الامة العربية، وعن حقها في تقرير مصيرها وبناء وحدتها الكبرى في المجالين الدولي والاقليمي . والتزمت اكثر الوزارات في العراق هذه السياسة العربية الرشيدة، واما الشعب العراقي فكان يساند حكوماته في هذه السياسة ويؤازرها بحماس وقوة، ويقدم بوطنية وسخاء الاموال والتبرعات لدعمها، فينظم المظاهرات ويقيم الاجتماعات ويبعث الوفود والاحتجاجات الى عصبة الامم وغيرها من المؤسسات مطالباً باستقلال «الشقيقتين سوريا وفلسطين وغيرها من الشعوب العربية».. وكان اكثر المناضلين العرب قد التجأوا الى العراق بعد ان اصدرت حكومات الانتداب في سوريا وفلسطين احكام الاعدام عليهم وكانت جمعية «الدفاع عن فلسطين» من ابرز المؤسسات القومية التي تجمع الاموال والمتطوعين والسلاح والمجاهدين لنصرة القضية الفلسطينية ومساعدة الثوار. ومن بين الذين كانوا يعملون في نطاقها «المناضلان الكبيران ، السيد فوزي القاوقجي والسيد الدكتور امين

ويقول القاوقجي في كتاب «فلسطين في مذكرات القاوقجي» الجزء الثاني الصادر سنة ١٩٧٥ ، ان سبب نفيه راجع للاسباب التالية: ١-احتجاجات السفارة البريطانية لدى الحكومة العراقية لما اثارته جرائد الانكليز ومجلاتهم من الحملات الشديدة ضدي. ٢-بما القاه الكولونيل «ودجود. النائب الانكليزي اليهودي» من الاسئلة في البرلمان. وطلبه من الحكومة البريطانية ان تستعمل نفوذها في العراق. لتقييد حريتي. وتشل من نشاطي العسكري والسياسي.

رويحة» وغيرهم من الفلسطينيين والسوريين ويرأسها «القومي المجاهد» السيد سعيد الحاج ثابت «نائب الموصل».

فلما استلمت حكومة الانقلاب «السلطة في البلاد» وانحرفت عن الخط الوحدوي القومي تضايقت من نشاط الجمعية، كما تضايق اليهود والانكليز ايضاً. وبعد مشاورات ومداولات جرت بين اليهود والانكليز من جانب، والحكومة العراقية من جانب آخر، صدرت اوامر وزارة الداخلية «بتعطيل الجمعية»، ووضع رئيسها سعيد الحاج ثابت تحت الاقامة الاجبارية في داره في «العيواضية»..

ونفي الدكتور «الدكتور امين رويحة» الى مدينة اربيل. ونفي السيد القائد فوزي القاوقجي[1] الى «كركوك». وفي هذه المناسبة زار السيد حكمت سليمان رئيس الوزراء كبير الحاخامين اليهود في بغداد في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٣٦، واكد له «التزام الحكومة بحماية اليهود في العراق».

ثورة السماوة

عندما تم القاء القبض على زعماء الفرات الاوسط السادة الحاج عبدالواحد سكر والسيدين علوان الياسري ومحسن ابوطبيخ، واستقروا في سجن السليمانية، اشاعت الحكومة انها قد شنقت هؤلاء الزعماء اعتقاداً منها ان هذه الاشاعة ترهب العشائر الموالية لهم فتجنح الى الهدوء والسكينة، ولكن العكس كان هو الصواب، فقد اثار هذا الخبر المفزع عند القبائل روح الانتقام والتمرد، والاستعداد للثورة.. فبادرت حكومة الانتداب الى ارسال حملة عسكرية كبيرة مجهزة باحدث الاسلحة والعتاد، وطوقت القبائل على حين غرة. وحلقت طائرات القوة الجوية العراقية حول المساكن والاكواخ والمزارع والقت عليها قنابلها بلا هوادة ولا رحمة، فهلك المئات من الرجال والاطفال والشيوخ والنساء، فتألم الاحرار من هذه القسوة والشدة، وبادر علماء النجف الى العمل وارسلوا احتجاجات منهم على هذه المجازر. معنونة الى الملك، ورئيس الوزراء، وصالح جبر وزير العدلية وجعفر ابوالتمن وزير المالية. فكان لها عندهم وقع مرير.

استقالة الوزراء

وجد الوزراء ابوالتمن ، وكامل الجادرجي وصالح جبر ويوسف عزالدين ، ان الفرصة مواتية للاستقالة ، والتخلص من مسؤولية الحكم ومظالمه وسوء تدبيره فقدموا استقالتهم الى رئيسهم «حكمت سليمان» فتريث هذا في قبولها. ثم تداول مع قائد الانقلاب بخصوص رفضها او قبولها، فكان جواب القائد قبولها حالاً.. وهذه نص الاستقالة [لما كانت اماني البلاد التي طالما ضحينا في سبيل تحقيقها حرصاً على سعادة ابناء البلاد ورفاههم واضمئنانهم، وتأمين العدل بين الجميع، قد حيل دون تحقيقها ، والتدابير الحكيمة والسلمية التي قررناها في سبيل استقرار البلاد التي اجمع الرأي العام على تحبيذها وتوخى الجميع حسن نتائجها ، قد شاءت الاقدار ان تعكس الآية نتهرق دماء ابناء البلاد ضحية لتصرفات بقيت مكتومة علينا، لولا شياع استهجانها في كثير من الاوساط ، ولان التمادي في اتباع السياسة المحسوسة الاندفاع اليها لا يتفق مع السياسة الرشيدة الواجب على المخلصين اتباعها ، فلم يبق انا اي امل من الاشتراك بالمسؤولية. ولذا قدمنا استقالتنا في يوم ١٩ حزيران سنة ١٩٣٧.

يوسف عزالدين	كامل الجادرجي	صالح جبر	جعفر ابوالتمن
وزير المعارف	وزير الاشغال والمواصلات	وزير العدلية	وزير المالية

تعيين وزراء جدد

وفي يوم ٢٨ حزيران سنة ١٩٣٧ استصدر رئيس الوزراء ارادتين ملكيتين الاولى بقبول استقالة الوزراء الاربعة ، والثانية بتعيين السادة ١- السيد علي محمود الشيخ علي وزيراً للعدلية.و ٢- السيد جعفر حمندي وزيراً للمعارف. ٣- والسيد عباس مهدي وزيراً للاقتصاد والمواصلات. ٤- ومحمد علي محمود وزيراً للمالية. وصدرت ارادة ملكية ثالثة. باسناد وزارة الداخلية الى السيد مصطفى العمري .

والغريب ان حكمت سليمان كان قد اثار مع وزير العدلية السيد صالح جبر مشكلة لتعيين السيد علي محمود عضواً في محكمة التمييز باعتبار ان التعيين كان مخالفاً للقانون. وطلب اقصاءه من عضوية المحكمة في اقرب فرصة. وبعد فترة قصيرة رشحه لوزارة العدل واسندها اليه لان بكر صدقي رغب في ذلك.

قانون منع الموظفين من الاشتغال بالسياسة

شعرت الوزارة السليمانية بعد بضعة اشهر من تسنمها كراسي الحكم ان حقيقتها قد افتضحت ولم يعد في امكانها ولا من امكان انصارها اقناع الناس من اخلاص رجال الحكم وصلاح سياستهم.

وشعر الموظفون وهم المطلعون على سير جهاز الدولة ان المملكة تسير الى قرار سحيق من الفوضى والانحلال والافلاس، فاخذوا يتذمرون وينتقدون الحاكمين علناً ومن دوائرهم الرسمية .. فارادت الحكومة ان ترهب الموظفين وتضع حداً لنقدهم وتذمرهم، فرفعت الى مجلس النواب لائحة قانون يمنع الموظفين من ممارسة النشاط السياسي او الانتماء الى الاحزاب السياسية وجاء من الاسباب الموجهة لسن القانون ما يأتي: «لوحظ ان بعض الموظفين اخذوا يشتغلون باساليب شتى في الامور السياسية وغيرها من الامور التي تضر بمصلحة الدولة ، وحيث ان الفقرة «و» من المادة الرابعة من قانون انضباط موظفي الدولة لم تكن وافية بالغرض المطلوب في جعل هذه الفئة من الموظفين بعيدين عن الاشتغال بالسياسة والامور المذكورة، فقد اقتضى وضع هذه اللائحة القانونية لمعاقبة هذا القسم من الموظفين بالفصل بقرار من مجلس الوزراء لمدة لا تزيد على الثلاث سنوات ولا تقل عن السنة الواحدة بغية منعهم منعاً باتاً من التصدي لامور من شأنها ان تضر بالمصلحة العامة».

ونصت المادة الثانية من هذا القانون «على انه اذا ظهر للوزير المختص بأن موظفاً من موظفي وزارته اشتغل بأمور سياسية او بأمور اخرى خارج وظيفته مما تضر بمصلحة الدولة فله ان يعرض القضية على مجلس الوزراء».

ونصت المادة الثالثة مايلي «لمجلس الوزراء ان يقرر فصل الموظف لمدة لا تقل عن سنة واحدة ولاتزيد على ثلاث سنوات».

ونصت المادة الرابعة «ان قرار الفصل الصادر وفق المادة الثالثة له عين الاثر

المترتب على مقررات الفصل الصادرة من مجلس الانضباط العام».

تصريحات مستمرة لارضاء الانكليز وحماية مصالحهم

استقبلت فئات من الشعب العراقي الانقلاب العسكري بحماس وانشراح ، وعقدت عليه الآمال الجميلة والاماني العذاب، وفي مقدمة هؤلاء جمعية «الاصلاح الشعبي» التي اخذت تمني العراقيين بانهاء العبودية ، وزوال الفقر والجهل في ربوع العراق على عهد الانقلاب وان الحكومة التي يرأسها حكمت سليمان ويؤازرها التقدميون والاصلاحيون الشعبيون سوف تلغي المعاهدات المعقودة بين بريطانيا والعراق. وخاصة معاهدة سنة ١٩٣٠ الجائرة واتفاقيات النفط للسنوات «١٩٢٥،٢٤» والتي سلبت خيرات العراق وكنوزه الهائلة.. وتطرف الجناح الشيوعي في جمعية الاصلاح الشعبي فطالب الحكومة السليمانية «بتقوية العلاقات الاقتصادية بين العراق وروسيا وانشاء تمثيل سياسي بين الدولتين وتطبيق المبادئ الاشتراكية كتحديد الملكية ، وتوزيع الاراضي على الفلاحين. ومصادرة اموال الوزراء الذين اثروا على حساب الشعب. ومحاكمة كبار الموظفين..» وبينما كان القوم مغرقون في الخيال تنبهوا فجأة على تصريحات خطيرة القاها المسؤولون عن سياسة الانقلاب كبكر صدقي ، وحكمت سليمان ، وناجي الاصيل تدور كلها على محور واحد ، وغاية واحدة وهي «ارضاء الانكليز ، وحماية مصالحهم والسعي الى كسب ودهم والسير في فلك سياستهم».

فقد ادلى رئيس الوزراء في اول يوم من استلام الحكم وعندما زاره السفير البريطاني في وزارة الداخلية بالتصريح التالي [ان الوزارة تحترم جميع المعاهدات المبرمة بين بريطانيا العظمى وتحافظ على صلات الود والولاء القائمة بين الحكومتين].

وفي كانون الثاني سنة ١٩٣٧ ادلى قائد الانقلاب بكر صدقي الى السيد عمر ابوالنصر مؤلف كتاب «العراق الجديد» مايلي «ان انكلترا تحسن صنعاً في مساعدة العراق على تعزيز قواته العسكرية لانها تخدم نفسها وتعزز سيادتها في الشرق العربي. وان بريطانيا تستطيع مع الايام الاعتماد على الجيش العراقي لحفظ مواصلاتها ومصالحها في الهند وآسيا ، كما تؤمن اغراضها الاقتصادية طالما كانت هذه الاغراض والمصالح لاتضر باستقلال العراق».

وفي يوم ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣٦ صرح وزير الخارجية ناجي الاصيل لمراسل جريدة التايمس اللندنية مايلي «ان الحكومة ترغب في المحافظة على الصداقة والتعاون والتوفيق مع بريطانيا العظمى وتقوية الصداقة مع تركية التي اظهرت عطفها على العراق كما ان الحكومة ترجو ان تتوصل قريباً الى تسوية مع الجارة ايران حول الخلافات القائمة وخلق اسس جديدة للصداقة والتعاون بين البلدين».

وتكلم ناجي الاصيل مع مندوب جريدة «المساء اللبنانية» فقال ان الملأ في العراق لا ينكر الفوائد العظيمة التي يجنيها العراق من معاهدته وتفاهمه مع انكلترا. وان الوزارة الحاظرة ستعمل على اقرار المعاهدة والتفاهم مع بريطانيا لان العراق بحاجة الى مساعدة بريطانيا وان بريطانيا تستطيع الاطمئنان الى مساعدة العراق لها كدولة قوية في الشرق العربي» . وهكذا اسفرت حكومة الانقلاب عن وجهها الحقيقي وبرهنت على ولائها ومحبتها للأنكليز..

معاهدة بين ايران والعراق

انتهزت ايران ضعف الحكومة في العراق فارسلت وفداً مفاوضاً الى بغداد لاستئناف بحث النزاع القائم على الحدود بين البلدين وعلى شط العرب واسفرت المفاوضات عن استسلام مشين من الجانب العراقي. وقبلت حكومة العراق «الانقلابية» بنظرية «التالوج» في شط العرب لمسافة اربعة اميال امام مدينة عبادان وذلك مقابل اعتراف ايران ببروتوكولات طهران سنة ١٩١٣ وبروتوكول القسطنطينية لعام ١٩١٤ في تحديد الحدود بين البلدين .

وفي اليوم الثامن والعشرين(١) من شهر حزيران سُنة ١٩٣٧. سافر الى طهران وفد كبير برئاسة وزير الخارجية ناجي الاصيل ، ووقع رسمياً على معاهدة الحدود في الرابع من شهر تموز سنة ١٩٣٧ ، وهكذا تمت «المأساة العراقية» حيث فرط الجانب العراقي بحقوق بلده وسيادته الكاملة على اراضيه ورفعت حكومة العراق مذكرة الى عصبة الامم تخبرها بعقد المعاهدة وانهاء النزاع بينها وبين ايران. كانت المعاهدة غنماً كبيراً لايران وغرماً عظيماً للعراق. واصبح لايران بموجبها الحق في ادارة شط العرب واقتسام عائدات السفن الاجنبية التي تمخر فيه مناصفة مع العراق والسماح لنفسها في الملاحة بالشط عموماً واتباع «مجرى النهر» «ثالويك» عند المسير ذهاباً وإياباً.

حكمت سليمان وجمعية الاصلاح الشعبي

نجحت جماعة الاهالي في خطوتها الاولى عندما سمحت لها حكومة الانقلاب بتشكيل جمعية لها تحمل اسم «جمعية الاصلاح الشعبي» وانظم اليها كما ذكرنا من الوزراء كامل الجادرجي وجعفر ابوالتمن ويوسف ابراهيم. وتشجع الاعضاء ودرسوا فيما بينهم تحويل الجمعية الى حزب سياسي يزاول نشاطه ويحقق اهدافه بشكل اوسع وخطوات اسرع في نشاط الجمعية المقيد بالقانون والنظام. وكان اول اجتماع عقد لبحث هذا الموضوع يوم ٩ كانون الاول سنة ١٩٣٧ في دار السيد فخري الجميل وقرر المجتمعون :

١-تشكيل هيئة حكومية لتكون «هيئة مؤسسة للحزب»

٢- تسمية الحزب بحزب «الاصلاح الشعبي».

٣- انتخاب خمسة اعضاء ينضمون الى الهيئة الحكومية للتشاور والمداولة ف «وضع منهج للحزب ونظام داخلي له».

٤- ترشيح عدد من المواطنين لعضوية الحزب.

وانتخب الحاضرون من بينهم السادة « فخري الجميل ، وصادق كمونة المحامي ، وعبدالقادر اسماعيل المحامي ، وسليمان شيخ داؤد المحامي ، ومحمد حديد ، وعيسى طه المحامي ، وذيبان غبان المحامي» ليقوموا بوضع منهج الحزب، ويعرضوا فكرة تأسيس الحزب على بقية الوزراء وعلى الرئيس حكمت سليمان... فلما اطلع حكمت سليمان على هذه الفكرة ، رفضها وامتنع عن تأييدها. ونصح اصحابها بوجوب الاعتدال في طلب الاصلاح وعدم التطرف في نشر الافكار الشيوعية وتجاهل رغبات قائد الانقلاب والجيش والمعارضة في البلاد . ودارت الايام دورتها ، وبدأ الانشقاق في صفوف الوزراء ، وقرر كامل الجادرجي وجعفر ابوالتمن ويوسف ابراهيم وهم «اعضاء في الجمعية» الاستقالة من الوزارة، فوقفت الجمعية بجانبهم واخذت تشيد ببطولتهم، واعلنت معارضتها لسياسة بكر صدقي وحكمت سليمان ، فقرر هؤلاء التخلص من الجمعية واعطاء حد لاعمالها. وامر حكمت سليمان وزير الداخلية الجديد مصطفى

العمري ان يرفع تقريراً عن «نشاط الجمعية وهل هو مخالف للقوانين ام لا؟» وبعد دراسة طويلة «وجد ان اكثر الاعضاء من جمعية الاصلاح الشعبي ينشرون الافكار الشيوعية ويثيرون الحزازات والكراهية بين ابناء الشعب».. فقررت الحكومة «تعطيل اعمالها» يوم ١٠ آب سنة ١٩٣٧.. كما اسقطت الجنسية العراقية عن ابرز اعضائها وهو المحامي عبدالقادر اسماعيل وسفرته خارج العراق.

وضيقت الخناق على جعفر ابوالتمن فهرب الى ايران.. وطاردت كامل الجادرجي فترك العراق واستقر في «جزيرة قبرص».

الجبهة القومية التي عارضت حكومة الانقلاب
١- نادي المثنى

في اوائل الثلاثينيات تنبه المتفقون من ابناء الامة العربية على واقعهم المرير المؤلم، واحوالهم العامة المخزية، فالامة العربية اشلاء مبعثرة ، والبلاد العربية اقطار مشتتة قد جزءها الاستعمار والاحتلال الاجنبي الى دويلات هزيلة وكيانات متناحرة وحدود مصطنعة تفتك بها الطائفية والقبلية والاقليمية الضيقة. وكان الوطن العربي من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ، يئن تحت وطأة استعمار ظالم غاشم، لم تر الانسانية في قسوته وطغيانه واستغلاله مثيلاً، فايطاليا وفرنسا قد احتلتا الشمال الافريقي وسوريا ولبنان ، وانكلترا فرضت حمايتها وانتدابها على مصر وفلسطين والاردن والعراق ، والجزيرة العربية واقعة تحت الحماية المباشرة ، والعبودية السافرة . وهكذا قسم الاستعمار بلاد العرب الى مستعمرات ومحميات ومناطق نفوذ يستغلها استغلالاً فضيعاً لاغراضه الاقتصادية والصناعية والعسكرية.

لقد ايقظ الاستعمار الغربي بكافة اشكاله واساليبه روح السخط والتذمر في نفوس الاحرار المثقفين. واستفزت مظالم الغرب واعتداءاته المتواصلة شعوب المنطقة. واحس العرب «ان الاستعمار سلبهم حريتهم وكرامتهم ، ونهب خيرات بلادهم ، واستولى على مواردها النفطية والمعدنية الهائلة ، واشاع بينهم الفقر والجهل والمرض والفساد ، وخلق في وطنهم الكبير حكومات متصارعة تسير بأمره ، وتنفذ رغباته ، وتطبق مخططاته في الامد القصير الطويل» فانطلقت حركات التحرر الوطني وانفجرت الثورات الاستقلالية في كل مكان... وانتفض البرلمانيون والمثقفون وفئات الشعب

جميعاً، ينظمون الاحزاب ، والجمعيات . ويؤلفون الكتب والمناهج ويوزعون المنشورات ويكتبون المقالات في الصحف والمجلات. يحرضون الامة العربية على التمرد والعصيان والثورة المسلحة من اجل التحرر والاستقلال... ولم تقف جهودهم عند هذا القدر، بل طالبوا بأحياء الحضارة العربية ، وبعث التراث العربي والامجاد العربية الرائعة ، وبناء الدولة العربية الموحدة الكبرى واطلق المثقفون عنان الاقلام والافكار يشرحون فلسفة الثورة العربية ، ومناهج الآيدلوجية القومية جملةً وتفصيلاً ايام الحرب وايام البناء والاعمار والسلام، وآمن هؤلاء بالثورة الشاملة عقيدة ، والكفاح المسلح منهجاً وتطبيقاً. وساروا يحملون مشاعل الحرية واعلام الجهاد في قمم لبنان وسهول حوران والشام وفلسطين والنيل والفرات وصحاري المغرب العربي وجباله الشامخات. وكان الشعار الموحد عندهم «الحياة الحرة لأمة العرب» «والرفاهية والأمن لابناء العرب».

وقفزوا من قواعدهم ، وتجمعوا في حلقاتهم ، وبدوا يعملون من جديد. كل جماعة لها منهج ونظام داخلي.. ولكن اهدافهم واحدة مشتركة اهمها «١-بناء الدولة العربية الكبرى ذات السيادة الكاملة والاستقلال الناجز» ٢- وانقاذ الامة العربية من العبودية والفقر والتجزئة والتخلف.

وكان اكثر رواد الفكر القومي في البلاد العربية من اولئك النابهين المخلصين الذين تخرجوا من جامعات الغرب وجامعات بلادهم قد ابهرتهم «الديموقراطية الغربية» بمفاهيمها الانسانية والاجتماعية والسياسية ، ومنها :

١- نظام الحكم الديموقراطي النيابي «البرلماني» وحرية الانتخاب.
٢- الدولة الموحدة والحكومة المركزية.
٣- الشعب مصدر السلطات.
٤- المساواة امام القانون.
٥- تكافؤ الفرص لجميع المواطنين.
٦- حق تقرير المصير. واختيار كل امة نظام حكمها مستقلاً عن نفوذ الآخرين ، وجذبت اولئك الرواد الحركات القومية التي وحدت «شعوب اوربا» وحققت لها «الاستقلال والحرية». ولكنهم كرهوا القومية عندما تأخذ صفة الاستغلال والاستعلاء والاستعمار، وحبذوا القومية التي تنادي باستقلال كافة الامم سواء بسواء على قدم المساواة.. وقد تجمع عددٌ من هؤلاء في العراق، وكان بينهم العراقيون والسوريون

واللبنانيون والفلسطينيون ، وغيرهم من العرب فوضعوا منهجاً للعمل القومي وقرروا ان يؤسسوا «نادياً قومياً يوحد جهودهم» ويوضح اهدافهم واطلقوا عليه اسم «نادي المثنى بن حارث الشيباني» وهو اسم قائد شجاع برز في فتوحات العراق ، واجازت وزارة الهاشمي فتح النادي يوم ١٧ مارت سنة ١٩٣٥.

استقطب النادي جمهور المثقفين من ابناء الامة العربية وفيهم المحامون ، والاطباء ، واساتذة الكليات ، ومعلمو المدارس الثانوية والمتوسطة والابتدائية ، وطلاب الكليات والثانويات وقد انضم اليه بعض العسكريين ولكن بصورة سرية لأن الانتماء إلى المؤسسات العامة محظور على ضباط الجيش.. ومن هؤلاء العقيدان الشهيدان صلاح الدين الصباغ ، ومحمد فهمي سعيد فقد بذلا جهوداً مرموقة في تأسيس النادي وترجيهه وتشجيع الانتماء اليه.

اجتماعات النادي

اقام النادي اجتماعات دورية منظمة ، واخرى عامة حسب المناسبات. وكان اعلام الساسة العرب يحضرون المناقشات الفكرية ويتباحثون في اسس الايدلوجية العربية ويدرسون الشؤون والازمات التي تواجه الوطن العربي، وخاصة «المشكلة الفلسطينية» كما القى الاساتذة محاضرات قيمة عن «تاريخ القومية العربية» ومشاكل القومية العربية.

وبحثوا بشكل علمي «الوحدة العربية» وتقوية عواملها ، والتغلب على العقبات التي تحول دون تحقيقها «من فقر ، وتجزئة ، واقليمية ، واستعمار»..

والقى الاستاذ ساطع الحصري محاضرتين علميتين «عن نشوء القومية الالمانية» ونشوء «القومية الايطالية»، كان لهما صدى عميق في ارجاء الوطن العربي وفي العراق خاصة.

واصدر النادي كتباً ونشرات هاجمت فيها «الاستعمار الغربي ، والصهيونية العالمية. وفضح مخططاتها »، وهاجم دعاة «الاقليمية» في كل بلد عربي، ودعى الى وحدة الامة العربية من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي . «واكد على اعتبار العراق جزءاً من الامة العربية»

ومن الذين كتبوا وحاضروا وتكلموا وخطبوا «الدكتور فريد زين الدين ، وفوزي

القاوقجي ، والدكتور امين رويحة ، والاستاذ عبدالمجيد محمود ، والدكتور عبدالفتاح الامام ، وبدوي الجبل من سوريا ، وعوني عبدالهادي ، والاستاذ اكرم زعيتر ، ومحمود درويش المقدادي من فلسطين ، والدكتور زكي مبارك ، والدكتور عبدالوهاب عزام من مصر ، والامير عادل ارسلان ، وعجاج نويهض وكاظم الصلح من لبنان . والاساتذة محمد مهدي كبة ، وناجي القشطيني من العراق . والمحامون حازم المفتي ومحمود يونس السبعاوي ، وعبدالمحسن الدوري ، وقاسم حمودي . والدكاترة ساطع الحصري ، وصائب شوكت ، وسامي شوكت ، وبديع شريف ، وعبدالمجيد القصاب ، وابراهيم شوكت ، وسليم النعيمي ، وناجي معروف ، وعبدالرزاق محي الدين ، وخالد الهاشمي ، ومحمد حسن سليمان ، ومحمد ناصر ، وعبدالحميد كاظم ، والشاعر الاستاذ عبدالستار القرةغولي ، ومتي عقراوي ، ونعمان العاني ، وصديق شنشل ، وسعيد الحاج ثابت من العراق . والدكتور صبري مراد من الشام ، والدكتور مصطفى الوكيل من مصر ، والمحامي عبدالرحمن خضير والدكتور جلال العزاوي من العراق.

«آراء النادي في السياسة والاقتصاد والاجتماع»

تضمن «المنهج القومي العربي» الذي اصدره فريق من شباب العرب المؤمنين في ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٥٤ الموافق ١٣ حزيران سنة ١٩٣٥. آراء نادي المثنى في السياسة والاقتصاد والاجتماع ويحتوي المنهج على مقدمة عامة ، وفصول خاصة ، وقد نشرته مطبعة المعارف في بغداد .

المقدمـــــة

كان العربي امة المشرق والمغرب ، وكانت مشاعل النور تنبعث من بغداد وجنبات الرافدين ومن قرطبة وروابي الاندلس الجميلة، ومن دمشق وخمائل الغوطتين، وكانت العزة والقوة احلى ماتزين هذه الامة ، وكان العدل والمساواة والصدق والوفاء والحمية والاباء شعار العربي اينما حل، فكانت امة الانسانية والمثل الاعلى للبشرية ، ما جاءت إلا لتتم مكارم الاخلاق وتقلم اظفار الظلم وتكف عادية الجور، فنفس عليها الحاسدون هذه المكانة بل نفسوا على الانسانية، هذه الحياة ، فوضعت بهم روح العصبية وانقضوا عليها ينقصونها من اطرافها، ويغيرون عليها من ثغورها حتى أتوا على هذا المشرق

الجميل الزاهر وضوح بعد ان كان زاهياً بها.

وخوت دور العلم على عروشها، وركعت بيوت العدل بعد ان كانت قائمة وانطفأت مشاعل الهداية فتداعى البنيان الذي اقامه العرب وسادة الاسلام، وبقى الشرق العربي منذ ان نفض العرب ايديهم من حكمه يغط بالجهالة تارة ويصحو اخرى، كالمريض المحتضر، ويد الظلم ترهقه وتقسو على الفضائل، وتستحدث عادات تشرب من كل فضيلة لتمحوها، وتستجد طبائع شريرة تجد لها بيئة صالحة فتخرج رؤوسها فتفعل مفاعلها حتى تخاذلت القوة، وفشا الضعف وتقطعت الاسباب، وتباعدت السبل، وتفككت العرى، وإنفلت عصبية العربي وتمزق شمل الاخوة، وتناكرت النفوس، وتدابرت البلاد واصبحت لقمة سائغة لكل طامع ومغير، وغلبها على امرها القوي والضعيف، وشاع الفقر حتى غمر الوهاد والنجاد، والامة تقطن في ارض خصبة بالكنوز، مترعة بالخيرات وتدنت الامة تتقاذفها امواج الحياة من فقر مدقع، وجهل مظلم، ومرض منتشر، وطبع منكر،فاشعرها الاجنبي الغاصب والمستعمر اليقظ فقدان شخصيتها واوحى اليها انه هو الوصي المسيطر. وانها لاحول ولاقوة مادامت في سن الرشد دون البلوغ، وانه وحده يستطيع توفير طلباتها المادية والمعنوية وهو الحامي لها فلا تحتاج الى قوة وهو الذائد المدافع، وملك عليها حواسها، وغلّ ايديها. فغفلت عن الصناعة واضاعت الزراعة وتظاءلت فيها التجارة، وضاقت سبل العيش على ابناء البلاد مع الغلة الوافرة، والخيرات المتناثرة. ونعم المستعمر بشقائنا، وسمن ابناء بلاده بهزالنا. واتخذوا من الوطن العربي مواطن لابنائهم وشذاذهم وصنائعهم. فأقطعوها من شمال افريقيا وبلاد الشام وفلسطين لبني جنسهم من الفرنسيين والايطاليين ولصنائعهم من الصهيونيين وغيرهم... تلك هي افعال المستعمر يذيع الرذيلة حتى لايمكن خلق الرجولة. ويشيع المرض والفقر والجهل، حتى لا تنهض القوى، ولا تشتد العصبية، وتقوي النجدة...

ولكن هذه الامة الموهوبة بفطرتها الكريمة، وغرائزها الصافية من الاباء والوفاء والشهامة والنجدة والعزة والصدق والاخلاص والشجاعة والذكاء الممنوحة خير ارض من كنوز وثراء، برهنت للتأريخ في مواقفها ومشاهدها، اناه مازالت تحتفظ بقواها الكامنة، وانها تريد ان تعيد سيرتها الاولى، وما نهضة مصر بعرابيها وسعدها، ولا نهضة الجزائريين والمغاربة والتونسيين والطرابلسيين بعبدالقادر الجزائري وعبدالكريم الريفي وعمر المختار، وما وقعة ميسلون والرميثة والسويداء إلا اصوات العرب

الصارخة وسيوفهم المسلولة على الاستعمار..

ولو كانت هذه الوثبات موحدة المنهج ، واضحة الفكرة ، معينة المرمى ، متوافقة مع الزمن لصحبها النجاح في اكثر مواقفها ، ولما واتها فشل او تطرق اليها خيبة.

لذلك وقفنا نحن فريقاً من فتيان العرب موقف المعالج الفاحص، وشرعنا نسبر جروحنا ، وعرضنا على انفسنا صحائف التاريخ ، ومواقف الامم ونهضاتها ، فوجدنا انه لابد لنا من «شرعة ومنهاج» تتوحد فيه الجهود وتتعين الغايات.

وإن نهضات الامم التي منيت بالفشل والخيبة هي التي فقدت المنهاج وضلت الطريق وتخلى عنها شبابها ، واهملها قادتها وذو الرأي فيها... لذلك وضعنا هذا الميثاق الجامع للنواحي السياسية التي نطلبها ، والاقتصادية التي تلائمنا ، والثقافية التي ننشدها ، والصحة التي نريدها ، والمجتمع المهذب الذي نرمي اليه. فاوضحنا فيه حقوقنا وأتينا قواعد تلم الشمل وتجمع الاخوة وتكون القوة ، وتوحد الجهود ، لتنال امتنا حقها كاملاً غير منقوص ، وقفينا على هذا المنهج ببحث من الحركة القومية يشير الى امهات الخطط والوسائل التي يجدر بنا العمل بها ، لتنير السبل ، فتمشي الطلائع على هدى وبصيرة.

هذه «حركتنا» حركة بعث ويقظة واندفاع وجهاد ، تحمل على جناحيها خير ما تحمل حركة شريفة ، مؤمنة بالحق ، واثقة بالعدل ، مطمئنة الى الفوز ، لا عدوان فيها على احد سوى اننا نريد ان ننال حقنا وحريتنا. ونأخذ مركزنا على اساس احترام الحقوق بين الامم عمادنا عقيدتنا الراسخة وايماننا بأن امتنا العربية قد عركتها الحوادث والمت بها النوائب فلم تؤثر في قواها الكامنة وشخصيتها القوية. وان التاريخ قد سجل لنا صفحة ناصعة في سجل الخلود . ولابد ان تحتل مكانها المرموق تحت ظل الشمس» (٥٢)..

«الناحية السياسية»

١ - العرب امة واحدة : العرب في قيامهم ومسيرهم وفي جميع مناحي حياتهم العامة سياسية كانت او اقتصادية او ثقافية او اجتماعية. «كيان واحد وعليهم ان يكونوا امة ذات سيادة مطلقة تتمثل في كيان عربي سياسي واحد»..

---

(٥٢) راجع «المنهاج القومي العربي» مطبعة المعارف ، بغداد سنة ١٩٣٥.

٢- والامة العربية : «جسم اجتماعي مكون من الافراد المثقفين ثقافة عربية، والمتشاكلين في عقليتهم وشعورهم واخلاقهم وآدابهم وتقاليدهم وطراز معيشتهم، والموحدين في تاريخهم العربي ، ومن اقليمهم الجغرافي .

٣- والعربي: « هو الفرد المنتمي الى الامة العربية . ويتكلم اللغة العربية . ويحمل روح الولاء لها .

٤- الوطن العربي :«هو البلاد التي تسكنها الامة العربية . والواقعة ضمن الحدود الطبيعية التالية «جبال طوروس والبحر الابيض المتوسط شمالاً والمحيط العربي وجبال الحبشة والصحراء الكبرى جنوباً والمحيط الاطلسي غرباً . وجبال بشتكوه والبختيارية والخليج العربي شرقاً.

والقومية العربية : تقرر

أ- ان كل تنازل عن السيادة العربية جزءاً او كلاً في اي مكان وبأي شكل سواء كان هذا التنازل بلا اطمئنان الى الاوضاع الراهنة، ام بعقد او عهد ليس من مصلحة العرب صادر عن اي هيئة هو تنازل منبوذ وغير مشروع وباطل اصلاً.

ب- ان تجزئة الامة العربية الناتجة عن مطامع المستعمرين ركن استعماري اوجده الاستعمار ، واعتمد عليه. وان اقرار هذه التجزئة والعمل بها تأييد للاستعمار. وهي بطبيعتها مانعة لنيل السيدة الحقيقية والاستقلال الناجز. ولذلك فإن القومية العربية تعتبر السيادة والوحدة شيئ واحد وجزءان لا يتجزءان من هدفها .

ج- ان القومية العربية وهي تختم الوحدة الشامُلة بختم في الوقت نفسه الوحدة والاخوة مع كل جزء من اجزاء الوطن العربي مهما صغر.

٥- الاصل مصلحة الأمة : الاصل مصلحة الأمة والدولة القومية تمثل ارادتها. إن مصلحة الامة العربية بمجموعها مقياس تقاس به مصالح الافراد وحقوقهم في مثل الحريات الفردية، وحرية التملك ، والرأي العمل . فتصبح مصالح الفرد وحقوقه وتجوز ان وافقت مصلحة الامة وحقوقها، وتفسد ان خالفتها، والقومية العربية ان هذه خير وسيلة لصلاح المجتمع، وبالنتيجة الى اسعاد الفرد ضمن حدود «المساواة والاخوة والعدل»..

٦- اخوان العرب : ان القومية العربية تنظر الى الجماعات القومية المساكنة للعرب

نظراً مختلفاً. فهي تنظر من جهة الى الجماعة المؤاخية للعرب كالبربر في المغرب ، والاكراد في العراق ممن تربطهم بالعرب اواصر القربى الواشجة ، والمصالح المشتركة المتبادلة والصلات التأريخية والثقافية القديمة، نظراً ترعى فيه حقوقهم وتكفل لهم المساواة التامة في الحقوق والواجبات مع العرب. وترى ذلك متفق مع الحق والهدف القومي العربي، وانه في مصلحة الامة العربية. .

وتنظر القومية العربية الى الجماعات المعادية للعرب الذين اغتصبوا جزءاً من بلادها كالصهيونيين في فلسطين ، والفرنسيين والايطاليين النازحين الى شمال افريقيا كمستعمرين غاصبين. وإن استيطانهم في الارض ظلم يجب ازالته بالقوة وان كل حق اكتسبه هؤلاء هو حق باطل يجب القضاء عليه. وكل ما هو مبني على الظلم والطغيان فهو فاسد يجب ازالته.

٧- **الاستعمار** : لما كان الاستعمار الاجنبي وركائزه ومؤثراته اساس العلة في الامة العربية والسبب الاول في تفككها وفقرها المادي والمعنوي ، وشقاء جماهيرها . وكان بقاؤه موتاً للامة العربية وزواله حياة لها. ولما كانت الحركة القومية حركة بعث وانشاء واعمار. وكان الاستعمار والنفوذ الاجنبي في بلاد العرب مانعاً لذلك البعث والاعمار. ولما كان الاستعمار م اسبابه ومجمل سياسته قد تعاون على اذلال العرب واستعبادهم، وجب على الحركة القومية ان توحد قواها وتنظم جهودها للقضاء على وجوده بكل انواعه واشكاله واساليبه ، وتطهير البلاد العربية منه ومن عملائه تطهيراً كاملاً شاملاً.

٨- **العرب والامم الاخرى** : ان القومية العربية اذا رفعت عنها الظلم النازل وتحررت من نفوذ الاستعمار وانشأت كيانها السياسي الواحد، فإنها تتعامل مع الدول على اساس المحبة والمساواة والسلام. ان القومية العربية تؤامن بالتآخي والتعاون بين القوميات والدول الاخرى ، فهي حركة خير وعطاء وانفتاح ، لا حركة استعلاء واستغلال واعتداء واستعمار ، انها قومية تريد ان تتمتع بكل حق طبيعي تقدسه شرائع الانسانية المهذبة. وتقر وتعترف بهذه الحقوق لغيرها من الاقوام.

«الناحية الاقتصادية»

١- **الوطن العربي وحدة اقتصادية** : القومية العربية توجب ان يكون الوطن العربي وحدة اقتصادية مستقلة مرفهة. وتقرر ان الاستقلال الاقتصادي لا يكون إلا بتأمين «الكفاية للمواطنين» داخل الوطن العربي من الانتاج والتوزيع لجميع الحاجات الضرورية كالمأكل والملبس والمسكن والنقل والتعليم والصحة والدفاع الوطني. وتقرر ان اليسر والرفاهية والعمران لا تتم إلا بتوحيد الجهود الاقتصادية في كافة الوطن العربي من حيث وسائل الانتاج والاستهلاك والتصدير، لتكوين كيان اقتصادي سليم.

٢- **مرافق الوطن العربي للعرب وحدهم** : وعلى العرب تثميرها لايجاد الرفاه العام لذلك تفرض القومية العربية مايلي:

أ. ازالة النفوذ الاقتصادي الاجنبي والاستغلال الاستعماري والاستعاضة عن المشروعات الاجنبية بالمشروعات العربية من حيث رأس المال والادارة وتقرر عدم الاعتراف بمشروعية جميع الامتيازات والمشروعات الاقتصادية التي لا تؤمن مصلحة العرب تأميناً تاماً.

ب. تقرر القومية العربية ان الفقر المادي العام في الوطن العربي وما ينجم عنه من بوس وفقر ناتج من الدرجة الاولى عن استغلال الاستعمار للعرب كافة وتسخير بلادهم لمنافعهم لابقائهم ضعفاء. لذلك تفرض القومية القيام بنهضة اقتصادية عامة تبعث الصناعة قوية في بلاد العرب. وتنشط الزراعة والتجارة. ويكون ذلك بتعويد العرب على القيام بالمشروعات الصناعية كأنشاء المصانع وتثمير المعادن، وايجاد المواد الاولية والقوى المحركة وتجميع الدولة لذلك «او تالقيام بها».. والقيام بالاعمال الزراعية لتوسيع نطاق الريّ وزيادة كمية الانتاج الزراعي عموماً.

٣- **اشتراكية الدولة** : تمتلك الدولة «ممثلة الامة» او تسيطر على ادارة جميع المشروعات الاقتصادية الآتية.

أ. المشروعات التي يقع فيها بنتيجة التضخم او التمركز المالي احتكار فعلي.
ب. المشروعات التي تكون بطبيعتها قابلة للمضاربة والاستغلال.
ج. المشروعات الصناعية التي هي بطبيعتها اساس لغيرها في المشروعات فتتسنى للدولة «المصارف» وتمتلك السكك الحديدية. والقوى الكهربائية ومشروعات مياه الشرب والري ، والبرق والبريد والاذاعة. وجميع خطوط المواصلات واستثمار القوى المحركة كاستثمار «النفط والاملاح المعدنية وتثميرها وفقاً لمصلحة الأمة.

٤- **التملك الفردي والعمل الحر** : الفرد حر في عمله والقومية تقر «مبدأ الربح المعتاد والمشروع» الباعث على العمل والانتاج، وتفرض في الوقت نفسه ان لكل فرد من افراد الامة الحق في ان يعمل ويكسب بعمله وفقاً لمقدرته وجهده. وعلى الدولة القومية ان تيسر له ذلك بشتى الوسائل والسبل، وان تكفله وتكفل اسرته اذا تعذر عليه او عليها «ايجاد العمل لهما».
٥- **مصلحة الامة قبل مصلحة الافراد** : ان القومية العربية ترى في الامور الاقتصادية كما ترى في غيرها ، ان مصلحة الامة العامة تقدم على المنافع الفردية. وترى في الوقت نفسه ان ضمانة مصالح الافراد وتأمين حقوقهم في جهودهم. تعود بالخير على المجتمع ايضاً وانها تقرر مبدأ «الضريبة العادلة» والضرائب المتصاعدة على الدخل وعلى التركات
٦- **الفلاح والعامل** : الامة اخوة يتساوى افرادها ، قوامها المنتجون على اختلافهم. ولما كان حق الفلاح والعامل والاهتمام بهما من موجبات هذه الاخوة ، وجب ما يأتي:
أ- المحافظة على الفلاح والعناية بالقرية غاية صحية وتعالجية واقتصادية ، وذلك بأنشاء المنازل الصحية والمستوصفات والمدارس والمواصلات مع المدن، ومشاريع الماء والكهرباء ، يضاف الى هذا تمليك الفلاح «قطعة» صالحة من الارض تساعده على الحياة الكريمة، واعطاء البذور والسلف الزراعية بلا فائدة.
ب- المحافظة على العامل من حيث تحديد اجوره وساعات العمل وصحة الاماكن التي يعمل فيها وضمان حياته في احوال العجز والمرض والبطالة والعطب المعيق عن العمل.

«الحالة الاجتماعية»

الامة العربية جسم اجتماعي خليته الاسرة العربية ذلك تفرض القومية العربية :

أ- ان تكون النظم الاجتماعية العامة متماثلة في كافة الوطن العربي.

ب- المحافظة على الاسرة. فيكون الزواج خاضعاً لشروط قانونية يراعى فيها صحة ابدان الزوجين وعقولهم ،والتأكد من رشدهم ورضاءهم.

ج- المرأة العربية كفؤ للرجل في الوطن العربي ، ويجب رفع مستواها الثقافي والاجتماعي لتنال حقوقها كاملة في جميع نواحي الحياة. ولتكون اماً وعضواً صالحاً في المجتمع .

هـ-كفالة اليتيم من غير عائل ، وصيانة الطفولة من التشرد والبؤس والفساد الخلقي .

د- الاخلاق العربية : وحيث ان الامة باخلاقها لذلك تحتم القومية العربية القيام ببعث اخلاقي يقوي في افرادها الطباع العربية الصحيحة، «الفردية والاجتماعية» وذلك عن طريق اصلاح البيت ومنع اسباب الفساد في المجتمع ، بواسطة التثقيف والتربية.

١-«التنظيم القومي»

الحركة القومية حركة بعث في الامة وجهاد في سبيلها، تنمي قوة الامة العربية وتوحدها وتنظمها وتوجهها لانشاء الكيان القومي المنشود وفقاً للقواعد العامة التي جاءت في المنهج القومي ولابد لتحقيق هذا الكيان ، من تطبيق القواعد التالية :

١- **وحدة المنهج القومي العام** : حيث يكون منهجاً عاماً عند جميع العاملين وهيئاتهم في كافة الوطن العربي .

٢- **وحدة الكفاح** : فلا تثبت ولا تتحقق وحدة الفكرة إلا من وحدة الكفاح القومي وتنسيقه تحت اشراف «قيادة موحدة» وتنظيم دقيق شامل وفعال يستطيع ان يتحمل اعباء الكفاح وتضحياته حتى تتحقق اهداف القومية العربية.

٣- **بث العقيدة القومية في الجمهور** : وتمكينها من نفسه عقيدة جامعة

راسخة رشيدة .
٦- **الاهتمام بالشباب** . ورعاية الفتوة ، فهي سند الامة القوي وسيفها البتار.[٥٣]

٢- «التجمع الطلابي القومي»

انتسب عدد كبير من طلاب الكليات والمدارس العالية والثانويات ، الى نادي المثنى في بغداد، وآمنوا بأفكاره القومية ، ومبادئه العربية، وتحمسوا لهذه الافكار والمبادئ ، واخذوا ينشرونها في اوساط الطلاب واوساط الشعب، فألتف حولهم كثيرون وبارك جهودهم كثيرون وانشأ هؤلاء تنظيماً اطلقوا عليه «التجمع الطلابي القومي». ساهم في حياة النادي ونشاطه وجهاده. وكان هذا التجمع ينظم الاجتماعات السياسية ويعقد المناظرات العلمية ويوزع الكتب والنشرات الثورية ويسير المظاهرات الكبيرة في المناسبات القومية.. فهو عماد النادي وسواعده الضاربة ، وهو لسانه الناطق في المحافل الاجتماعية والسياسية، وهو المظهر الجميل للقومية العربية المناضلة ، يعمل لصالح وطنه وامته بنفوس بريئة صادقة ، وقلوب عامرة بالتضحية والاقدام... وظهرت شخصية «التجمع الطلابي القومي» بارزة فعالة في اكثر المواقف السياسية. فعاد النضال القومي في العراق في السنوات ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ١٩٤١.وسجل للحركة الطلابية مواقف سامية اتسمت بالشجاعة والحزم والتعقل، واعجب بها واثنى عليها «قادة القومية وزعمائها في العراق» وفي البلاد العربية.

وكان على رأس هذا التجمع «حازم المفتي ، وقاسم حمودي ، وعبدالمحسن الدوري ، وحسن القيسي ، وعبدالباقي السعيدي ، وحسن مصطفى الخليل ، وحسن التكريتي ، وحامد الآلوسي ، وعزة الملاح ، وعلي القزويني ، وامين الرحماني ، وعبداللطيف الكمالي ، وسعد عمر العلوان ، وطلال جرجي ، وابراهيم المفتي ، وعبدالخالق عبدالمجيد ، ومصطفى كامل ياسين من كلية الحقوق ، واحمد الشمسي ، وذوالكفل عبداللطيف ، واديبة ابراهيم من دار المعلمين العالية ، وفدوى زيتون ، ومعمر الشابندر من كلية الطب.

***

كانت حركة الانقلاب تراقب نشاط النادي واعمال منتسبيه وخاصة «التجمع

---

١) راجع «المنهاج القومي العربي» مطبعة المعارف ، بغداد سنة ١٩٣٥.

الطلابي» منهم واحصت على البارزين منهم من اعضائه حركاتهم واتصالهم مع غيرهم من المدنيين وضباط الجيش. ذلك لان مبادئ النادي القومية وسياسته العربية تناقض وتعارض سياسة حكومة الانقلاب ، فسياسة «الانقلابيين الجديدة» اقليمية ضيقة لا تؤمن بعروبة العراق، بينما سياسة النادي عربية متفتحة تعتبر العراق من البلاد العربية، ويحارب النادي الماركسية لانها لاتؤمن بتربة الوطن ولاتحمل روح الولاء للأمة العربية، وهكذا بدأ العداء والصراع قوياً بين الطرفين وبدأ كل طرف ينتهز الفرص للقضاء على خصمه. وقد هاجمت جماعة الأهالي و«الاصلاح الشعبي» فلسفة النادي وآرائه. واتهمت اعضاءه بأنهم دعاة قومية اعتدائية تفرق بين الاقوام ، وتضعف الكيان العراقي. وهي اتهامات ظالمة دبرها واوحى بها قادة الانقلاب من جهة واليهود والانكليز من جهة أخرى...(٥٤)

٣- «جمعية الجوال العربي»

فكرت جماعة من القوميين من تربية جيل عسكري يؤمن بالفكرة القومية ، ويتحلى بالاخلاق العربية الفاضلة وتنمو في جوانحه «روح الفروسية والمروءة العربية» وبعد مناقشات واجتماعات عقدها السادة الاساتذة «محمود درويش المقدادي ، وناجي معروف ، وخالد الهاشمي ، وجابر عمر ، ومكي عقراوي» في دار زميلهم الاستاذ سليم النعيمي في الاعظمية، اتفقوا على تأسيس جمعية بأسم «جمعية الجوال العربي» لتنهض بتحقيق اهدافهم. ووضعوا «منهج الجمعية ، ونظامها الداخلي» واستحصلوا على اجازة من وزارة الداخلية في سنة ١٩٣٣. ولما فتحت الجمعية ابوابها اسرع للانتساب اليها جمهور كبير من الاطباء والمحامين ، واساتذة الكليات ودور المعلمين،

---

(٥٤) مصير النادي : لما خسر العراق حربه الوطنية مع الانكليز «حركة رشيد عالي الكيلاني» سنة ١٩٤١. واحتل الانكليز العراق. وفرضوا سيطرتهم على البلاد. شكّل الوصي وزارة موالية للانكليز برئاسة جميل المدفعي . فقررت الوزارة في تموز سنة ١٩٤١. «الغاء اجازة نادي المثنى» وتعطيل اعماله ومصادرة ممتلكاته.. وبعد فترة اصبحت بناية النادي «مقراً لنادي اخوان الحرية» وهو وكر للتجسس انشأته «فارياستارك» الملحقة الصحفية بدار السفارة البريطانية. وظيفة اعضائه ان يكافحوا الافكار القومية . ويزودوا السلطات البريطانية بمعلومات تخص نشاط القوميين وتنظيماتهم الوطنية. وقد تعرض اعضاء نادي المثنى الى اضطهاد منظم من قبل الانكليز وعملاءهم. وقذفت السلطات العميلة اكثر اعضاءه في معتقلات الفاو والعمارة ونكرة السلمان ، في السنوات ٤١ ، ٤٢ ، ١٩٤٣.

ومدرسوا الثانويات والابتدائيات وطلاب المدارس العالية والثانويات. واستعانت الجمعية بوزارة الدفاع فخصصت لها مدربين عسكريين ضباطاً وضباط صف ، قاموا بتدريب الاعضاء على اطلاق النار ، وركوب الخيل ، واستعمال الرشاش والبندقية والمسدس ، وعلموهم على الطاعة والضبط العسكري والنظام ، وفتحت الجمعية «معسكراً خاصاً لتدريب اعضائها» وتلقي الدروس العسكرية في التعبئة والجغرافية وغيرها من العلوم.

مصير الجمعية : بعد ان سيطر الانكليز على العراق سنة ١٩٤١ استجابت «حكومة المدفعي» لطلباتهم ومنها تعطيل «جمعية الجوال العربي ومصادرة ممتلكاتها».. واعتقال ابرز اعضائها اسوة بزملائهم اعضاء نادي المثنى. واصدرت الجمعية كتباً ونشرات دورية. استهدفت بعث الروح الحربية في صفوف الشباب العربي كما ودعت الى حياة جديدة قوامها (حب الضبط ، والتقشف ، والتضحية ، واحتقار التخنث والميوعة والانحلال)... كما هاجمت تلك الكتب والنشرات الاستعمار الاجنبي الذي يفسد اخلاق الشباب وينمي فيه الترف والجبن والدلال. واصدرت مجلة الفتوة لتعبر عن افكار الجمعية وكان رئيس تحريرها الاستاذ سعدي خليل.

وكثر اعضاء الجمعية وتشعبت اعمالها ، فأسست شركة مساهمة «للتأليف والنشر» واشترت مطبعة حديثة لهذا الغرض اسمتها «مطبعة الجزيرة».. واخذت تطبع وتنشر ما يخدم اهدافها القومية ، واسست جمعية «اقتصادية تعاونية» اسمتها «جمعية الاقتصاد والتوفير» لغرض الادخار واستثمار رؤوس الاموال المدخرة في «المشروعات الصناعية» وتشجيع بعض الصناعات الوطنية. وقد عارضت هذه الجمعية وعارضت «الفتوة» معها الانقلاب وحملت على قادته الشعوبيين حملات شعواء.

«نظام الفتوة» رقم ٥٠ لسنة ١٩٣٥

اتصل جماعة من نادي المثنى والجوال العربي بالسيدين ياسين الهاشمي رئيس الوزراء واخيه طه الهاشمي رئيس اركان الجيش ، وعرضوا عليهما فكرة «تطبيق النظام العسكري» في المدارس الثانوية والمتوسطة وبينوا لهما وما في هذا النظام من اثر كبير على تنمية الوعي القومي في نفوس الطلاب ، وترويضهم على احتمال المصاعب وشظف العيش واعدادهم لبناء المستقبل الافضل والدولة العربية

الكبرى.[٥٥]

وبعد دراسات ومناقشات ، اقتنع رئيس الوزراء الهاشمي بمزايا هذا المشروع وامر بتطبيق نظام الفتوة في الثانويات والمتوسطات. وصدر في الجريدة الرسمية «نظام الفتوة رقم ٥٠ لسنة ١٩٣٥. وجاء من اسبابه الموجبة مايلي:

انه يعوّد الفتيان على خشونة العيش وتحمل المشاق والتضحية ، وتقبل التمارين العسكرية ، واوجب النظام على وزارة المعارف ان تدخل في «منهاجها» تمارين عسكرية خلال السنة الدراسية للصفوف الثانوية والمتوسطة ودور المعلمين ومدارس الصناعة. وعلى الوزارة ان تخصص الوقت المناسب «لتعليم الطلاب المصطلحات العسكرية. وشيئاً من المعلومات عن تاريخ العرب . وان تقيم «مخيماً صيفياً» في الجبال يقض فيه الطلاب دورة تدريبية لاتقل عن شهر واحد. يمارسون الالعاب الرياضية والتمارين العسكرية ، وقراءة الخرائط والمسير الليلي على ضوء «الحك» الدليل.

وقامت وزارة الدفاع بما يمليه عليها الواجب العسكري. وقدمت لوزارة المعارف السلاح والعتاد والاسلحة الخفيفة لاستعمالها في «التدريبات» المقرر اجراؤها وفق المنهج وانتدبت الشهيد صلاح الدين الصباغ ليكون «مشرفاً عاماً» على القوة، والشهيد محمد فهمي سعيد مشرفاً على تدريب القوة في الموصل ومحمود فاضل الجنابي ليكون مشرفاً على التدريب في بغداد.

واستقبل الطلاب في العراق حياة جديدة ونظاماً جديداً يبعث في النفس الرجولة والعزة والكرامة. وفي مايس علم ١٩٣٦ شاهدت بغداد اول استعراض للفتوة اشترك فيه عشرة آلاف طالب يرتدون اللباس العسكري، ويحملون على اكتافهم البنادق . وحضر «الاستعراض» الملك غازي ورئيس الوزراء ياسين الهاشمي ، والوزراء ورئيس اركان الجيش وكبار الضباط وكبار القوم.

وتبنى الهاشمي نظام الفتوة وامر برعايته وتقويته وطلب من وزارة المعارف «ان تشعر الجيل الجديد بواجباته المقدسة تجاه الامة العربية وتجاه وطنه وتدرسه امجاده العظيمة وتاريخ قادته الابطال ، وتغرس في نفوس الامة روح الفتوة الباسلة والعزيمة الصلبة والرجولة الناضجة. واكد على المسؤولين في وزارة المعارف ان يعلموا الجيل

---

(٥٥) راجع : جريدة البلاد ١٨ مايس سنة ١٩٣٦ و ٢١ حزيران سنة ١٩٣٦.

- راجع : محاضر مجلس النواب ، الجلسة الخامسة عشر ، ٤ كانون الثاني سنة ١٩٣٩.

فضائل المبادئ الوطنية والعقائد القومية التي لا يحيد عنها ولا يفرط فيها قيد شعرة».[٥٦]

***

كان نظام الفتوة مظهراً ليقظة الامة العربية وطموح شبابها ، واستعداد هذا الشباب لاعادة امجاده وحقوق امته المغتصبة وحرياتها المهدورة، لا بالخطب والاقوال ، ولكن بالحديد والدم والنار، وهي سنة العصر وسنة الصراع من اجل البقاء.وليس غريباً، وبعد ان توضحت اهداف هذا النظام ومراميه القريبة والبعيدة ان يهاجمه الانكليز واليهود في العراق ، بحجج واهية ومنطق مفلوج اهمه «ان نظام الفتوة» حركة نازية تستمد تعاليمها من المانيا الهتلرية وايطاليا الفاشية.. وانها تدعو الى التمييز العنصري ، واضطهاد اليهود ، فهي تشكل خطراً على الدستور وحريات المواطنين.. الى غير ذلك من الدعايات الهزيلة والاضاليل وسخف القول . فلما حصل الانقلاب في العراق استجاب المسؤولون في حكومته الى دعاوى اليهود والانكليز واتهاماتهم. وصمم بكر صدقي وحكمت سليمان على الغاء نظام الفتوة «وجمعية الجوال» باسرع وقت واقرب فرصة . وكانت اول خطوة في هذا السبيل «اقصاء الشهيدين صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد» من منصب «الاشراف والتوجيه» .. ثم تقليص ساعات التدريب العسكري وحصره في نطاق «الثانويات» وعدم تزويد الطلاب بما يحتاجون من سلاح ومعدات واصبح النظام على العموم في حالة ركود وانكماش!...[٥٧]

٤- كتلة الضباط القوميين

في العشرينات والثلاثينات كان نفوذ الانكليز في العراق قوياً ومخيفاً . وكان الوطنيون المخلصون والقوميون النابهون ، يبذلون كل جهودهم وامكاناتهم في تقليص الجيش العراقي من سيطرة الانكليز ونفوذ «البعثة العسكرية» التي كانت تهيمن على تدريبه وتنظيمه وفقاً للمعاهدات المبرمة بين الحكومة العراقية وحكومة بريطانيا.

كانت اكثرية ضباط الجيش العراقي حين تأسيسه من بقايا ضباط الجيش

---

(٥٦) مصير النظام : لما احتل الانكليز العراق بعد فشل الحرب الوطنية العراقية «حركة رشيد عالي» قررت «وزارة جميل المدفعي» الغاء نظام الفتوة من المدارس الرسمية، فارتاح اليهود وصفق اعداء القومية العربية لهذا القرار...

(٥٧) راجع : كتاب «المانيا الهتلرية والمشرق العربي». تأليف «لوكازهيروزيز» ترجمة الدكتور احمد عبدالرحيم مصطفى.

العثماني المنحل وضباط الثورة العربية في الحجاز ومن مرتزقة نالوا عطف الانكليز ورعايتهم ، وكانت اقلية من ضباط هذا الجيش يحملون روحاً وطنية صادقة وشعوراً قومياً هادفاً. وكان الانكليز يحاربون هذه الاقلية بمختلف الوسائل والاسلحة، ويقصونها عن المراكز الحساسة ، والقيادات المهمة ، ويسندون الى صنائعهم وعملائهم في هذا الجيش المناصب والرتب الكبيرة . فلما آلت رئاسة اركان الجيش الى السيد طه الهاشمي . تنفس القوميون الصعداء . وبدأت الضمائر الوطنية الكفوءة تأخذ مكانتها في الجيش العراقي وتتقدم الى احتلال القيادات بخطى وئيدة وجهد كبير.. وبدأ الصراع عنيفاً وقوياً بين جماعة من الضباط القوميين آمنوا باستقلال العراق وتطهيره من نفوذ الاستعمار البريطاني وانقاذ جيشه من قبضة الانكليز وعملاءهم. وبين جماعة آمنت بالانحياز الى الانكليز ، والبقاء تحت سيطرتهم وكان في مقدمة القوميين شباب صغار الرتب متحمسون لعروبتهم و مخلصون لبلادهم قرروا ان يتعاونوا ويعملوا كهيئة لها «منهجها ، واهدافها ، ونظمها».. فوضعوا حجر الاساس في سنة ١٩٢٧م. وبدا التجمع داخل الجيش في منظمة اطلقوا عليها اسم «كتلة الضباط القوميين»... ومن ابرز اعضاءها «الرئيس صلاح الدين الصباغ والرئيس محمد فهمي سعيد» اللذان اخذا على مسؤوليتهما مهمة «التوجيه والتنظيم» داخل الجيش وخارجه ، ثم انضم اليهما الرئيسان كامل شبيب ومحمود سلمان...[٥٨]

---

(٥٨) من هو العقيد محمود سلمان : عربي الاصل والعقيدة. ولد في بغداد سنة ١٨٩٨م، وكان ضابطاً في الجيش العثماني ثم في الجيش العربي السوري. والتحق في الجيش العراقي برتبة ملازم ثاني خيال، ثم تدرج في المناصب والرتب العسكرية واشغل في سنة ١٩٣٨ منصب «آمر كتيبة خيالة»... واشترك مع اخوانه القعداء في اسقاط وزارة جميل المدفعي. واحباط انقلاب «رئيس اركان الجيش حسين فوزي» كما اشترك في حكومة «الدفاع الوطني» عين في سنة ١٩٤٠ قائداً للقوة الجوية العراقية. واعدم مع رفاقه الشهداء الابطال في خمسة مايس سنة ١٩٤٢م. وكان رحمه الله شاباً ظريفاً جريئاً. تشهد مواقفه الوطنية بسمو اخلاقه وصلابة عقيدته ، وعدائه للاستعمار الاجنبي.

- من هو العقيد صلاح الدين الصباغ؟! هو ابن علي بن ابراهيم بن مصطفى بن الشيخ يوسف بن الحاج رضوان الصباغ المصري الدمياطي «مفتي الشافعية» بصيدا.. وسكن علي والد صلاح الدين مدينة الموصل في العهد العثماني. وكان يعرف الحاج علي الشامي «وقد تزوج بإمرأة من بني عقيل» عشيرة العطيل.. وكان يتعاطى التجارة بين بغداد والموصل ، وتوفي في الموصل سنة ١٩١٦م.

ولد صلاح الدين في مدينة الموصل في شهر رجب من عام ١٣٦١هـ . الموافق سنة ١٨٩٩م. واكمل دراسته «الرشدية» والملكية في الموصل ، ثم سافر الى بيروت ودخل المدرسة الاعدادية السلطانية وتخرج منها . وفي سنة ١٩١٤ دخل المدرسة الحربية في استامبول. وبعد ان قضى سنة فيها التحق في القطعات المحاربة ضمن اللواء (١٤٦) التابعة للفرقة (٤٦).... وفي سنة ١٩١٧ منح رتبة ملازم ثاني. واشترك في الحرب العالمية الاولى في جبهتي مكدونيا وفلسطين. وفي هذه السنة «انضم الى جمعية الفتاة العربية السرية» التي كانت تعمل على انقاذ العرب من حكم الاتراك وتوحيد الامة العربية ضمن دولة عربية كبرى تتمتع بالحرية والاستقلال»..

وعندما وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها ودخل الملك فيصل سوريا. واعلن فيها «الحكومة العربية» وشكل «الجيش العربي» التحق بهذا الجيش برتبة ملازم ثاني.. ولما نشبت الحرب بين الفرنسيين بقيادة الجنرال «غورو» «وبين حكومة فيصل» . واشتد القتال بينهما في معركة ميسلون بقيادة الشهيد البطل «يوسف العظمة» كان صلاح الدين احد الضباط الذين اشتركوا بها ، وابدوا شجاعة وتضحية.. ووقع اسراً بيد الفرنسيين. فنفوه الى جزيرة «إرواد» وبقي فيها ثلاثة اشهر ثم اطلقوا سراحه. وفي سنة ١٩٢١ عندما تأسس الحكم الوطني رجع الى العراق. وانتسب الى الجيش العراقي . ودخل دورة «ضباط الاعوان الاولى» . وبعد تخرجه منها عين «اول معلم عربي للخيالة في الجيش العراقي» لان اكثر ضباط الجيش كانوا يومذاك من الانكليز... وبعد مدة قصيرة ارسلته وزارة الدفاع العراقية الى الهند لاكمال دراسته العسكرية.. وبعدَ رجوعه من الهند ، دخل «كلية الاركان العراقية» وتخرج منها بدرجة ممتازة.. ثم التحق بكلية الاركان الانكليزية في (كمبيرلي».. ثم التحق بدورة الضباط الاقدمين في «شيرلسن» البريطانية. وبعد رجوعه الى العراق عين «معلماً في كلية الاركان العراقية» والكلية العسكرية .

وفي ايلول سنة ١٩٣٧ وبعد مصرع الفريق بكر صدقي بالموصل عين آمراً للقوة الجوية العراقية. ثم عين معاوناً لرئيس اركان الجيش ومديراً «لشعبة الحركات العسكرية».. وفي ليلة ٢٥/٢٤ من كانون الاول سنة ١٩٣٨ «تمكن صلاح الدين واخوانه أمراء القطعات العسكرية وهم محمد فهمي سعيد والعقيد كامل شبيب والعقيد محمود سلمان والعقيد سعيد يحيى والعقيد عزيز ياملكي . والمقدمون ، صالح فوزي وخيري خورشيد وعبدالقادر عباس» من تحشيد قطعاتهم في معسكر الرشيد. واقالوا وزارة جميل المدفعي من الحكم لانها فرطت بحقوق البلاد. وعقدت مع ايران والحكومة البريطانية معاهدات واتفاقات مضرة بحقوق العراق وسيادته.

وفي ٢١ شباط سنة ١٩٤٠ استطاع هذا التكتل احباط انقلاب عسكري دبره «رئيس اركان الجيش حسين فوزي» واللواء امين العمري قائد الفرقة الاولى .. وعين «صلاح الدين» بعد الانقلاب «قائداً للفرقة الثالثة» في شهر مارت سنة ١٩٤٠.

ولما اشتد الخلاف بين وزارة رشيد عالي التي ساندها الجيش ، وبين الوصي عبدالاله ، حول قطع العلاقات السياسية مع المانيا وايطاليا تنفيذاً لرغبات الانكليز. وهرب الوصي الى الديوانية واراد اقالة الوزارة الكيلانية في يوم ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٤١ ،تعيين وزارة «تحالف الانكليز وتسير في خططهم السياسي» أصَر «العقداء صلاح الدين ومحمد

فهمي سعيد واخوانهم» على اسناد الوزارة الى شخصية وطنية يرضى عنها الجيش وذلك برأسة «طه الهاشمي» .. فقبل الوصي مرغماً وتشكلت الوزارة برأسته. على ان يرفع الخلاف القائم بين الوصي وقادة الجيش ويعيد الامور الى مجراها الطبيعي. ولكن الانكليز ضغطوا على الوصي مجدداً وطلبوا منه ان تقطع «وزارة الهاشمي» العلاقات السياسية بين العراق وبين ايطاليا. وتمنع «العقداء» من التدخل في السياسة. وتمنح الانكليز امتيازات تقتضيها ضرورات الحرب ومنها «دخول القطعات البريطانية الى العراق واستعمالها المطارات والموانئ وخطوط المواصلات وغيرها من المرافق بلاقيد ولا شرط» واستجاب الوصي «لضغط لانكليز وتهديداتهم المستمرة» وطلب من طه الهاشمي رئيس الوزراء ان يبادر الى اتخاذ قرارات سريعة في هذه الشؤون. ولا يتردد في تنحية العقداء من مناصبهم اذا لزم الامر ذلك... وعرض الهاشمي هذه الامور جميعاً «على العقداء واخوانهم المؤيدين لسياستهم» فكان جوابهم «اننا سنحمي كرامة العراق واستقلاله. ولا نسمح باحتلال بريطاني جديد لبلادنا المحبوبة مهما كانت النتائج والتضحيات ، وليعمل الوصي والانكليز ما شاؤوا ان يعملوه»....

فلما اطلع الوصي على موقف العقداء ، هرب الى الديوانية ومنها الى البصرة. وترك البلاد بلا «رئيس دستوري» مسؤول ، فقرر العقداء انقاذ البلاد من ورطة كبيرة وحرب اهلية يدبرها ويؤجج نيرانها الانكليز وعملاء الانكليز . وزحفت قطعات الجيش فأستولت على الدوائر الرسمية ودوائر البرق والبريد والتلفون وطوّقت قصر «الزهور» وديوان مجلس الوزراء. واذاع الجيش «تشكيل حكومة الدفاع الوطني» «برأسة رشيد عالي الكيلاني وعضوية وكيل رئيس الاركان والعقداء الاربعة». وذلك ليلة ٤/٣ نيسان سنة ١٩٤١. فأيد العراقيون هذا الانقلاب ، ووقفوا كالطود الشامخ يسندون جيشهم الباسل وحكومتهم الوطنية.. وكان اول عمل قامت به «حكومة الدفاع الوطني» انها «جمعت مجلس الامة النواب والاعيان» في جلسة مشتركة برئاسة المعين «السيد علوان الياسري» .. وعرضت عليه هروب الوصي من عاصمة البلاد. فقرر المجلس خلعه بالاجماع».. ونصب مكانه «الشريف شرف» وصياً على العرش . واختار رشيد عالي الكيلاني «رئيساً للوزراء».. ليقوم بمهمة الدفاع عن البلاد.. وتلبد الجو بالغيوم ، واشتدت الازمة بين حكومة العراق والانكليز. وقرر هؤلاء احتلال العراق بالقوة واعادة الوصي الهارب الى عرش المملكة. والقضاء على الجيش العراقي وقادته البواسل «صلاح الدين واخوانه الابرار»..

وفي صباح يوم ٢ مايس سنة ١٩٤١. قصفت القوة الجوية البريطانية قطعات الجيش العراقي في تلول الحبانية والفولجة. ومشت قطعاتهم تريد تطويق الفلوجة والهجوم على بغداد .

وانتفض العقداء من قواعدهم ، وانطلق الجيش الباسل من ثكناته ، وقرروا ان يخوضوا مع الغاصب المحتل حرباً ضروساً لا هوادة فيها ولا رحمة. وتشكلت «قيادة الجبهة الغربية» واسندت هذه القيادة الى العقيد صلاح الدين. وفي امرته «الفرقة الآلية الخامسة وقائدها العقيد محمد فهمي سعيد» والفرقة الاولى وقائدها كامل شبيب ، والافواج والوية من الفرقة الثالثة والثانية».. ودامت الحرب شهراً كاملاً بين جيشين غير متكافئين في السلاح والعتاد والقوة الجوية.. وقدم الجيش العراقي في ساحات القتال تضحيات جسيمة. واظهر بطولات رائعة. ولكن الجيش الانكليزي تقدم الى احتلال بغداد .

لقد تضخمت كتلة الضباط القوميين وكثر عدد منتسبيها ، واصبحت تتمتع بسمعة وطنية رائعة وامتاز اعضاؤها بصلابة العقيدة ، وحسن الخلق ، والبسالة ، وانجاز الواجب ووضع لها مؤسسوها منهجاً قومياً اهم[٥٩] بنوده:

١- العمل على تقوية الجيش العراقي وتسليحه باحدث الاسلحة. وتنفيذ الواجبات العسكرية بكل جد واخلاص.
٢- رفع مستوى الضباط ثقافياً ومعنوياً، واختيار ابناء الكلية العسكرية من افراد يتحلون بروح وطنية قومية، واخلاق فاضلة.
٣- القضاء تدريجياً على نفوذ الانكليز في الجيش ، والاستغناء عن خدمات البعثة العسكرية التي فرضتها المعاهدات الجائرة.
٤- التشهير باعوان الانكليز في الجيش ، وتشجيع واسناد القادة العسكريين الذين يحملون افكاراً وطنية وعربية وحدوية. وغرس الروح القومية في الضباط والجنود.
٥- اسناد المؤسسات الوطنية والقومية التي تعمل على استكمال سيادة العراق واستقلاله ووحدة الامة العربية واستقلالها.

فاضطر الوزراء والقادة الى ترك بغداد . والتجئوا الى ايران ومن بينهم «العقداء» صلاح الدين وفهمي وكامل ومحمود. وبقوا هناك الى ان احتل الانكليز اراضي ايران في تموز سنة ١٩٤١. فاستطاع صلاح الدين ان يترك البلاد سراً ويلتجأ الى تركيا. فتقبلته الحكومة لاجئاً سياسياً محترماً. واما الآخرون «محمد فهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل سبيب» فلقد القت القوات البريطانية القبض عليهم. وسفرتهم الى معتقلات روديسيا في جنوب افريقيا. واخيراً وبناءاً على طلب حكومة العراق ، سلمتهم السلطات البريطانية اليها. فأحالتهم الى «المجلس العرفي العسكري» برئاسة العقيد مصطفى راغب ، وبعد اجراء المحاكمة صدر الحكم عليهم وعلى السيد يونس السبعاوي بالاعدام شنقاً.. وصدر الاعدام على العقيد صلاح الدين ، غياباً . ونفذ حكم الاعدام بالشهداء الابرار الابطال محمد فهمي سعيد ومحمود سلمان ويونس السبعاوي يوم خمسة مايس سنة ١٩٤٢م. .. وبعد مضي مدة طويلة على هذه المأساة طالبت حكومة العراق تسليم العقيد صلاح الدين اليها.. فامتنعت الحكومة التركية بحجة انه مجرم سياسي والقانون الدولي لايجيز تسليم السياسين وبعد مشاورات ومفاوضات وبتأثير من الانكليز استجابت الحكومة التركية اخيراً لطلب العراق وسلمت «الشهيد الى السلطات العراقية» فنفذت فيه الحكومة عقوبة الاعدام في فجر يوم ١٦ تشرين الاول سنة ١٩٤٥. ورفعت الجثة امام وزارة الدفاع... فبكى عليها الشعب العراقي ، وبكت الامة العربية في كل مكان.

(٥٩) مذكرات المحامي حازم المفتي ، المنشورة في جريدة فتى العرب الموصلية في العدد ٦٤ بتاريخ ٢٥ شباط سنة ١٩٥٢.. وما تلاه من اعداد .

٦- اسناد وتغذية الحركات الاستقلالية في سوريا وفلسطين قدر الامكان ، وتشجيع الهيئات العربية التي تعمل في هذا المجال.

وفي سنة ١٩٣٢ تشكلت داخل الجيش كتلة اخرى ترأسها «المقدم الركن توفيق حسين» الملقب بتوفيق اركان.. وكان هذا ضابطاً في الجيش التركي ، التحق في خدمة الجيش العراقي سنة ١٩٣١ بتشجيع من طه الهاشمي رئيس الاركان، وعين مدرساً للتاريخ العسكري في الكلية العسكرية . وكان الرجل طموحاً ومثقفاً ، بهر طلاب الكلية العسكرية بآرائه السياسية التي تدور حول «حكم الجيش في البلاد ، واعلان ديكتاتورية عسكرية تحكم الامة اسوة بما حدث في تركيا بقيادة مصطفى كمال ، وفي ايران بقيادة الشاه رضا بهلوي. ولكن هذه الكتلة بقيت «محدودة العدد والنشاط».. فقرر رئيسها الانضمام الى كتلة الضباط القوميين بزعامة «صلاح الدين الصباغ ، ومحمد فهمي سعيد»..

***

وفي سنة ١٩٣٢ ظهرت كتلة جديدة يتزعمها «اللواء بكر صدقي العسكري» جمعت خليطاً من الضباط من مختلف الاهواء والنزعات، تجمعوا حول بكر صدقي بدوافع كثيرة اهمها:

١- ان اللواء بكر صدقي يؤمن مصالحهم الخاصة ويضمن ترقياتهم في سلم الخدمة .
٢- معاداتهم لكتلة الضباط القوميين وللخط العربي الوحدوي.
٣- ايمانهم بالاقليمية الضيقة والتعاون مع الانكليز.

***

لقد شجع الشهيدان العقيدان[1] صلاح الدين الصباغ ومحمد فهمي سعيد كل المؤسسات القومية في العراق واشتركا في تأسيسها وتوجيهها «كنادي المثنى ، وجمعية الجوال العربي ، وجمعية الشبان المسلمين ، والفتوة العراقية».. وكان اتصالاتهم واجتماعاتهم تجري بشكل واسع مع قادة الامة وكبار ساساتها ، في العراق والبلاد العربية ، حسب الظروف والمناسبات القومية .

***

وفي سنة ١٩٣٤[1] ، قررت كتلة الضباط قبول السادة جمال المفتي نائب الموصل ومعتمد حزب الاخاء الوطني فيها ، والسيد صادق حبة ، والمحامي يونس السبعاوي ، اعضاء في الجمعية المذكورة ، والاخيران عضوان فعالان في حزب الاخاء الوطني

وتربطهم بياسين الهاشمي رابطة قوية واعتبر هؤلاء جناحاً مدنياً للكتلة العسكرية .

لقد تحملت الكتلة القومية كثيراً من الاضرار والمصاعب فقد كانت هدفاً لخصومات كثيرين وعلى رأسهم «اللواء بكر صدقي» .. فانه كان يسعى لتمزيق شملهم. وينتحل الاعذار الواهية لتحويلهم من مراكز اعمالهم.. وكان رؤساء الكتلة يحذرون المسؤولين وخاصة السيدين ياسين الهاشمي واخيه رئيس الاركان ، من تحركات بكر ، وصلاته المشبوهة بأعوان الانكليز، وآرائه الانفصالية الخطيرة. وكان طه الهاشمي يحمي الكتلة القومية ويشجعها من طرف خفي لوثوقه بوطنية اعضائها واخلاصهم .

بكر صدقي في قمة السلطة

كان الانقلاب العسكري بقيادة بكر صدقي مفاجئة كبيرة اذهلت الكتلة القومية واستفزت مشاعرها واضرمت في صدور اعضائها الحقد على رجل مغامر يقود الجيش في طريق شائك مملوء بالالغام والمخاطر. وقد توقع الاعضاء سلفاً ما سيفعله هذا الرجل، لأنه معروف عندهم بأفكاره وميوله واخلاقه، وخمدوا لهذه المفاجئة ، وتركوا للظروف تقرير مصير البلد ومصيرهم.

ولما دخلت القطعات العسكرية مدينة بغداد ، واطلع الضباط على هوية الانقلاب وبواعثه بدأوا يتذمرون ولكنهم لم يكشفوا عن تذمرهم . ويعلنوا مكنونات صدورهم خوفاً من بطش الطاغية وزبانيته السفاكين، وقد استغلت الكتلة القومية هذا التذمر وبدأت تخطط للمعركة الفاصلة.

في يوم ٣ تشرين الثاني من سنة ١٩٣٦. زار المقدم «العقيد محمد فهمي سعيد» «مقدم لواء المنطقة الشمالية في الموصل» السيد جمال المفتي في فندق «كلارج» قرب جسر الاحرار اليوم.. فوجد عنده السيد يونس السبعاوي المحامي وبعد ان استعرضوا بمرارة والم ما سيسببه هذا الانقلاب من كوارث ومحن قرروا ان الحل الوحيد للخروج من هذا المأزق الحرج هو «اغتيال قائد الانقلاب نفسه» فهو الدعامة الكبرى التي يقوم عليها «الكيان الجديد» فاذا زالت انهار الكيان من اساسه».

وبعد يومين سافر السيدان محمد فهمي سعيد وجمال المفتي الى مقر اعمالهم في الموصل. وبدأ العمل في الخفاء وبدأت الاتصالات والتجمعات على قدم وساق بين

الكتلة القومية العسكرية وبين كافة المتذمرين من الانقلاب ورجاله. وكان هدف الجميع «اغتيال بكر» بأقرب فرصة وبشكل لا يؤدي الى اصطدام قطعات الجيش مع بعضها نتيجة هذا الاغتيال.

وفي بغداد تولى مسؤولية هذا العمل المقدم صلاح الدين الصباغ واخوانه. وفي الموصل تولى المسؤولية «المقدم محمد فهمي سعيد» وجماعته. وبدأ الجميع سلسلة من الاجتماعات والدراسات والمحاولات في جو يسوده الحذر والحيطة والكتمان الشديد». وكانت دور السادة جمال المفتي واللواء امين العمري والمقدم محمد فهمي سعيد تستقبل المتآمرين على الدوام. وكان السيد جمال حلقة الوصل بين الشباب القومي والضباط.

صراع عنيف بين بكر صدقي والكتلة القومية

ركز بكر صدقي جميع سلطات الجيش بشخصه فسلب من وزير الدفاع صلاحياته ، واصبح بين عشية وضحاها الرجل الذي «يهيمن» على مجلس الوزراء والقوات المسلحة والمملكة بأسرها.

واراد بكر ان يقضي على خصومه في الجيش بعد ان قضى على خصومه في ميدان السياسة، فأبعد الضباط القوميين «الذين يعملون بوحي من وطنيتهم» عن المراكز المهمة، واحل مكانهم عناصر تدين بالطاعة والولاء لشخصه وراح يبذل كل جهده لتقوية انصاره من كبار الضباط وصغارهم ، ويغذيهم بالرواتب والرتب الاستثنائية «والمنح السرية». وكان يقيم لهم الحفلات الساهرة والولائم الشهية . ويغدق عليهم الهدايا ويستفز فيهم العواطف والشهوات الجامحة.. ومع كل هذا فإنه كان يخشى الضباط القوميين وفي طليعتهم «صلاح الدين الصباغ ، ومحمد فهمي سعيد» ويحسب لهم الف حساب.

فأبعد «المقدم محمد فهمي سعيد الى الموصل ، وعين المقدم صلاح الدين الصباغ» في منصب من مناصب «الميرة»..بعيداً عن الوحدات المسلحة كي يأمن جانبه، ويتقي صولاته ، ونقل محمود سلمان الى كركوك ، وحاول بكر عبثاً ان يسترضي «الكتلة القومية» من ضباط الجيش والشباب القومي.. وعندما عجز عن ارضائهم احاطهم برقابة سرية شديدة. واحصى عليهم انفاسهم . وكان يتحين الفرص «لابادتهم» ولكنه كان في الوقت ذاته يتفادى الاصطدام بهم لمكانتهم المحترمة في الجيش.

وكانت الكتلة القومية يقظة واعية ، تعرف مايجول في رأس بكر من نوايا

وافكار واطماع ، فوسعت دائرة اعمالها ، ونصبت شباكها في كل مكان ، واخذت تجاهد ما وسعها الجهد لقتل بكر. مهما كانت العقبات والتضحيات. لأن اغتيال بكر انما هو في الحقيقة اغتيال «العهد السياسي» الذي بناه بقوته وجبروته، وسينهار «الحكم الانقلابي» من اساسه وتتقوض «الديكتاتورية الظالمة التي شيدها الغاصب في غفلة من الزمن .

وساوس ومخاوف

شعر بكر صدقي باستياء الشعب، واخذ يتسمع الى اصوات التذمر والاستنكار، تنقلها اليه بطانته واجهزته الرسمية والشخصية. وتواترت عليه اخبار المؤامرات ، واخذ يتحسس هبوب العواصف . ولابد من رعد وبرق وانفجار مدمر يزلزل البناء من اساسه. وخيمت عليه الوساوس والاوهام.. وكان اخشى ما يخشاه هو : انشقاق الجيش على بعضه وخروجه عن طاعته، وتآمره على حياته . فبدأ يحتاط كثيراً خشية الغيلة والانتقام، فجعل من مقره «حصناً منيعاً» محاطاً من جوانبه بالمدافع المضادة للجو والرشاشات والبنادق. وحول القصر يطوف الحراس «ليلاً ونهاراً» تصحبهم كلاب بوليسية مدربة على اكتشاف الجناة».. ودورية مسلحة تجوب في الاحياء المجاورة للقصر ، وهو لا يخرج من منزله الا في اوقات غير معلومة عند الناس ولا عند مرافقيه العسكريين ، وإذا ترك الدار فانه يركب سيارة خاصة به اعدت لتنقلاته وتمشي السيارة وسط سيارات من الضباط والجنود وكلهم شاكي السلاح يترقب المباغتة والهجوم.

وبلغ الذعر عند قائد الانقلاب حداً كبيراً جعله يترك داره الواقعة في «ارخيتة» في جنوب بغداد وينام متخفياً في دور اصدقائه المقربين اليه.

الفصل الخامس
مصرع بكر صدقي
الضباط في بغداد يتآمرون

ان الاساليب القاسية التي اتبعها حكمت سليمان رئيس الوزراء والفريق بكر صدقي في قمع ثورة السماوة في ١٤ ايار سنة ١٩٣٧ وما رافق ذلك القمع من اعتقالات واغتيالات شملت مئات الوطنيين من رؤساء العشائر وقادة ثورة العشرين، واستهتار الفريق رحكومته بأحكام الدستور والقوانين والعبث المستمر بحريات المواطنين وكرامتهم واموالهم وسجن المئات من رجال القانون واحرار الفكر واضطهاد المخلصين واقاربهم ونفيهم الى خارج البلاد وتشديد الرقابة على الصحافة الحرة والاجتماعات السياسية والخصوصية ، وحل النقابات العمالية ، والجمعيات ، والقاء الرعب في قلوب المواطنين عن طريق اجهزة المخابرات السرية. والبوليس المدني... جميع هذه الاعمال النكراء الهبت روح السخط في صفوف الجيش والشعب وفئات المثقفين، فشجعت الضباط القوميين على المبادرة والعمل فاخذوا يعقدون «الاجتماعات وينظمون المؤامرات» وكان لولب هؤلاء «المقدم الركن صلاح الدين الصباغ».

محاولات فاشلة

حاول الضباط ان يهاجموا بكر صدقي وهو في طريقه «لحضور حفلة تكريمية اقيمت لولي عهد المملكة السعودية في قصر الزهور» في ليلة ٢٨ ايار سنة ١٩٣٧، فخابت المحاولة لتردد بعض القائمين بالتنفيذ.

وحاولوا ان يقتلوه في احدى السهرات التي يقيمها «النادي العسكري» ففشلوا ايضاً لأن حرس الديكتاتور كان كبيراً ويقظاً

وحاولوا ان يهاجموه في بهو امانة العاصمة في حفلة تكريمية اقيمت يوم ٢٢

حزيران سنة ١٩٣٧ على شرف الضيفين رشدي آراس وزير خارجية الحكومة التركية ، وجلال بابار وزير الصناعة».. فأحجموا عن العمل مخافة ان يصاب احد الضيفين برصاصة طائشة فتسوء العلاقات بين البلدين..!!(٦٠)

***

اخذ انصار بكر في الجيش يتضاءلون وينفضون من حوله واصبحت اكثر الشخصيات العسكرية التي ساندته في الانقلاب وتحزبت له ودافعت عنه تظهر ندمها على الخطأ الجسيم الذي ارتكبته حين شاركته في انقلابه وجرائمه ، ولكن بعد فوات الاوان ، فإن بكر صدقي اصبح «السيد المطاع» ، ومع هذا فإنه كان منذعراً وخائفاً في قراره نفسه وكان يتوقع الفشل في كل لحظة.. ولكن علائم الخوف والذعر لم تظهر في احاديثه وتصرفاته وكان يصرح لاتباعه «بأن الرجل الذي يقتل بكراً لم يخلق بعد في العراق».

مصرع الفريق بكر صدقي في الموصل

ذهبت جهود الضباط في بغداد ادراج الرياح ، وكتب الله النجاة للفريق من شباك كثيرة. وكان المقدم صلاح الدين يذوب ألماً كلما افلت بكر صدقي من شباكهم. وكان الشباب القومي من عسكريين ومدنيين يعانون حياة مريرة ويتعرضون الى مخاطر جسيمة ، فحياتهم ومستقبل بلادهم كانت معلقة بكلمة تصدر من الفريق او من احد اعوانه ودعاته. وكان العراق يومذاك «سجناً كبيراً يسوده الرعب والخوف ، وتحكمه الجاسوسية والرغبات الشخصية .

***

في امسية من اماسي بغداد في اواخر حزيران سنة ١٩٣٧ استدعاني «المقدم صلاح الدين الصباغ» في كوخه الصغير الواقع في «العيواضية قرب سكة الحديد الفرعية». فوجدته كعادته ثائراً ومنفعلاً وغاضباً.. واخذ يسرد عليّ اسباب فشل

---

(٦٠) حاول الضباط القوميون السادة «نجيب الربيعي ، ومحمود الدرة وعبيد عبدالله المضايفي ومزاحم ماهر الكنعاني» ان يغتالوا بكر صدقي في احد الامسيات التي اعتاد الحضور فيها الى قصر الملح «على طريق بغداد» لاحتساء «الويسكي وتناول العشاء» على مائدة الملك غازي . ولكنهم صرفوا النظر عن هذه المحاولة خوفاً على حياة الملك من رصاصة طائشة قد تؤدي الى قتله .

المؤامرات التي دبرت لقتل بكر. ويقول ان الامور في بغداد تسير على نهج يخالف رغباتهم واهدافهم وذلك لضعف الاخلاق وخنوع القادة من اصحاب الرتب الكبيرة الى بكر بدافع المصلحة الشخصية والجاه المزيف.

قال المقدم «انك ستسافر الى الموصل فخذ هذه الرسالة وسلمها بيدك الى المقدم «محمد فهمي سعيد»(٦١) واخبره شفوياً بأن الحكومة التركية دعت الفريق بكر صدقي لحضور «مناورات الجيش التركي في تركيا يوم ١٨ آب سنة ١٩٣٧...» وسيزور الموصل بطريقه الى تركيا. فيجب ان يبذل هو واخوانه جميع جهودهم للقضاء عليه ،

---

(٦١) من هو محمد فهمي سعيد؟.. هو محمد فهمي بن سعيد بن محمود بن لجم بن مهدي من «عشيرة العنبكية الغربية» الساكنة في لواء ديالى . وكان «سعيد» والد محمد فهمي ضابطاً في الجيش العثماني ، وقد قضى خدمته في منطقة كردستان وتزوج من السيدة الكردية عائشة بنت محمد رسول باشا الراوندوزي . ولد محمد فهمي في مدينة بغداد سنة ١٨٩٨م الموافق سنة ١٣١٥هـ .. ودخل الاعدادية العسكرية في بغداد ثم سافر الى استامبول وواصل دراسته في الكلية العسكرية وتخرج منها بتاريخ ١٩١٥/٩/٤. واشترك في الحرب العالمية الاولى في «معركة حنا قلعة» المشهورة.. ولما انتهت الحرب وتشكل الحكم الوطني في سوريا انتسب الى الجيش العربي السوري .. والتقى مع زميله صلاح الدين الصباغ حيث ضمتهما جمعية «الفتاة العربية سنة ١٩١٧م»..... وقد اشترك الصديقان في معركة «ميسلون» بقيادة الشهيد يوسف العظمة. وجرح في المعركة ثم اسره الفرنسيون ، واعتقلوه مع صديقه صلاح الدين في جزيرة «إرواد» في البحر الابيض المتوسط. وبعد خروجه من المعتقل سافر الى العراق . وفي ١٩٢١/١١/١ التحق بالجيش العراقي برتبة ملازم ثاني في «كتيبة الهاشمي» الخيالة . وفي ١٩٣١/٤/١. دخل كلية الاركان العراقية وتخرج منها يوم ١٩٣٣/١/١٠. وفي ١٩٣٤/٧/١١ عين آمراً للانضباط العسكري في بغداد. وفي ١٩٣٥/٨/٢٠ نقل الى منصب مقدم ركن المنطقة الشمالية.. وبعد مقتل بكر صدقي عين بمنصب «آمر كتيبة الدبابات» وفي ١٩٣٨/١/٢١. تسلم منصب «آمر القوة الآلية» ورُفع الى رتبة عقيد ، وقد ساهم ونظم مع اخوانه العقداء صلاح الدين وكامل شبيب ومحمود سلمان... الانقلاب العسكري الذي اسقط وزارة جميل المدفعي في ليلة ٢٥/٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٣٨... وكذلك ساهم في «اعلان حكومة الدفاع الوطني» ليلة ٤/٣ نيسان سنة ١٩٤١. وكان عضواً فيها .. ولما اعلن الانكليز الحرب على العراق وقرر العراق الدفاع عن استقلاله وكيانه «عين العقيد محمد فهمي سعيد قائداً للفرقة المدرّعة الخامسة» . وتولى الدفاع عن «مناطق سن الذبان والفلوجة» «الجبهة الغربية».. وبعد فشل الحرب الوطنية ، احيل العقيد مع اخوانه الى «المجلس العرفي العسكري» في بغداد برئاسة العقيد مصطفى راغب.. فأصدر عليه وعلى زملائه حكم الاعدام. ونفذ الحكم بالشهداء الابطال ليلة ٦/٥ مايس سنة ١٩٤٢م. فبكاهم الشعب العراقي وجزعت لفقدهم الامة العربية.. وبقت ذكراهم خالدة في قلوب الاحرار في كل مكان...

وإلا ضاعت الفرصة الثمينة وكنا جميعاً في حكم الاموات» وبعد ان تحدثنا في مواضيع شتى سافرت الى الموصل واوصلت الرسالة الى الصديق محمد فهمي سعيد وحدثته بصورة تفصيلية عن الوضع السياسي والعسكري في بغداد، فسر كثيراً لهذه الاخبار ، وفتح الرسالة وقرأها بصوت جهوري. وفيها ملاحظات عن بعض الضباط الذين يشتغلون لمصلحة بكر صدقي وعن التقارير التي كان يرفعها قلم المخابرات العسكرية عن نشاط محمد فهمي واخوانه.

السفير البريطاني يحذر الفريق

كان بكر صدقي صلب العزيمة ، قوي الشكيمة ، وكان يعلم بالضبط قوة اعدائه. ولكنه كان مغروراً بذكائه وقوة شخصيته. فلما نبهه اصدقاؤه الى محاولات الخصوم وتجمعاتهم استهان بهم ، ولم يلتفت الى نصائحهم اعتقاداً منه ان ما يجري من الشغب عليه وانتقاد سياسته لايتعدى الاقوال. فهو عاصفة «في فنجان» كما كان يقول.

وقبل ان يغادر بغداد في طريقه الى كركوك - الموصل. حذره السفير البريطاني من وجود (١) مؤامرة لقتله في الموصل. وعندما وصل الى كركوك ، وجد نفس التحذير من اخوانه ومن وكيل متصرف كركوك «السيد فائق توفيق» ومع ذلك فقد بقي سادراً في غلوائه وغارقاً في لجة غروره لايقبل النصح ولا يصغي الى اقوال النصحاء.

كان محمد فهمي سعيد بحكم منصبه ودماثة خلقه وجرأته الفذة واخلاصه لفكرته القومية، قطب الرحى بين الضباط القوميين في الموصل، يجتمع بهم ليلاً ونهاراً، يستفز عواطفهم الوطنية ويستثير حميتهم القومية ويحرضهم على قتل بكر بكل ما اوتي من حزم وبلاغة ومنطق. وقد لمس في «الضباط ، قاسم مقصود ، وعبدالوهاب العزاوي ، وعبدالقادر عباس ، وخيرالله حسين ، ومحمود هندي «الرئيس الطيار» ، ونوري خيري ، وعزيز الياملكي ، ونوح الجلبي ، وعمر فوزي ، وشفيق الحيد ، وطاهر يحيى ، وصالح العزاوي ، وقاسم محمد ، وجلال شوقي ، ومحمد خورشيد «الخيال» عواطف تزخر بالكراهية والبغضاء تجا بكر ونظامه ومفاسد حكمه.

واستمر «محمد فهمي سعيد» في تنظيماته واتصالاته ومشاوراته مع اللواء امين العمري قائد المنطقة الشمالية ، والشباب القومي ، وكبار الضباط وصغارهم ، حتى استقر رأي الجميع على الخطوات التالية:

١- ان يدعى بكر صدقي حين وصوله الى الموصل الى حفلة ساهرة تقام في حديقة نادي الضباط .

٢- يشغل الرئيس عبدالوهاب الحاج لطيف العزاوي مع قسم من الضباط المسلحين بالرشاشات الطابق العلوي ، ويطلقون النار على بكر صدقي عند تلقي الاشارة من الضباط الجالسين في حديقة النادي .

٣- يكون الضباط بقيادة محمد فهمي سعيد في حديقة النادي مسلحون ومستعدون للعمل.

٤- وفي حالة امتناع بكر عن تلبية الدعوة ، قرر الضباط ارسال سرية مختارة من بينهم الى محل بالقرب من «تل كوجك» يهاجمونه باطلاق الرصاص قبل ان يجتاز الحدود «السورية - التركية».

يوم عصيب

وصل موكب الديكتاتور بكر صدقي مدينة الموصل ظهر يوم الاربعاء المصادف ١١ آب سنة ١٩٣٧م. وكان في معيته «اللواء حسين فوزي قائد الفرقة الاولى ، كما وصلها على متن طائرة عسكرية محمد علي جواد آمر القوة الجوية العراقية ، وكان في استقبالهم اللواء امين العمري قائد المنطقة الشمالية والمقدم محمد فهمي سعيد وانزلوهم ضيوفاً في اوتيل «الرست هاوس» الواقع في محلة الدواسة...[٦٢]

بدأ الضباط القوميون نشاطهم وانذر بعضهم البعض الآخر ، وجرت بينهم محادثات سريعة جريئة وخفقت قلوب المتآمرين لهول الموقف وحراجته، واستعد الجميع لمعركة فاصلة حاسمة فإما ان تنجح المؤامرة ويقتل بكر صدقي فتنتهي المأساة ويسدل الستار. وإما ان ينجو بكر بنفسه فينصب المشانق ويزهق الارواح ويسجن آلافاً آخرين ويحكم البلاد حكماً قاسياً عنيفاً لاهوادة فيه ولا رحمة.

***

تناول بكر الطعام في الفندق وبعد الانتهاء ، وجه اليه الضباط الدعوة لحضور الحفلة الساهرة في النادي فقبلها شاكراً ممتناً.

كان الحر شديداً ، وكانت الشمس ترسّل اشعتها الملتهبة على احياء الموصل

---

(٦٢) مذكرات المحامي حازم المفتي المنشورة في جريدة فتى العرب في ٢٥ شباط سنة ١٩٥٢ وما بعده من الاعداد.

فتتقد لظى وسعيراً. وتضايق الفريق من هذا الحر القاتل، وبحث له عن مكان مريح يقضي به وقت الظهيرة. فأشار عليه المقدم موسى علي آمر السرب الاول ان يذهب الى المطار «العسكري» حيث الهوآء عليلاً والنسيم رخي الشمائل هادئاً، والمكان مأموناً محصناً.. فأبدى الفريق موافقته على ارتياد المطار... وقبل ان يذهب اليه قصد دار اخيه «المقدم المتقاعد برقي صدقي» واودع عنده حقيبة يعتز بها ولا يتركها من يديه، يقال انها «حوت مجوهرات ثمينة وهدايا غالية الثمن».

***

كان محمد فهمي سعيد يستعد لخوض المعركة وقد هيأ اخوانه «لساعة الصفر» ساعة التنفيذ واطلع آمر اللواء امين العمري[٦٣] على مقررات الضباط ونواياهم بصورة

---

(٦٣) من هو اللواء محمد امين العمري: ود في الموصل عام ١٨٨٩م. وهو ينتمي نسباً الى الاسرة العمرية العربية المعروفة، ودرس الابتدائية في الموصل. وانتقل الى بغداد، ودخل المدرسة الرشدية العسكرية وتخرج منها عام ١٩٠٥م. وسافر الى استامبول لاكمال دراسته هناك ودخل الكلية العسكرية وتخرج منها عام ١٩٠٩ برتبة ملازم ثاني «مدفعي».. والتحق في خدمة الجيش العثماني.. واشترك في حروب البلقان وخاصة في معركة «جطلبجة» وابدى شجاعة نالت تقدير رؤسائه... ثم دخل كلية الاركان العسكرية في استامبول.. وتخرج منها «ضابط ركن»... واشترك في حرب العراق ضد الانكليز.. وجرح في احدى المعارك قرب كربلاء. واصيب في ساقه. «بشظية مدفع»... وبعد عقد الهدنة وانتهاء الحرب، وتشكيل الحكومة العربية في الشام التحق في الجيش العربي هناك.. وساهم في ثورة تللعفر الذي اشرف عليها الضباط «جميل المدفعي ومولود مخلص» وغيرهم من ضباط العرب.

ولما تأسس الجيش العراقي انضم الى وحداته. وتدرج في المناصب والرتب.. فعين «آمراً لكلية الاركان العراقية، وآمراً لصنف المدفعية» ثم معاوناً لرئيس اركان الجيش ومديراً لشعبة الحركات العسكرية وذلك في سنة ١٩٣٦....

ولما نجح الانقلاب العسكري سنة ١٩٣٦.. اراد بكر صدقي ان يعدم امين العمري لانه ابدى آراءاً وملاحظات الى وزير الدفاع والى الهاشمي لم تكن في صالح القائد.. ولكن توسط بعض انصار بكر صدقي وهم جمال جميل، مرافق القائد. وصفوت سعيد مستشاره الخاص. ثم توسط السيد سعاد العمري «قنصل النمسا الفخري» صديق بكر وقريب امين العمري. حال دون تنفيذ الاعدام. واكتفى بكر صدقي بنقل السيد امين العمري الى «آمرية حامية الموصل»... وبعد قتل بكر صدقي عين امين العمري «آمر للفرقة الاولى في بغداد».... ثم احيل على التقاعد في مارت سنة ١٩٤٠ بعد ان قام هو ورئيس اركان الجيش الفريق حسين فوزي، بانقلاب فاشل ضد وزارة نوري السعيد. وفي حزيران سنة ١٩٤١ عين رئيساً لاركان الجيش العراقي.. وفي سنة ١٩٤٢ احيل على التقاعد. وتوفي في سنة ١٩٤٦م. ودفن في جامع الاسرة في الموصل.. ومن مؤلفاته:

تفصيلية جازمة وراح يبذل عصارة فكره وقلبه للوصول الى الهدف من اقصر طريق واقل كلفة، ووضع رأسه على راحتيه ومشى الى اخوانه يشحذ هممهم ويستثير وطنيتهم.

اينما كنتم يدرككم الموت

كانت الدقائق تمر كالبرق ، والنفوس تضطرب ، والقلوب تخفق ، والجو مشحون بالمفاجئات والمخاطر والشباب القومي ينتظم عقدة زرافات.. زرافات.. والكل ينتظرون هبوط الليل بصبر فارغ وعزم وثاب.. ينتظرون الساعة الرهيبة التي ستقرر مصير القوميين المخلصين في العراق .

***

وبينما كان المقدم محمد فهمي سعيد يدرس امكانيات الضباط واستعدادهم لتنفيذ «خطة الليل» في النادي العسكري، جاءه «الرئيس النقيب الطيار محمود هندي» ، فاخبره بأن بكر صدقي مستريح البال ، يغط في نومه بغرفة تجاور غرفته في المعسكر، وأن الفرصة سانحة يجب اقتناصها وإلا ذهبت جميع الجهود والمحاولات هدراً وعبثاً.

كانت الساعة قد قاربت الرابعة بعد الظهر. فركب محمد فهمي سيارة الرئيس محمود الهندي «النقيب»، وقصدا «ثكنة الخيالة» واتصلا بالمقدم الخيال «محمد خورشيد» وبحثوا الامر من جوانبه وبعد مشاورات قصيرة ، احضروا «العريف الخيال محمد عبدالله التلعفري» الذي يجيد اطلاق النار بالمسدس ، وافهمه المقدم محمد فهمي سعيد «العقيد» بعدئذ بالمهمة التي سيذهب لتنفيذها، فوافق الرجل برباطة جأش فائقة، وركب الاربعة السيارة وقصدوا توأ الباب الخلفي للمطار ، ووقفوا عند المدخل المؤدي لغرفة محمود هندي ، ومشى محمود ومعه العريف محمد في الممر المؤدي الى حديقة دار الضباط في المطار، وكانت الساعة تدق «السادسة بعد الظهر».. فخرج الفريق الى الحديقة يستمتع بالجو المنعش ، والهواء الطلق ، والزهور اليانعة ، وجلس على احد الكراسي ، وجلس امامه محمد علي جواد آمر القوة الجوية يتحدثان ويمزحان.

١- تاريخ حرب العراق في ثلاث مجلدات. ٢-سر انتصار عبدالكريم الجزائري. ٣-تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ونشر باسم اخيه محمد طاهر العمري لاسباب سياسية. ٤-تعليقات عسكرية مهمة على سير الحرب العالمية الثانية ، نشرت في جريدة «الزمان» وغيرها من جرائد العراق.

سهم خاطف ورصاصة صائبة

تقدم العريف محمد عبدالله الى بكر ورفيقه كالسهم الخاطف ، فذعر الفريق وصاحبه من هذا الطيف الغريب ، وتولتهما الحيرة وعقدت لسانيهما الدهشة والمفاجأة وروعتهما هذه المباغتة السريعة. وصوب العريف محمد فوهة مسدسه على الفريق ، وضغط على الزناد، فانفجرت الرصاصة الاولى واصابت الرأس. وانفجرت الثانية فاصابت بكراً في قلبه وصدره، ونهض المقدم محمد علي جواد ، وتقدم نحو العريف يريد القبض عليه ففاجئه هذا بطلقة اخر ، فسقط هو الآخر على اثرها مضرجاً بدمه .

وهجم ضابط الخفر «الملازم الطيار محمود الحاج ايوب» على العريف ولكن بدون جدوى فقد رجع العريف من حيث اتى وهناك ركب مع اصحابه الذين كانوا في انتظاره في السيارة وتفرقوا في الارض يستقبلون عهداً جديداً ومصيراً مجهولاً »....![64]

***

لقد انتهت الرواية واسدل الستار ، فويل للعراق من قسوة الاقدار ، واكدار الزمن.

ونقل القتيلان على متن طائرة عسكرية الى بغداد ، فاصدرت الحكومة البيان التالي:[65]

«بلاغ رسمي»

تنعى الحكومة العراقية بمزيد الاسف كلاً من المرحومين الفريق بكر صدقي رئيس اركان الجيش والمقدم محمد علي جواد آمر القوة الجوية .في حادث وقع لهما خلاصته امه بينما كانا جالسين قبيل غروب الشمس في ميدان الطيران بالموصل اذ هجم احد الجنود على الفريق السيد بكر صدقي واطلق عليه بضع رصاصات اردته قتيلاً. ولما

---

(٦٤) فتى العرب : مذكرات المحامي حازم المفتي ٢٥ شباط سنة ١٩٥٢.

(٦٥) الحرب العراقية الوطنية سنة ١٩٤١م. لمؤلفه العقيد الركن محمود الدرة.

حاول السيد محمد علي جواد ان يحول بينهما اطلق عليه الجندي الرصاص ايضاً فخر صريعاً. وقد قبض على الجندي القاتل في الحال. والتحقيقات جارية لمعرفة الاسباب .

مدير الدعاية والنشر

حكمت سليمان على فوهة بركان

وقع خبر اغتيال بكر صدقي على رأس حكمت سليمان رئيس الوزراء كالصاعقة ففقد الرجل توازنه وضعفت قواه امام هذا الحادث المروع، واستنجد بانصار بكر من قادة الجيش وجمعهم في ديوان مجلس الوزراء. فأتجهت انظار الجميع الى الزعيم اسماعيل حقي الآغا، فاناطوا به أمر الدفاع عن العاصمة، وعينوا «العقيد شاكر الوادي» آمر القوة الجوية ، وزار الآغا وكيل قائد الفرقة الاولى امراء الوحدات الموالية لبكر صدقي ، فأقسموا «ان ينتقموا من قاتليه ويثأروا لقائدهم» وانذر الآغا «الوحدات العسكرية المرابطة في بغداد » ووزع عليها السلاح . ووزع علىها «الشارات السوداء» فعلقها الجنود والضباط على صدورهم حداداً على الفقيدين ثم ارسل الآغا «الدوريات المسلحة» تجوب بغداد واطراف العاصمة تترصد المواطنين. ووضع الرقابة على الصحف والبرقيات والتلفونات..

وصدرت ارادة ملكية بتعيين «السيد عبداللطيف نوري» رئيساً لاركان الجيش وابرق حكمت سليمان اليه من بيروت يحثه على السفر الى بغداد سريعاً.

وخضع الداخلون الى العاصمة والخارجون منها الى تفتيش دقيق ورقابة منهكة تحسباً للطوارئ والمفاجآت.

وفي بغداد اقترح بعض المسؤولين ان يجرد حملة عسكرية لتأديب بلدة الموصل ، فاعجب حكمت سليمان ومحمد علي محمود الشيخ علي وكيل وزير الدفاع بهذا الاقتراح. وجرى الاستعداد لذلك ، واتصل حكمت سليمان تلفونياً باللواء امين العمري، وأمره ان يفسح المجال لتحقيق يقوم به «نائب الاحكام العقيد انطوان لوقا » وهو في طريقه الى الموصل «فانه» والمتكلم حكمت سليمان «سيشنق كل المتهمين وسيخنق المتآمرين كما يخنق الدجاج» ... وكانت نبرات صوته وخشونه كلامه تدلان على انه فقد صوابه وانه في حالة انهيار فضيع..

هذا الذي جرى في بغداد .. واما في الموصل فقد القت الشرطة القبض على محمود هندي واعتقلته في مركز السراي. وحاولت ان تلقي القبض على غيره من الضباط فمنعهم اللواء امين العمري من التوسع في هذا المجال.. لأن سلطات الجيش هي المسؤولة عن اجراء التحقيق والقاء القبض والتوقيف .

وما نيل المطالب بالتمني

استمع امين العمري والضباط المجتمعون في مقره وفي مقدمتهم «محمد فهمي سعيد» الى المحادثة التي جرت بين حكمت سليمان وامين.. فعلموا نوايا حكمت ومقاصده الخبيثة. وما يضمره هو واخوانه لهم من حقد دفين وشر مستطير... فاقسم هؤلاء ان يقاوموا الشر بالشر والقوة بالقوة واناطوا باللواء قيادة الموقف الجديد والتغلب على الاخطار المقبلة .

وكان القادة امراء الافواج «قاسم مقصود ، وعزيز ياملكي ، وشفيق الحيد ، ونوري خيري ، وخيرالله الحسن» يشجعون اللواء ويشدون ازره. واما الضباط الصغار فكانوا اكثر اندفاعاً وحماساً، فوافق اللواء على «قيادة القوم ولكن بحكمة الشيوخ التي تحسب لكل خطوة حساباً دقيقاً» .

***

وصل العقيد انطوان لوقا ، لينفذ اوامر بغداد ، واوقف بعض الضباط وامر بوضع السلاسل في ايديهم فقبضوا عليه واهانوه .. واصدر اللواء امين العمري امره بتوقيفه وارساله مخفوراً الى بغداد عن طريق كركوك، وكلف الملازم طاهر يحيى بتنفيذ الامر، فانهارت معنويات «العقيد نائب الاحكام» واخذ يتوسل ويظهر الاسف والندم كما اطلق اللواء سراح الضباط الموقوفين وقرر عدم تسفيرهم الى بغداد .

بعد هذا الحادث اراد اللواء امين العمري ان يستطلع رأي قائد الفرقة الثانية امين زكي في كركوك. ويستطلع آراء اخوانه في بغداد ومنهم المقدم صلاح الدين عن موقفهم تجاه وزارة حكمت وموقفهم من احداث الموصل، وهل يوافقونه على تبديل جذري لعهد الانقلاب ورجاله؟.

وبعد مداولات بين اللواء والسيد محمد فهمي سعيد اتفق الرأي على ان يرسلا «الرئيس عبدالوهاب العزاوي» الى اللواء «امين زكي» قائد الفرقة الثانية . ويرسلوني انا كاتب هذه المذكرات الى المقدم صلاح الدين. وزودني اللواء برسالتين احداها الى

السيد مصطفى العمري وزير الداخلية في وزارة حكمت سليمان، والاخرى الى صلاح الدين الصباغ ، كما زودني المقدم محمد فهمي برسالة خاصة الى صلاح الدين ايضاً وتعليمات شفوية الى الضباط «سعيد يحيى وصالح فوزي».

تركت الموصل الساعة الثامنة مساءاً ، ووصلت ضواحي بغداد فجر يوم ١٣ آب وكانت الرقابة يقظة شديدة ، والقادمون يفتشون ، والدوريات المسلحة من انصار بكر قد ضربت نطاقاً حديدياً حول بغداد . وقد خدمتني الاقدار فهيئت لي صديقاً محترماً هو العقيد «مظفر ابراهيم» آمر الانضباط ، فما ان رآني حتى استقبلني وابدى استغرابه من مجيئي الى بغداد وفي هذه الظروف العصيبة، وبعد محادثة قصيرة خرجت من «نطاق التفتيش سالماً» لأن الضابط المكلف بالتفتيش تركني بعد ان رأى احتفاء العقيد بقدومي... وانا صديق من أصدقائه وقصدت انا والاخ مظفر ابراهيم وزارة الدفاع في بنايتها القديمة. ودلني على غرفة صلاح الدين ، فدخلنا اليها ، وبعد ان سلم الاثنان على بعضهما. إنصرف مظفر وتركنا لوحدنا.

***

كان صلاح الدين متلهفاً لسماع الاخبار ، ولم يكن يعرف ما يجري في منطقة الموصل لأن الرقابة مفروضة على كل شيئ.. فلما سلمته الرسائل وقرأها ، واطلعته على سير الاحداث وحماس الضباط ومعنوياتهم العالية ، وتأييد الموصل عموماً «لحامية الموصل وضباطها البواسل» ركبنا السيارة وذهبنا الى معسكر «الوشاش».

الجيش ثائر

دخلنا معسكر الوشاش ، فاستقبلنا جمع كبير منهم «الضباط المقدمون سعيد يحيى ، وصالح فوزي ، ومحمود فاضل الجنابي ، وخيري خورشيد». فخطب فيهم صلاح الدين واطلعهم على «حركة الجيش في الموصل» و نوايا حكمت سليمان واعوانه نحو اخوانهم في تلك المدينة وطلب منهم ان يؤازروا «منطقة الموصل» وقائدها اللواء امين العمري. ويضعوا حداً «لحماقة الأغا وطيش حكمت سليمان» فهتف له الحاضرون. واقسموا ان يؤيدوا «قوة الموصل» ويسقطوا حكمت سليمان من رئاسة الوزارة. وذهب الحاضرون الى آمر معسكر الوشاش «العقيد سعيد التكريتي». وبعد مجادلات حماسية اتفق الجمع على ان يقدموا المطاليب التالية الى حكمت سليمان رئيس الوزراء. وانابوا عنهم اكبرهم رتبة وهو العقيد سعيد التكريتي ليحملها اليه.

ويتسلم منه الجواب وهي:

١- الاخلاص للعرش وصاحب الجلالة.

٢- الجيش وحدة لا تتجزأ وتؤيد مطاليب قوة الموصل.

٣- ابعاد بعض الضباط عن مناصبهم الحالية واحلالهم في مناصب اخرى لتدخلهم في السياسة.

٤- عدم تدخل الجيش في السياسة.

***

تركت معسكر الوشاش وذهبت لمقابلة وزير الداخلية السيد مصطفى العمري الذي كان بحكم منصبه يتمتع بحصانة وحرية. وسلمته رسالة «اللواء امين العمري» ونقلت اليه خلاصة «الموقف في الموصل وفي الوشاش» فأتصل بدوره تلفونياً بأمين العمري واخبره بما لاقت اعماله من رعاية وتأييد من اوساط الرأي العام السياسي والعسكري في بغداد.

***

ضعفت جبهة حكمت سليمان بعد مؤتمر الوشاش ، وتسرب الوهن الى صفوفها. وانكمش العسكريون من انصار حكمت وخذلوه. وبدأوا يفكرون كيف يتخلصون من المسؤولية والعقاب، وهكذا انتقلت المبادأة الى «الضباط القوميين في بغداد والموصل».

وشمر اللواء امين العمري عن ساعد الجد واندفع يحمل راية الثورة.

الموصل تقطع علاقاتها مع بغداد

بعد مشاورات بين اللواء وضباطه ، وبين وكيل متصرف الموصل السيد جلال خالد ومدير الشرطة في الموصل ، اصدر اللواء البيان التالي يوم ١٤ آب سنة ١٩٣٧ :[٦٦]

[عقيب حادث مقتل المرحومين بكر صدقي ومحمد علي جواد ، كانت قد جرت التحقيقات اللازمة والقي القبض على القاتل ومحرضيه، غير ان الوزارة القائمة في بغداد وذوي المآرب شددت بلزوم القاء القبض على كثير من الضباط الذين لا دخل لهم

---

(٦٦) مذكرات المحامي حازم المفتي . جريدة فتى العراق الموصلية ٢٥ شباط سنة ١٩٥٢

في الامر بتاتاً. ورغم النصائح التي ابديناها للوزارة لعدم جعل واقعة القتل المذكور وسيلة للانتقام من الابرياء، لكن الوزارة اصرت على ذلك وطلبت ارسال الموقوفين والضباط الآخرين الابرياء الى بغداد . الامر الذي ادى الى اعتصام وحدات الجيش لصيانة حياة آمرية الابرياء وضباطه. وعلى هذا قبلنا على عاتقنا مسؤولية الأمر واجلنا سفر الضباط الابرياء ، وقطعنا علاقتنا مع بغداد. ان المطلوب من جميع الاهلين المحافظة على السكون التام وعدم القيام بأي عمل من شأنه تعكير الامن.

امير اللواء. آمر المنطقة .
محمد امين العمري

***

تركت بغداد مساء يوم ١٤ آب سنة ١٩٣٧ (٦٧) ووصلت الموصل فجر يوم ١٥ آب سنة١٩٣٧ واتجهت فوراً الى دار محمد امين العمري. فدخلت عليه فوجدت عنده محمد فهمي سعيد وضباط آخرين يتلقون الاوامر ثم ينصرفون لان القطعات كانت في حالة الانذار. وبعد التحية وتبادل السلام «وصفت لهما حماس الضباط وتأييدهم لحامية الموصل وشرحت وضع الوزارة وتخاذل اعضاءها وضعف رئيسها وعزمه على الاستقالة ثم زودتهما بطلبات الجيش التي رفعها الثائرون في معسكر الوشاش الى رئيس الوزراء وكيف احدثت هذه الطلبات تصدعاً كبيراً بين جماعة بكر صدقي انفسهم وبينهم وبين حكمت سليمان ، فانشرح صدر اللواء وانفرجت اساريره ، وتأكد من سلامة موقفه وقوة انصاره فأمر باصدار هذا البيان :

بيان آخر
«بيان الى الشعب العراقي النبيل»

«ايها الشعب النبيل . وبأسم الله ، وبأسم روح فيصل العظيم وحي الاستقلال ، وبأسماء ارواح الشهداء البررة الذين شادوا هذا الكيان العظيم. ليفوا الله عهداً صادقاً ، وبأسم كرامة الوطن المقدس وسلامة اهله الانجاب. تعلن حكومة الموصل متضامنة

---

(٦٧) ١ - مذكرات المحامي حازم المفتي . جريدة فتى العرب الموصلية .

٢- الحرب العراقية الوطنية لسنة ١٩٤١. «تأليف العقيد الركن محمود الدرة».

بجيشها وادارتها خروجها على حكم الوزارة الحاضرة وزارة السيد حكمت سليمان وهي الى ذلك مضطرة غير باغية ولا عادية... لقد شهدت ايها الشعب النجيب كيف غالت هذه الوزارة الحكم من ارادة الشعب غولاً. وانك لتذكر ذلك الدم البريء الذي سفك ظلماً من الشهيد ضياء يونس، والجريمة المماثلة بمولود مخلص فنجا منها بمعجزة وفر بدمه مشرداً عن اهله ووطنه. شهدت هذا ومن حولك الفوضى تلتهم النظام، وتكاد تأتي على البقية الباقية من مخلفات فيصل العظيم، وصحبه الامجاد في ارض الوطن.

واليوم وبعد ان وقعت حادثة اغتيال الفريق بكر صدقي والمقدم محمد علي جواد تحاول يد الوزارة ان تمتد الى الجيش فتقبض على اكثرية الضباط وتزجهم في غياهب السجون، وتطوح بهم بسلاح الوطن من بعدهم في مهاوي الهلاك . ان حكومة اللواء قبضت على المظنونين بالتهمة وقدمتهم الى التحقيق اداءاً لحق النظام ونصحت للوزارة بهذه الكفاية العادلة، ولكن الوزارة ومن ورائها بعض ذوي المآرب أبوا إلا نكبة الجيش بالاكثرية من ضباطه، فكررت حكومة اللواء النصيحة فلما اصرّت الوزارة على الطلب الجائر، هناك دقت ساعة العدل، واعلنت حكومة اللواء انتفاضها على هذه الوزارة وهي تزف اليهم بهذا البيان من جو هادئ مشبع بروح التضامن الحكومي والشعبي للاطمئنان وتنوير الاذهان. ثم تدعو الموظفين والامة ان تؤازرها بمقاطعة التعاون مع الوزارة والتضامن مع حكومة لواء الموصل، والخلود الى النظام والسكينة. وتود حكومة لواء الموصل ان يكون ملحوظاً عند العموم انها ستقدم كل من يحاول الخروج عن طاعتها ويخل بالامن العام.

١٩٣٧/٨/١٥

امير اللواء . محمد امين العمري
آمر منطقة الموصل

استقالة حكمت سليمان

دعى اللواء امين العمري «ضباط المنطقة الشمالية» الى حفلة عشاء في النادي العسكري مساء يوم ١٦ آب سنة ١٩٣٦ وبينما كنا نتناول الطعام ونستعرض الاحداث ونتنبأ بسقوط الوزارة. جاء ضابط «الخفر» مهرولاً وادى التحية الى اللواء العمري، وقال سيدي «ان صاحب الجلالة الملك يطلبك على التلفون» فاسرع العمري الى بهو النادي وجرت المكالمة بينهما :

الملك : أمين : شلونك : ما هذه الامور عندكم؟

أمين : مولاي : ان الجيش مخلص لعرشك . وانا خادم للعرش، ومطيع لاوامركم .إن الجيش لايريد سفك الدماء ، وهو لا يثق بحكمت سليمان ، والجيش يريد وزارة محايدة «تحكم البلاد .

الملك : انتظروا ..اوامرنا ...

***

حاول حكمت ان يخرج من محنته ويتغلب على ازمته بتعديل يجريه على وزارته. فأبرق الى السيد جميل المدفعي ، وهو في بيروت ، يُطلب حضوره حالاً لبشغل وزارة الدفاع.. واتصل بأمين العمري يعرض عليه هذا التعديل كحل يرضي ويطمئن القائمين بالتمرد ووعد بتعيين «مجلس عسكري محايد» يقوم «بالتحقيق مع الضباط التهمين» وان العدالة ستكون رائد الجميع. فكان الرد عليه صريحاً وحازماً وهو

١- ضرورة استقالة الوزارة حالاً.

٢- تشكيل وزارة محايدة برئاسة جميل المدفعي.

٣- عدم الموافقة على التحقيق في قتل بكر او تسليم المتهمين بقتله .

***

وصل المدفعي الى بغداد في صباح يوم ١٦ آب سنة ١٩٣٦. فوجد الجو مهيئاً لتشكيل وزارة برئاسته فحامية الموصل وعلى رأسها صديقه «امين العمري» تطمئن اليه وتفضيله على غيره من الرجال ، وحكمت سليمان يرتاح الى سياسته لأنه «لايميل الى العنف والانتقام» والملك غازي «يعتبره من اتباعه المخلصين لعرشه».. فلما حضر الى البلاط وقابل الملك ، ودرس الاثنان «خطورة الموقف وتأزم الاحوال» أمر الملك حكمت بتقديم استقالته من الحكم.

فقدمها يوم ١٧ آب سنة ١٩٣٧ واصدر الملك ارادته الملكية بتأليف وزارة برأسها «جميل المدفعي في يوم ١٧ آب سنة ١٩٣٧ الموافق شهر جمادي الآخرة سنة ١٣٥٦هـ.. على النحو الآتي:

١- السيد جميل المدفعي للرئاسة ووكالة وزارة الدفاع.

٢- السيد مصطفى العمري : وزيراً للداخلية.

٣- السيد عباس مهدي : وزيراً للعدلية ووكيلاً لوزارة الخارجية.

٤- جلال بابان : وزيراً للاقتصاد والمواصلات.

٥- محمد رضا الشبيبي : وزيراً للمعارف.

وفي يوم ١٩ آب اسند الى :

٦- السيد توفيق السويدي وزارة الخارجية.

٧- السيد ابراهيم كمال : وزارة المالية .

انهاء العصيان في الموصل

بعد ان تلقت حامية الموصل نبأ تشكيل الوزارة ، اصدرت «آمرية لواء الموصل» البيان التالي :

بناءاً على زوال الاسباب التي من شأنها اشتراك الجيش في السياسة ، فقد عادت الامور الى مجراها الطبيعي . وعليه فأعلن للجميع بأن الحالة اصبحت طبيعية وعلى احسن مايرام وقد عادت العلائق مع العاصمة ورفع الانذار عن وحدات الجيش المخلصة للعرش والمملكة .

١٨/٨/١٩٣٧

امير اللواء. امين العمري.

الفصل السادس
ازمات وزارية
خطاب المدفعي

في حفلة الاستيزار تكلم المدفعي مخاطباً رئيس التشريفات الملكية الذي سلمه كتاب الارادة الملكية وقال «بعد الاتكال على الله تعالى والاعتماد على ثقة مولاي صاحب الجلالة ومؤازرة الشعب. اخذنا على عاتقنا اعباء المسؤولية ، مستهدفين خدمة البلاد في ظروفها الحاضرة، وسنبذل بحوله تعالى قصارى الجهد لتمشية امور الدولة ضمن احكام الدستور ، واعادة الاحوال الى مجاريها الطبيعية واملنا في وطنية اخواننا كافة موظفي الدولة من ملكيين وعسكريين انهم يقدرون دقة الموقف وضرورة مضاعفة الجهود لتحقيق الغاية المتوخاة والله ولي التوفيق».

خيبة امل

كان الرأي العام في العراق وفي البلاد العربية يتوقع من وزارة المدفعي ان تقف موقفاً حازماً وجريئاً من رجال الانقلاب ، وتتخذ بحقهم اجراءات قانونية سريعة ومنتجة، وتفتح معهم تحقيقاً يشمل كل الجرائم الدستورية والقانونية والاعتداءات الفظيعة التي انصبت على ارواح المواطنين وحرياتهم كما تقوم بعملية تطهير واسعة في صفوف الجيش تشمل اولئك الذين عاونوا بكر صدقي وساعدوه وزجوا الجيش في السياسة. واقحموه في مجالات تخالف واجباته الوطنية ، ثم تنصف الذين نكبتهم وزارة الانقلاب وتعيد اليهم حقوقهم المشروعة وتعوضهم عن اضرارهم المادية والمعنوية كل حسب جسامة الضرر الذي اصابه بلا مبرر قانوني فينال المجرم عقابه وينال المحسن ثوابه وبذلك تستقيم الامور ويخدم الدستور بترسيخ هيبة الدولة ،تضاف حريات المواطنين ويسود البلد أمن واستقرار دائميين.

ولكن طبيعة المدفعي الهادئة وجنوحه للسلام والمهادنة وميله «للاعتدال والتسامح» ولو على حساب المصلحة العامة. فرض عليه انتهاج سياسة لاتطمئن رغبات الرأي العام، ولا تضمد جروحه العميقة ، ولا تخفف من آلامه الصارخة شيئاً. وقد شجعه على هذه السياسة وجود عناصر في وزارته كانت تؤيد الانقلاب وتعطف على رجاله وقد ساهمت معهم في تحمل المسؤولية امثال محمد رضا الشبيبي وزير المعارف وابراهيم كمال وزير المالية ، ومصطفى العمري وزير الداخلية.

سياسة اسدال الستار

تبنت وزارة المدفعي «سياسة اسدال الستار».. على جرائم الانقلاب وماضيه الاسود واصرت على عدم محاكمة «رجال الانقلاب» وتسترت على جرائمهم. وتركتهم احراراً يزاولون نشاطهم ويتمتعون بامتيازاتهم.. وابطأت الوزارة في اعادة الحرية الى زعماء الثورة العراقية الذين قذفتهم وزارة حكمت سليمان من سجون السليمانية ومعتقلاتها. كما اقتنعت بل تعمدت عدم انصاف الذين نكبهم الانقلاب في حياة ذويهم. كما نكبهم في حرياتهم واموالهم... ووقف المدفعي رئيس الوزراء في مجلس النواب يفاخر بهذه السياسة ويقول في معرض خطابه جواباً سئلوه عن قراره تجاه من اعتدى على الدستور. وزج الجيش في السياسة لاول مرة مايلي [كنت دائماً ارجو من الاخوان ان يسدلوا الستار على الاعمال التي جرت في الماضي وقلت ان هذا الماضي يجب ان يشمل الماضي القريب ، والماضي الذي هو ابعد منه ، وذلك خوفاً من حصول خصومة واصطدامات بين الاخوان. ليس فيها الا اظهار الاحقاد ، واثارة الضغائن في وقت نحن فيه بحاجة الى الاستقرار والهدوء والسكينة]...

وقد رد عليه العميد الركن طه الهاشمي «عضو مجلس النواب» قائلاً «انه يجب ان لا ننسى الماضي لان النفوس التي تعودت على الدس والدجل والتضليل والمؤامرات لا ترتدع عن غيها بل تراقب الفرص»... وكان الهاشمي يقصد في كلامه حكمت سليمان وحماقته من اولئك الذين قاموا بالانقلاب . وخرقوا احكام الدستور. وعبثوا بهيبة الدولة وحريات المواطنين.

المدفعي يهادن الكتلة القومية

احرزت الكتلة القومية بعد مصرع بكر صدقي مكاسب كثيرة ، فقد تنبه رجال السياسة الى قوتها ومكانتها المحترمة في الجيش فاخذوا يتوددون اليها ، ويتسابقون لارضائها ، كما ازداد اعضاء الكتلة عدداً وتماسكاً وارتفعت معنوياتهم وعظمت ثقتهم بأنفسهم. واراد المدفعي ان ينال ثقة هذه الكتلة ، فعين صلاح الدين الصباغ آمراً للقوة الجوية ثم نقله منها بناءً على طلبه الى وكالة رئيس اركان الجيش «ومدير الحركات العسكرية» وهي اهم واخطر دائرة في الجيش ، واستحدث بناءً على اقتراح الصباغ «القوة الآلية وتشمل المدرعات والدبابات» واسند آمريتها الى العقيد محمد فهمي سعيد . وعيّن العقيد كامل شبيب آمراً للواء الاول من الفرقة الأولى ومقره معسكر الرشيد. وعيّن اللواء امين العمري قائداً للفرقة الأولى ومركزها بغداد . كما عيّن «الفريق حسين فوزي» رئيساً لاركان الجيش وهو «عسكري محايد» لا يميل الى السياسة .

وفي الوقت نفسه حرص المدفعي ان يوازن بين الكتلة القومية وبين غيرها من الكتل فقرّب اليه جماعة من «أصحاب الرتب العالية» واسند اليهم مناصب حساسة ، واخذ يستشيرهم في قضايا الجيش الاساسية «ومن هؤلاء يوسف العزاوي ، ونظيف الشاوي ، ومحمود الشهواني ، وعبدالرزاق حسن ، وصفوت سعيد ، وامين خاكي ، وعبدالحميد الشالجي «مدير الشرطة العام» ، وبهاءالدين نوري . وبدأ التنافس بين الكتلة القومية وبين هؤلاء صريحاً وقوياً . وكانت وزارة المدفعي تزكي هذا التنافس وتشجعه بمختلف المناسبات لتضمن ولاء الجيش لها وخضوعه لسياستها ، وعدم قابليته على اسقاطها من الحكم يوماً من الايام...

انتخابات نيابية

حلّت الوزارة المدفعية المجلس النيابي الذي جمعه حكمت سليمان ، وامرت باجراء انتخابات جديدة يوم ١٨ كانون الاول سنة ١٩٣٧ . وقد تعمدت الوزارة ان يكون اعضاء هذا المجلس من انصارها ، ومن المقربين الى رئيس الوزراء او احد الوزراء ،

وابعدت بكافة الوسائل الشخصيات القومية التي لها ارتباط سياسي بياسين الهاشمي او بالكتلة القومية فجاء المجلس النيابي الجديد صورة صادقة لرغبات «الوزارة المدفعية» يؤيدها في كل مواقفها تأييداً اعمى ويشيد باعمالها في كافة المجالات . فاستاء المواطنون من هذه السياسة الحزبية «الضيقة» ... واخذوا ينتقدون المدفعي على هذه التصرفات الخاطئة. وقد تذمر «اقطاب الكتلة القومية» كما تذمر الرأي العام من نتائج الانتخابات ومن الروح الحاقدة التي وضعت اسسها.

العفو العام عن القائمين بقتل بكر صدقي وتمرد الموصل العسكري

اخذت وزارة المدفعي تماطل وتتلكأ في اصدار تشريع «يعفي القائمين بالتمرد العسكري في الموصل والمتآمرين على قتل بكر صدقي» من مسؤولياتهم القانونية التي ترتبت على اعمالهم.

وجرت اتصالات بين رؤساء الكتلة وبين المدفعي حول هذا الموضوع ، وحصلت حادثات فيها نوع من التهديد والوعيد ، فاضطر المدفعي بعدها ان يسرع في تقديم لائحة العفو العام الى المجلس النيابي ، وتمت الموافقة عليها يوم ١٦ مارت سنة ١٩٣٨[٦٨] وهذه الاسباب الموجبة لها «لما كانت الحركة التي قام بها قسم من ضباط الجيش المرابط في الموصل بتاريخ ١١ آب سنة ١٩٣٧، وما بعدها مبنية على مراعاة المصلحة العامة . وصدرت بحسن النية وذلك بتخليص البلاد من التصرفات الشاذة التي كانت تجري في عهد الحكومة السابقة ومن بعض المنتسبين لها في الجيش ، وجد من الضرورة اصدار قانون يتضمن «اعفاء الاشخاص القائمين بتلك الاعمال عن جميع الافعال الصادرة منهم»..[٦٩]

وهذا هو القانون :

المادة الاولى : يعفى جميع الاشخاص الذين قاموا بالحركة الوطنية المؤدية الى حوادث ١١ آب سنة ١٩٣٧، وما يليه من كافة التعقيبات والبعثات القانونية عن جميع الافعال الصادرة منهم مما لها مساس بالحركة المذكورة بصورة مباشرة او غير

---

(٦٨) راجع : محاضر جلسات مجلس النواب ، مارت سنة ١٩٣٨.

(٦٩) راجع : جريدة الوقائع العراقية لسنة ١٩٣٨.

مباشرة مهما كان نوعها. وكذلك يعفى الذين اشتركوا مع هؤلاء الاشخاص بأي كيفية كانت ، سواء كان ذلك قبل ١١ آب سنة ١٩٣٧ او بعده الى ٢٠ آب سنة ١٩٣٧ .

حفلة كبرى لتأبين الهاشمي

فكر القوميون المخلصون ورجال السياسة وقادة الفكر في اقامة «حفلة تأبينية» لزعيم العرب الراحل المغفور له ياسين الهاشمي.. وتألفت لجنة لهذا الغرض.. ووجهت رقاع الدعوة لتأبين فقيد العرب الكبير في بغداد يوم ١٨ شباط سنة ١٩٣٨. واستجابت المؤسسات القومية والاحزاب السياسية العربية والهيئات الوطنية ، واستجاب الادباء والشعراء والكتاب العرب الى هذه الدعوة وحضرت الوفود من كافة ارجاء الوطن العربي الى بغداد. وحضرت الوفود والمواكب من كافة انحاء العراق الى قاعة «سينما الملك غازي» في البتاويين وتبارى الشعراء. وتسابق الادباء ، واسرع زعماء الامة العربية وزعماء العراق يشيدون بمفاخر الراحل ، وبمواقفه الرائعة ، وتضحياته السامية من اجل عروبته وبلاده ويعيدون المآثر التي خطها الفقيد باحرف بارزة في صفحات الجهاد القومي.

وكان «التجمع الطلابي القومي» يقوم بمهمة الاشراف على الحفلة وتنظيم الامور داخل القاعة واطلاق الهتافات القومية ، ورفع الشعارات القومية .

وقد حضر الحفلة «اعضاء الوزارة المدفعية».. وزعماء الامة العربية ، وكبار الساسة في العراق، وكبار ضباط الجيش ، وقادة القوم ، ومثقفوهم وذوو الشأن فيهم. فكانت الحفلة «مظاهرة قومية كبرى » ضد الاستعمار والعملاء واعداء القومية العربية وقد هتف «التجمع الطلابي القومي»بالهتافات التالية:

«يسقط الاستعمار» «تحيى الامة العربية» «لتعش الوحدة العربية الكبرى» «نريد محاكمة العملاء» و «تسقط سياسة اسدال الستار» «يسقط اعداء الامة العربية» «امة واحدة من المحيط الى الخليج» «الموت للصهيونية والاستعمار» ..

وقد تألم المدفعي من بعض هذه الهتافات ، كما تألم السيدان توفيق السويدي ، وابراهيم كمال واعتبرا «شعار محاكمة العملاء». و«سقوط سياسة اسدال الستار» طعناً وتجريحاً بكرامة الرئيس والوزارة. وامروا بفتح تحقيق في هذا الموضوع واستدعت دائرة التحقيقات الجنائية الطالب حازم المفتي ممثل «التجمع الطلابي

القومي» ووجهت اليه اسئلة كثيرة. واعتبرت بعض الهتافات اموراً سياسية محظوراً على الطلاب التفوه بها. وبعد اخذ ورد ، تدخلت «شخصيات عربية» في هذا الامر. والتمست من الرئيس غلق التحقيق ، فكان لها ما ارادت وانتهت القضية عند هذا الحد.

معاهدة شط العرب

كانت وزارة حكمت سليمان قد ابرمت معاهدة جائرة بينها وبين ايران حول النزاع القائم على الحدود المشتركة «والملاحة في شط العرب».. وقد رأينا كيف فرطت حكومة حكمت-بكر صدقي بسيادة العراق وتنازلت عن حقوق كثيرة الى ايران ومنحت الحكومة الايرانية امتيازات في شط العرب لم يحلم بها المفاوض الايراني نفسه. وكان في نية الوزارة السيمانية ان تعرض المعاهدة على البرلمان العراقي لاقرارها بأسرع وقت ممكن، ولكن مصرع بكر صدقي وانهيار النظام الانقلاب من اساه حال دون ذلك، فلما استلم المدفعي الحكم قررت وزارته قبول مشروع المعاهدة . وعرضها على البرلمان لاكتسابها الصفة الشرعية. وحددت رؤيتها في جلسة مشتركة «من النواب والاعيان».

مظاهرات طلابية صاخبة

لم يكن في العراق زمن الحكومة المدفعية ، صحافة حرة تستطيع ان تناقش بنود المعاهدة وتظهر نقائضها. ولم يكن يومذاك احزاب سياسية في العراق ، تدافع عن حقوق العراق واستقلاله وسيادته ، فقد كانت حرية الاجتماع والرأي والكلام مقيدة الى ابعد حدود التقييد. وكانت الصحافة القائمة تسير في ركاب الحاكمين وتمجد اعمالهم وتشيد بسياستهم لانها صحافة مأجورة، تعيش على موائد الحكومة ومنحها السرية.

واما المجلس النيابي ، فاكثريته جاءت عن طريق التعيين وتزوير الانتخاب ، فهو يمثل رغبات الحكومة ومصالحها ، ولا يمثل رغبات شعب العراق ومصالحه. وتسعى هذا الاكثرية الى ارضاء اسيادها الوزراء والتملق لهم ، اكثر من سعيها الى مناقشة الوزراء ومحاسبتهم على اعمالهم. وهكذالم يبق في الافق السياسي الا قوة هائلة واحدة هي «قوة الطلاب وايمانهم بحق امتهم» فهي القوة التي صمدت في اكثر العهود امام الطغاة ولقنت الخونة دروساً مفيدة في الوطنية والتضحية والفداء.

وهكذا رأى «التجمع الطلابي القومي» ان يقوم بواجبه ويساهم في خدمة بلده في احلك دور تجتازه الامة . ويحمل لواء المعارضة الصاخبة ، على بنود المعاهدة الجائرة

ويبذل امكاناته الكبيرة في سبيل احباطها والقضاء عليها.

وبعد ان عقد «التجمع» اجتماعات سرية موسعة قرر تنفيذ الامور الآتية :

١- تخويل ممثل التجمع السيد حازم المفتي ، حق الاتصال بالسياسيين الوطنيين وكتلة الضباط القوميين «صلاح الدين ، محمد فهمي سعيد» لمعرفة آرائهم بهذه المعاهدة. وما هو موقفهم من وزارة المدفعي التي صممت على تصديقها.

٢- وخولت آخرين بمواجهة اساتذة القانون بأخذ صورة قانونية واضحة عن نقاط الضعف في المعاهدة . وبيان «الغبن الفادح» الذي لحق العراق بسببها ، قياساً على المعاهدات والاتفاقات والبروتوكولات السابقة التي تخص الموضوع.

٣- بعد ان تزود بهذه المعلومات يتوزع طلاب الحقوق الى مجموعات متعددة. تقوم كل واحدة منها باقناع «النواب والاعيان» باضرار المعاهدة وتحرضهم على رفضها حين عرضها على «مجلس الامة» في جلسته المقبلة.

وبعد ان تمت المحادثات والاتصالات بين هذه الجهات ، وتهيأ الجو المناسب للعمل الحاسم ، قرر «التجمع الطلابي القومي».. دعوة الطلاب الى مظاهرات كبيرة تستنكر «المعاهدة الظالمة»... واصدر بياناً حماسياً يدعو فيه الطلاب جميعاً الى عقد «اجتماع» في كلية الحقوق صباح يوم ٣ آذار سنة ١٩٣٨. للبحث في مصير العراق واستقلاله ، وسلامة حدوده وكيانه ..

وفي اليوم المعين ، تدفقت الجموع الطلابية من حدب وصوب، وانتصبت الشعارات الخفاقة وانطلقت الحناجر الغاضبة وتقدم الطلاب بكل حماس واباء . وكانت الشعارات والهتافات كما يلي :

«يسقط اعداء العراق» «شط العرب للعرب» «تسقط معاهدة شط العرب» «تحيى الامة العربية» « تحيا الوحدة العربية من المحيط الهادي الى الخليج الثائر» «يسقط الاستعمار الانكليزي في كل مكان» «الموت للاستعمار» «الموت للخونة والعملاء» .... الخ.

وامتلأت كلية الحقوق والساحات والشوارع بصقور الامة واشبالها الاحرار، تنتظر بفارغ الصبر ساعة العمل، واعتلى السيد حازم المفتي «منصة الخطابة» وحيا وطنية الطلاب البواسل ، ونقل اليهم عواطف الود والاعجاب واثار فيهم روح البطولة والفداء ، وطلب منهم السير الى مجلس الوزراء ومنه الى شارع الرشيد حتى نهايته ، احتجاجاً

وانكاراً لموقف الوزارة «الشائن» في حقوق العراق وكرامة العراق.. وتكلم السيدان قاسم حمودي وعبدالمحسن الدوري ، وتوالت الخطب والهتافات . وخرجت الجموع الغاضبة تتدفق كالسيول الهادرة تحطم الحواجز والسدود ، وتصدت لها قوة الشرطة المسلحة وقوات الامن ورجال «الشرطة الخيالة»... وحصل الاصطدام بين الطرفين وتساقطت «الضحايا» وسالت دماء الطلبة الاعزاء في الشوارع والمنعطفات. ولكن العزم الصارم والارادة الشجاعة تغلبت على حرس الوزارة وقواتها الغاشمة ، وشرطتها المأجورة . وسارت الآلاف المؤمنة من الطلاب المؤمنين الى «مجلس الوزراء ومجلس النواب» وهي تهتف بسقوط الخونة «واعداء الشعب»، ثم احتلت جموعهم الكثيفة الشوارع والساحات ، واستمرت مظاهراتهم بين الشدة والفتور. والمد والجزر ثلاثة ايام متواليات كانت فيها الخسائر كبيرة والهياج الوطني عظيماً لا يوصف..

واخيراً ، وبعد مراوغات كثيرة وخداع مهين ، قدمت وزارة المدفعي المعاهدة الى المجلس النيابي ليلة ٦ آذار سنة ١٩٣٨. فصدقها المجلس باكثرية ساحقة وخالفها «اقلية» من السادة هم «طه الهاشمي ، رستم حيدر ، ومحمد مهدي كبة ، وصادق البصام». واسدل الستار على هذه المأساة بسرعة فائقة.

تعديل وزاري

حدثت مناقشات شخصية بين السيد جلال بابان وزير الاقتصاد والمواصلات ، وبين السيد ابراهيم كمال وزير المالية واستقال وزير الاقتصاد والمواصلات بسببها. فاجرى رئيس الوزراء تعديلاً على وزاراته. تناول المناصب الوزارية التالية:

١- اسناد وزارة الدفاع الى السيد صبيح نجيب العزي.

٢- نقل السيد عباس مهدي من وزارة العدل الى منصب وزير الاقتصاد والاشغال .

٣- نقل السيد مصطفى العمري من منصب وزارة الداخلية الى وزارة العدل.

٤- احتفاظ المدفعي «بوكالة وزارة الداخلية» اضافة الى منصبه.

لقد احدث هذا التعديل ضجة كبيرة في اوساط الشعب العراقي، واضعف في الوقت نفسه التضامن الوزاري القائم بين الوزراء، فنقل العمري فجأة وبدون علمه الى منصب وزارة العدل اكدّ الشائعات المغرضة التي اذاعها عنه خصومه وخلقت لديه المأ

وامتعاضاً من سلوك رئيس الوزراء تجاهه، فاخذ يتربص بالوزارة ويخلق لها المصاعب والازمات ويتعاون مع خصومها من المعارضين السياسيين.

مرسوم منع الدعايات المضرة رقم ٤٤ لسنة ١٩٣٧

ارادت وزارة المدفعي ان تقيد حريات المواطنين ، وتحد من نشاط المعارضين السياسيين وتفرض حكمها على الشعب بالقوة والارهاب، فلجأت الى اصدار «مرسوم منع الدعايات المضرة» ، وهو مرسوم يناقض في روحه ومواده احكام الدستور، ويتنافى مع المبادئ الديموقراطية السليمة . وقد اعطى المرسوم الى مجلس الوزراء ، ووزير الداخلية سلطة «اعتقال الاشخاص ونفيهم خارج بلدهم الى بلد آخر داخل العراق» فقد نصت المادة التالية من هذا المرسوم على انه [لمجلس الوزراء اذا اقتنع بقيام اي شخص عراقي بدعاية مضرة بناءاً على تقرير يرفعه وزير الداخلية ويضمنه الاسباب المؤيدة لذلك ، ان يقرر لزوم اقامته في مكان معين او منعه من الاقامة في مكان معين او امكنة معينة داخل العراق لمدة لاتزيد عن ثلاث سنوات يكون الشخص من خلالها تحت مراقبة الشرطة]....

ونصت المادة الخامسة «يفصل الموظف التي تطبق عليه احكام هذا المرسوم ويكون لقرار الفصل عين الاثر المترتب على مقررات الفصل الصادرة من «مجلس الانضباط العام»..

وكان لصدور المرسوم بهذه الصيغ وهذه الروح رنة حزن والم في قلوب الاحرار والمثقفين من ابناء العراق ، فاخذوا يتساءلون في انديتهم وندواتهم عن مصير الحريات والممتلكات. والارواح في هذا البلد المنكوب.

امتياز نفط البصرة

مظاهرات الطلاب

اثبتت تحريات الخبراء والجيولوجيون ان روافد النفط الواقعة في ايران والعراق انما تنبع من عيون تقع في «منطقة باكو» التابعة للاتحاد السوفييتي، وقد اعطيت امتيازات البحث والتنقيب عن آبار البترول ومنابعه في الموصل وكركوك الى ثلاث شركات اجنبية هي :

١- شركة استثمار النفط الانكليزية-الفارسية المحدودة.
٢- شركة النفط التركية المحدودة.
٣- شركة استثمار النفط البريطانية المحدودة.

واما امتياز البحث واستخراجه من «المنطقة الجنوبية» ومنها منطقة البصرة فقد اعطي الى «شركة نفط البصرة البريطانية». وذلك بفضل الجهود الكبيرة التي بذلها مدير الشركة «المستر جون سكليروس» ، لدى المدفعي وزملاءه من الوزراء وخاصة صديقه السيد «ابراهيم كمال»... وكانت شروط «االمتياز» في صالح الشركات الاجنبية كلياً وكان فيها الغبن الاجحاف لصالح العراق واضحين لانها وضعت اهم موارد العراق بيد الاستعمار والاستغلال الاجنبي لقاء موارد وعائدات ضئيلة لاتقاس بالارباح الطائلة التي تتدفق على الشركات كل عام... وكان اكثر الوزراء حماساً لاتفاقية النفط الجديدة هو السيد ابراهيم كمال، فقد دافع عنها في مجلس الوزراء وفي ندواته الخاصة، وتهيأ للدفاع عنها حين عرضها على مجلس الامة. ولم يكن في وسع الرأي العام ، ولا رجال السياسة، ان يكشفوا او يقاوموا هذا التلاعب الكبير في مقدرات البلاد وثرواتها الفنية لان حرية الاجتماع والكلام مقيدة، وسيف الرقابة مسلط على الرؤوس وجهاز الامن يحصي على المواطنين همساتهم وانفاسهم .

ولم يبق في ساحة المعركة الوطنية إلا الطلاب ، فهم جنود الامة البواسل ، وهم حماة البلاد الامناء وقرر «التجمع الطلابي القومي» ان يتحدى المسؤولين. ويفضح اعمالهم ويدافع عن ثروات الامة وحقوق العراق، ودعي الطلاب الى تنظيم المظاهرات وتقديم الاحتجاجات «ضد السياسة النفطية الخاسرة» ودعى المواطنين في بغداد الى الاضراب العام.. استنكاراً «لاتفاقية النفط الجائرة».

وتدفقت مواكب الطلاب من كل مكان ، واحتشدت الجموع الفقيرة في شارع الرشيد وسارت «الكليات والثانويات والمتوسطات» حاملة شعاراتها الوطنية. وهي «تعلن سخطها على الحاكمين» . وتهتف بسقوط «الاستعمار البريطاني». و«سقوط العملاء» و «سقوط الامتيازات والمعاهدات» وشهدت بغداد يوماً عابساً مكفهراً ينذر بالعواصف والاحداث . وقد واجهت الوزارة هذا الهياج باساليب زجرية رادعة... وقدمت «الاتفاقية المشؤومة» الى المجلس النيابي يوم السبت المصادف الثاني عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٣٨ فصدقها مؤيدو «الوزارة» على الاصول. بمخالفها السادة

«عبدالمهدي ، ومحمود رامز ، ورستم حيدر ، وطه الهاشمي ، ومهدي كبة ، وصادق البصام».

حماقة وزير الدفاع

تصور المدفعي ان نجيب العزي يتحلى بكفاءات عسكرية عالية ، وحزم صارم ، فهو خير من ان يصلح لترويض الجيش على الطاعة وابعاده عن السياسة، ولكن العزي وزير الدفاع خيب تصورات المدفعي وآماله في هذا الخصوص ، وارتكب هفوات كبيرة عجلت في اسقاط الوزارة المدفعية ، ومن هذه الهفوات :

١- اظهار عدائه لكتلة «الضباط القوميين» واصطدم مع السادة صلاح الدين الصباغ وكامل شبيب ومحمدفهمي سعيد. وهددهم باقصائهم عن الجيش واحالتهم على التقاعد. كما اصطدم برئيس اركان الجيش الفريق «حسين فوزي» وعامله بخشونة وتصرف معه تصرفات صبيانية لا تليق «بكرامة رئيس الاركان»..

٢- قرر ان يطبق توصيات «البعثة الاستشارية البريطانية» ومنها اعطاء الضباط الانكليز صلاحيات واسعة وامتيازات كثيرة تتنافى مع تقاليد الجيش العراقي وطبيعة تكوينه. واصبح «لرئيس البعثة» «مفتش الجيش الانكليزي» حق الاشراف والتوجيه على شؤون الجيش ومقدراته.

وكان العزي يؤكد للمدفعي ويبرهن له على ان الجيش اصبح عاجزاً عن ممارسة السياسة والتدخل في شؤون البلاد. وان الكتلة القومية فقدت نفوذها وانصارها فهي في وضع لا تستطيع ان تؤثر في مجال وحداث الجيش وقياداته.

ان هذه الاوهام والتصورات الخاطئة وتلك السياسة التي انتهجها العزي في صفوف الجيش اثارت غضب المخلصين من ابنائه. وحفزت قادة «الكتلة القومية» على مقاومتها واحباط مفعولها باسرع وقت ممكن. لان نجاحها يعتبر «تصفية حقيقية للروح الوطنية والقومية التي حرص الجيش على تقويتها والاعتزاز بها كما تعتبر خطوة الانكليز مجدداً في شؤون الجيش واموره.

المعارضون لوزارة المدفعي

قويت المعارضة واشتد ساعدها ، سددت حملاتها المنظمة الى حكومة المدفعي واخذت تنتقد سياستها التي اتسمت بالضعف والتخاذل امام الانكليز، وندد المعارضون

وانتقدوا موقف الوزارة من الحريات الدستورية، «وامتيازات النفط» .. وكان في مقدمة هذه المعارضة :

١- كتلة الضباط القوميين. ٢- التجمع الطلابي القومي. ٣- السادة رشيد عالي الكيلاني ، ونوري السعيد ، وطه الهاشمي ، ويونس السبعاوي ، وصادق البصام ، ورستم حيدر ، وداؤد السعدي ، وعلي محمود ، وطالب مشتاق .. وغيرهم من المحامين المثقفين.

الوزارة تقتل خصومها

اراد المدفعي بتحريض من وزير المالية ابراهيم كمال وصبيح العزي وزير الدفاع ، ان يقضي على المعارضة السياسية وتشتيت قواها قبل ان تقوم بعمل مباغت يؤدي الى سقوط الوزارة.

فاستصدر ارادة ملكية بتعطيل دورة المجلس النيابي لمدة شهر واحد ، كي يتخلص من نقد بعض النواب ولومهم، وبعد ذلك وفي يوم ١٩٣٨/١٢/١١ قرر مجلس الوزراء اعتقال ونفي السياسيين الآتي ذكرهم الى الاماكن المقررة لهم وهم :

١- السيد رشيد عالي الكيلاني «عنة»
٢- المحامي علي محمود الشيخ علي «بدرة»
٣- داؤد السعدي «حلبجة»
٤- جميل عبدالوهاب المحامي «علي الغربي».
٥- عبدالقادر السياب «كويسنجق»
٦- طالب مشتاق المحامي «قلعة صالح»
٧- المحامي عبدالوهاب محمود «تللعفر»
٨- فائق السامرائي المحامي «زاخو»
٩- المحامي يونس السبعاوي «موقف السراي»
١٠- السيد جمال المفتي «اقامة اجبارية في داره في الموصل»
١١- المحامي عبدالرحمن خضير «موقف شرطة السراي»

مغامرة فاشلة

بعد ان حقق المدفعي هدفه ، واعتقل رؤوس المعارضة السياسية ، جمع مجلس وزرائه واسر اليهم امراً خطيراً، وفاتحهم في عزمه على اعتقال الضباط القوميين صلاح الدين الصباغ، ومحمد فهمي سعيد ، وكامل شبيب ومحمود سلمان و سعيد يحيى ، وذلك بتطبيق «مرسوم منع الدعايات المضرة» عليهم. باعتبارهم اشخاصاً خطرين على الامن والنظام العام... وانصرف الوزراء على ان يجتمعوا قريباً لتحديد «ساعة التنفيذ» بعد ان يتخذ وزير الدفاع الاجراءات المساعدة على نجاح العملية .

***

كان العمري وزير العدلية يكره زميليه ابراهيم كمال ، وصبيح نجيب العربي، نهما اللذان افسدا عليه رئيس الوزراء، واوغرا صدره ، فنقله من وزارة الداخلية الى وزارة العدل بلا موافقته، وهما اللذان سيطرا على ارادة المدفعي وتسلطا عليه في اكثر اموره فانقاد اليهم راضياً مسروراً. فقرر ان يعمل على اضعافهم جميعاً واسقاط الوزارة اذا اقتضى الامر. فاتصل بصديقه «العقيد سعيد يحيى» واخبره «بقرار مجلس الوزراء» وبعزم «الرئيس وزميليه ابراهيم كمال وصبيح نجيب» على اعتقالهم والتخلص من نفوذهم .

انقلاب جوي صاعق

كان تذمر الجيش من سياسة المدفعي وتفريطه بحقوق البلاد وكرامتها. قد بلغ الذروة وخاصة بعد ابرام «معاهدة شط العرب وامتياز نفط البصرة». وكانت الكتلة القومية تتحين الفرصة لانقاذ البلاد من وزارة المدفعي .. فلما نقل اليهم زميلهم العقيد سعيد يحيى ما افضى به اليه مصطفى العمري «وزير العدلية» عن عزم المدفعي وجماعته من الوزراء على اقصاء هذه الكتلة من الجيش والقضاء على رؤوسها.

«احتج العقداء صلاح الدين الصباغ ، ومحمد فهمي سعيد ، وكامل شبيب ، ومحمود سلمان وسعيد يحيى في غرفة السيد صلاح الدين «مدير الحركات في وزارة الدفاع» صباح اليوم الرابع والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٩٣٨ وقرروا اسقاط

الوزارة فوراً وبصورة مستعجلة قبل ان يتمكن المدفعي من تنفيذ خططه بحقهم.[٧٠]

الجيش يطلب اقالة المدفعي

كان جميل المدفعي ووزير دفاعه يقضيان ساعة فراغهم في دار صديقهم «السيد عبدالله الصافي» عضو مجلس الاعيان... فلما ازفت الساعة السابعة مساءاً دخل عليهم «العقيد عزيز ياملكي» وابلغهم «انذار الجيش بوجوب استقالة الوزارة من الحكم» وتحمل جميع المسؤوليات التي تنشأ عن تأخرهم في تقديم هذه الاستقالة «لأن الجيش في حالة انذار كامل» وانه سيقوم بواجباته الوطنية اذا لزم الامر.. فالتفت السيد جميل المدفعي الى وزير دفاعه السيد صبيح نجيب ، وسئل منه هل ان الجيش «في حالة الانذار» فانكر الوزير ذلك، وسأل المدفعي العقيد عزيز ياملكي هل ان الضباط نظيف الشاوي ، ويوسف العزاوي وصفوة سعيد ، وسعيد التكريتي وحميد الشالجي «وهم كتلة المدفعي» على علم بهذا الانذار فاجابه العقيد ياملكي ان هؤلاء الذين ذكرتهم يتسامرون في النادي ولا علم لهم بحركة الجيش ومطاليبه وانذاره ، فاجابه المدفعي «انني ساستقيل من الوزارة»... وترك العقيد ياملكي دار عبدالله الصافي واتجه الى دار الفريق حسين فوزي رئيس الاركان وشرح له حقيقة الموقف وطلب منه ان يذهب الى معسكر الرشيد ليؤيد اخوانه القوميين ويقف في صفهم ضد «المدفعي».. فوافق الفريق على هذا الطلب ، وقصد معسكر الرشيد فاستقبله العقداء بالاكرام والترحيب وشكلوا جبهة واحدة قوية.

---

(٧٠) كانت «القوة الآلية» من اهم القطعات العسكرية ضبطاً ووطنية. وكان العقيد فهمي ينتقي ضباطها ويعتني بتدريبهم وتلقينهم «المبادئ القومية» . وقد ربطت بين الضباط وآمرهم روح سامية واخلاص متين ، ومن هؤلاء الضباط ١-عبدالقادر عباس. ٢-رشيد فليح. ٣-صالح فوزي. ٤-خيرالله طلفاح. ٥-عبدالوهاب الحاج لطيف العزاوي. ٦-خيري خورشيد. ٧-جياد مرزوك العواد. ٨-مدلول عباس. ٩-حمود برجس السعدون. ١٠-صالح زكي الطائي. ١١-حسين فرحان العاني. ١٢-احمد حسن البكر. ١٣-عبدالسلام محمد عارف. ١٤-مطر حافظ. ١٥-فارس ناصر الحسن. ١٦-هندي صالح. ١٧-احمد الخوجة. ١٨-فخري المفتي. ١٩-حميد الصفار. ٢٠-حميد عبدالرحمن. ٢١-فائق الآلوسي. ٢١-خيرالله حسين. ٢٢-ابراهيم العزاوي.

دعوة مجلس الوزراء

دعى المدفعي وزراءه في غسق الليل ، وبحث معهم خطورة الموقف، وطلب منهم ان يدلوه على اصوب السبل للخروج من هذا المأزق الخطر... فكان رأي ابراهيم كمال وزير المالية ، وصبيح نجيب وزير الدفاع ان حركة الجيش حركة هدامة ويجب القضاء عليها بالقوة.. ورأى الآخرون انه يجب الانسحاب من الحكم حقناً للدماء.

وحاول المدفعي ان يقنع العقداء الخمسة بالعدول عن تمردهم والرجوع الى دورهم وانه سينفذ «مطاليبهم» فارسل اليهم «السيد مولود مخلص» رئيس مجلس النواب يحمل اليهم رغبات المدفعي ووعوده. واخذ السيد مولود ينصح العقداء ويستهجن عملهم ، ويحبب اليهم بقاء المدفعي لانه رجل مخلص لبلاده، فردوا عليه بخشونة وقسوة ورفضوا طلباته. فأنسحب من المعسكر، وحمل الى المدفعي «اراء العقداء وتصممهم على القتال حتى يستجيب المدفعي الى طلبات الجيش. ومنها «الاستقالة من الحكم» فالتجأ المدفعي الى الملك ليتدخل في الموضوع «ويحسم النزاع القائم بينه ربين العقداء» وافهم الملك. ان يداً شيوعية تعبث بالجيش وتقوده الى هذه «التحركات».. فاتصل الملك هاتفياً بمعسكر الرشيد وطلب رئيس الوزراء وسئل منه هل «ان في الجيش حركة شيوعية»؟؟! فانكر رئيس الاركان هذه التهمة ، وقال ان الجيش مخلص للعرش ولايريد وزارة المدفعي. وإن الجيش يريد وزارة يرأسها احد اثنين «طه الهاشمي» او «نوري السعيد»... وانتهت المكالمة على هذا القدر.

واراد الملك غازي ان يقف على جلية الامر ، فأوفد «رئيس الديوان الملكي» رشيد الخوجة الى معسكر الرشيد. فلما وصل هذا الى المعسكر ، وتناقش مع «رئيس الاركان والعقداء الخمسة» واطلع على آرائهم وتوثق من عزمهم على «اقالة المدفعي بالقوة» عاد الى قصر الزهور. واحاط الملك علماً بما سمع ورأى وانه لا امل في «استمرار المدفعي بالحكم».. فاوعز الملك الى المدفعي ان يستقيل ، فقدم استقالته حالاً يوم ٢٤ كانون الاول سنة ١٩٣٨ وهذا نصها :

«سيدي صاحب الجلالة»

بالنظر لما اقتضته مصلحة البلاد ، ارفع استقالتي لجلالتكم راجياً قبولها ،

والله اسئل ان يوفق جلالتكم ، لخدمة الامة والوطن

العبد المطيع. جميل المدفعي

«الوزارة السعيدية الثالثة»

استدعى الملك غازي السيد نوري السعيد ، وكلفه بتشكيل الوزارة فاعتذر السعيد عن هذا التكليف لاسباب اهمها انه لايريد ان يأتي الى الحكم عن طريق «الانقلاب العسكري».. ولكن الامير زيد عَم الملك ، والسيد محمد الصدر رئيس مجلس الاعيان اقنعا السعيد بأن التكليف بالوزارة جاء بامر ملك يتمتع بصلاحياته الدستورية . فقبل السعيد هذا التكليف وشكل وزارته على النمط التالي :

١- نوري السعيد . رئيساً للوزراء ، ووكيلاً لوزير الخارجية.
٢- طه الهاشمي وزيراً للدفاع.
٣- ناجي شوكت وزيراً للداخلية .
٤- عمر نظمي وزيراً للاشغال والمواصلات.
٥- رستم حيدر وزيراً للمالية .
٦- محمود صبحي وزيراً للعدلية .
٧- صالح جبر وزيراً للمعارف.

***

استلمت وزارة السعيد الحكم بعد ان اصّر الضباط القوميون على تنحية الوزارة المدفعية ، وهكذا اذعن الملك غازي الى طلباتهم وحاول ترضيتهم. وتمت مراسيم «تعيين الوزراء» وابتدأ نوري السعيد يستقبل المشاكل والازمات بصدر رحب وحذر شديد

ويقظة واعية. وكان وهو يمارس اعمال السلطة يشعر في قرارة نفسه انه مدين بمنصبه وسلامته الى «الضباط القوميين» . فهم الذين رفعوه الى ذروة الحكم بعد ان كان مشرداً خارج وطنه ، ومطارداً من قبل الوزارة المدفعية بعد رجوعه الى بلده ، وكذلك كان زميله طه الهاشمي يشاطره عين الشعور والاحساس . فلولا كتلة «العقداء» لما استطاع الرجلان ان يعودا الى العراق وينعمان بالامن والحرية . ثم يستلمان الحكم ، بعد ان حرمهما بكر صدقي من كل شيئ ، وكذلك فعل المدفعي اثناء وزارته.

قرارات مهمة

وفي يوم ٢٦ كانون الاول سنة ١٩٣٨م. اجتمع مجلس الوزراء وقرر :

١- الافراج عن الصحف السياسية التي عطلتها وزارة حكمت سليمان ووزارة جميل المدفعي .

٢- استصدر ارداة ملكية باعفاء المناضل عبدالغفور البدري صاحب جريدة الاستقلال عما تبقى من مدة محكوميته. وكان البدري من القوميين الذين عارضوا وزارة المدفعي وطعن في نزاهة بعض وزرائها.

٣- اصدر المجلس عفواً عن المبعدين السياسيين الذين «نفتهم وزارة المدفعي» خارج بلدهم. وسمح لهم بالعودة الى محل اقامتهم. وكذلك افرج المجلس عن المحامين والشخصيات الوطنية الموقوفين على ذمة التحقيق.

احالة عدد من الضباط على التقاعد

كما قرر وزير الدفاع احالة كل من اللواء نظيف الشاوي ، واللواء يوسف العزاوي والزعماء بهاء الدين نوري وابراهيم حلف وسعيد التكريتي ، على التقاعد لانهم آزروا جميل المدفعي وتحزبوا له. وقد تزعم هؤلاء كتلة من الضباط كانت تعادي «الضباط القوميين» وتحرض جميل المدفعي وصبيح نجيب وزير الدفاع ، على اقصائهم من مناصبهم ومن ثم اعتقالهم ، لانهم حسب رأيهم «زمرة ضالة تحمل افكاراً هدامة».

اعتراف بالجميل

بعد شهر من حكم السعيد وفي شباط سنة ١٩٣٩. طلب العقداء «صلاح الدين ومحمد فهمي سعيد وكامل شبيب. ومحمود سلمان ، وسعيد يحيى» مواجهة رئيس الوزراء في داره وبحضور طه الهاشمي. وتمت المقابلة في جو هادئ من الود والتفاهم. وبعد مقدمات طويلة. واستعراض عام لاحوال البلاد السياسية والامنية ، تطرق العقداء الى ذكر «المحن والكوارث» التي تعرض لها العراق ايام بكر صدقي وجميل المدفعي،

والى عجز رجال السياسة عموماً عن تلافي هذه الكوارث او الصمود لها، وانهم اثناء الازمات الشديدة يهربون في الميدان، ويتركون المسؤوليات على عاتق رجال الجيش ليتحملوا المخاطر والاوزار والتضحيات، فإذا زالت الشدة وانكشفت والازمات رجعوا الى الساحة يتنافسون ويتصارعون على المغانم والمكاسب، وهكذا تتكرر الازمات.. وفي كل الاحوال «يكون الجيش هو الضحية». والسياسيون هم «الرابحون» ولسان حالهم يقول «اذا مت فليكن من بعدي الطوفان» ولهذا فهم بدافع من وطنيتهم ومن حرصهم على سلامة البلاد وسلامة الجيش يقترحون على رئيس الوزراء المقترحات التالية:

١- يجب ان يؤخذ رأي «الضباط القوميين» في كل ما يخص شؤون الجيش الحيوية من تنظيم وتسليح وتعيين واحالة على التقاعد.

٢- ان تستشير الوزارة «القيادة العسكرية» في شؤون البلاد السياسية العليا وتستنير بآراء القيادة في تنظيم علاقات العراق مع الدول الاجنبية وخاصة حليفته «بريطانيا العظمى» وجاراته من الدول الاخرى «الشقيقة والصديقة» وقد رحّب رئيس الوزراء بهذه الاقتراحات وقال ان من واجب المسؤولين ان يشركوا قادة الجيش في «شؤون البلاد العليا» . وانه سيلتزم باقتراحهم ويعمل على تنفيذها في كل المناسبات الخطيرة. وانهى كلامه شاكراً مواقف القادة واياديهم البيضاء وما قدموا له وللبلاد من خدمات جليلة وإنه والاخ طه الهاشمي «يعترفان بالجميل»، ويقدران كل التقدير «وطنية القادة ونبلهم». وانفض الاجتماع وقد «امتلأت قلوب الجميع تفاؤلاً وبهجة».

السفير الانكليزي السير بازل نيوتن

حل السفير بازل نيوتن محل سلفه «باترسن» وقد اراد ان يظهر امام العراقيين بمظهر «السفير المهيب الصارم». وكان ممتعضاً ومتألماً من سلوك الملك غازي ومن «روحه الوطنية الثائرة»، واراد ان يضع حداً لسياسته التي عكرت صفو بريطانيا واقضت مضجع حلفائها في المنطقة. وقد علم ان الملك غازي والحكومة العراقية يشجعان «اعمال التحرر والعنف في فلسطين وسوريا» ايضاً ، فطلب مواجهة وكيل الوزراء السيد ناجي شوكت «لان رئيس الوزراء كان غائباً عن العراق» يومذاك. وتمت المقابلة بحضور «الكابتن هولت مستشار السفارة» وقد بدا السفير متجهم الوجه ، حاد النظرات

راستهل كلامه بأن العلاقات العراقية-البريطانية لا تدعو الى الارتياح وان سوء التفاهم رتخطي احكام المعاهدة العراقية البريطانية اصبح واضحاً للعيان وانه جاء ليحتج وليلفت نظر الحكومة العراقية الى الامور التالية ويرجو وضع حد لها وهي :

١- محطة قصر الزهور التي تهاجم بريطانيا في كل يوم .

٢- نشاط المفوضية الالمانية وجواسيس الالمان الذين يبثون الدعاية السيئة ضد بريطانيا بين افراد الشعب العراقي.

٣- اعتزام الملك غازي على احتلال الكويت.

٤- ارسال الاسلحة والاموال الى الثوار في فلسطين بسيارات حكومية[٧١].

٥- مهاجمة الصحف العراقية للحكومة البريطانية بلا هوادة.

وقد رد عليه وكيل الوزراء ردوداً لم تكن مرضية للسفير او الحكومة البريطانية واجابه السفير بانه ينتظر عودة رئيس الوزراء من لندن ليبحث معه المشاكل القائمة بشكل اوسع واعمق، وخرج وهو متوتر الاعصاب ، منقبض الصدر .

تعيين رشيد عالي وزيراً للبلاط

«الكيلاني» من اكثر السياسين نشاطاً ، واقدرهم على نسج المؤامرات وافتعال الازمات.وكان بحكم بيئته وطباعه شغوفاً بحب السلطة ، جريئاً في نوالها ، فهو مغامر نذ ومناور باسل لا يتورع عن اقتحام الاخطار والعقبات. وعلى الرغم من ثقافته القانونية الواسعة وتوقد ذكائه ، فإنه لا يحجم عن خرق القانون، وتأويل احكامه لمصلحته الشخصية او لمصلحة حزبه.

اعتقلته الوزارة المدفعية ونفته الى «عانة» فتحمل كثيراً من الاذى والآلام وقد ساءت صحته وهو في «المنفى»... فلما سقطت وزارة المدفعي بحراب الجيش ، واسندت الوزارة الى نوري السعيد ، اعتقد الكيلاني ان منصباً وزارياً سيعهد اليه في العهد الجديد. ولكن آماله تحطمت على ضوء الواقع المرير واغفل السعيد اسمه ، وابعده من

---

(٧١) كانت الكتلة القومية في الجيش العراقي بالتعاون مع بعض اعوانها من ضباط الشرطة تزود الثوار الفلسطنيين بأسلحة من مستودعات الجيش وتوصلها اليهم محمولة على سيارات «تعود لقواة الشرطة العراقية» وكان الدكتور امين رويحة وهو وطني سوري لاجئ الى العراق يقوم كضابط ارتباط بين الثوار الفلسطينيين «والكتلة القومية»....

قائمة الوزراء» فعاد من «منفاه» وهو يكظم غيظه ، ويخفي حقداً دفيناً ارهف شعوره، ونفى النوم عن عينيه ، ولم يسكت على هذا التحدي ، بل اخذ يتحرك كعادته وبدأ يؤلب الخصوم على الوزارة السعيدية وينتقد اعمالها انتقاداً لاذعاً في مجالسه وندواته ، فلما علم ناجي شوكت بهواجسه وخفايا نفسه، اراد ان يستميله الى جانب الوزارة، واستغل غياب نوري السعيد رئيس الوزراء عن بغداد فاصدر يوم ٢٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٩ ارادة ملكية بتعيينه «رئيساً للديوان الملكي» وسكرتيراً خاصاً بالملك، فارتاح الكيلاني لهذا التعيين وانشرح صدره، وداوم في منصبه وهو قرير العين هادئ البال ، وتخلصت الوزارة من خصم لدود لجوج .

حل المجلس النيابي

واجهت الوزارة برئاسة وكيل رئيس الوزراء ناجي شوكت المجلس النيابي لاول مرة من بدء تشكيلها . وكانت اكثرية هذا المجلس تؤيد «المدفعي» فهو الذي جاء بها اثناء وزارته. وافتتح رئيس المجلس الجلسة بكلام موجز. وأذن للنائب داؤد السعدي بالكلام . وكان السعدي احد الشخصيات التي ابعدتها وزارة المدفعي عن بغداد ، فهاجم الوزارة المستقيلة ، واتهمها بانها خالفت احكام الدستور وخرقت القوانين ، وعبثت بحريات المواطنين ، واصدرت مرسوم الدعايات المضرة، وهو مخالف للدستور، ونفذته بحق رجال ابرياء من كبار «القانونيين والوطنيين». فانبرى للرد عليه «ابراهيم كمال» وزير المالية في وزارة المدفعي وفند اقواله، وحمل على الوزارة السعيدية الجديدة حملة شعواء. وساد الهرج والمرج في المجلس ، واضطر الرئيس الى تأجيل الجلسة لموعد آخر.

واخذ «الاعضاء والمؤيدون للمدفعي يستعدون للجلسة المقبلة وقد اتفقوا على «سحب الثقة من الوزارة» لانها جاءت عن طريق غير مشروع ، فلما علم «وكيل رئيس الوزراء بهذه المؤامرة» تقدم الى الملك «باقتراح حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة لاستطلاع رأي الشعب العراقي في مشاكله القائمة».. فوافق الملك على هذا الاقتراح واصدر ارادته الملكية بتاريخ ٢٢ شباط سنة ١٩٣٩م بحل المجلس واجراء انتخابات حرة لمجلس جديد».. وهكذا تغلبت الوزارة السعيدية على خصومها ، وتفادت ازمة دستورية خطيرة.

عودة رئيس الوزراء

انفض مؤتمر «المائدة المستديرة» التي دعت الى عقده الحكومة البريطانية للبحث في «المشكلة الفلسطينية» وقد عجزت الحكومة البريطانية عن التوفيق بين مطاليب «العرب المشروعة» وبين «دعاوى الصهيونيين الباطلة».

وكانت الجبهة الفلسطينية المتطرفة بزعامة «مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني» «تريد تشكيل دولة عربية ديموقراطية مستقلة في فلسطين» وتطلب عدم الاعتراف بوعد بلفور. وايقاف الهجرة اليهودية كلياً، واما اليهود فأنهم يريدون استمرار الهجرة وعدم تقييدها، وتطبيق وعد «بلفور» واعتبار فلسطين وطناً قومياً لليهود، واما الحكومة البريطانية فقد وعدت باصدار «الكتاب الابيض» الذي يتضمن «تشكيل حكومة ديموقراطية مستقلة في فلسطين» ترتبط بمعاهدة صداقة وتحالف مع الحكومة البريطانية على ان يمثل اليهود في المجلس النيابي والحكومة بنسبة عدد نفوسهم «وتخدم حقوقهم الدينية» .

وصدر الكتاب وهو يتضمن «هذا الحل» للمشكلة الفلسطينية ، فرفضته الزعامة الفلسطينية رفضاً قاطعاً، ورفضه اليهود من جانبهم ايضاً... وعاد نوري السعيد رئيس الوزراء الى بغداد يوم ٢٨ شباط سنة ١٩٣٩ وهو مثقل بالهموم والوساوس بعد ان فشل بدور الوساطة بين العرب والحكومة البريطانية.

مؤامرة اغتيال الوزراء وكبار الضباط

علمت سلطات الامن واجهزة الاستخبارات في الجيش ان مؤامرة كبيرة واسعة النطاق دبرها حكمت سليمان من الضباط المتقاعدين تستهدف قتل رئيس الوزراء واركان وزارته ،والضباط القوميين وآخرين من كبار الضباغط بلغوا «المائتين عدداً» فلقد اتفق احد المتآمرين من جماعة حكمت سليمان المدعو «حلمي عبدالكريم» مع الامير عبدالاله بن الملك علي «لتوجيه الى المدعوين المقصودين بطاقة لتناول العشاء في قصره».. وهنالك ينقض المتآمرون على المدعوين فيبددوهم عن بكرة ابيهم. ويزحف

حكمت سليمان مع جماعة من المسلحين الى مقر «رئاسة الوزراء» ويذيع بيان استلامه للسلطة. وبعد فترة وعندما تتوحد سلطته يقتل الملك غازي وينصب محله عبدالاله ملكاً على عرش العراق   هذه خلاصة المؤامرة، وهذا مضمونها...

فلما تأكد المسؤولون من «صحة الاخبار» ووضعت اجهزة الاستخبارات يدها على الادلة التي تدين المتآمرين اجتمع مجلس الوزراء يوم ٥ آذار سنة ١٩٣٩. وقرر اعلان الاحكام العرفية في مدينة بغداد وما جاورها. وفي يوم ٦ آذار اذاعت الحكومة بياناً مفصلاً «عن اكتشاف المؤامرة» والاسباب التي دعت الحكومة الى اعلان الاحكام العرفية.

المجلس العرفي العسكري

وقد صدرت الارادة الملكية بتشكيل مجلس عرفي لمحاكمة المتآمرين يتألف من: العقيد عبدالعزيز ياملكي رئيساً والمقدمين سعيد يحيى الخياط، ومحمود حلمي ومن الحاكمين عبدالعزيز الخياط ومعروف جياوك.

واحيل الى المجلس العرفي حكمت سليمان وبقية المتهمين من جماعته. وجرت محاكمتهم وفق قانون «العقوبات البغدادي» «وقانون اصول المرافعات الجزائية». وبعد جلسات عديدة، ومناقشات صاخبة. اصدر المجلس حكمه بالاعدام شنقاً حتى الموت على المجرم حكمت سليمان، وبعقوبات اخرى تتراوح بين السجن المؤقت والمؤبد على بقية الشركاء، وافرج عن الآخرين لعدم توفر الادلة ضدهم. وأما حلمي عبدالكريم «قاعدة المؤامرة» فقد حكم عليه بعقوبة الاعدام ايضاً...

ازمة وزارية عنيفة

كان الحكم بالاعدام على جماعة بينهم «رئيس وزراء سابق» صدمة عنيفة لاكثر السياسيين المحترمين فحشدوا قواهم، واستنفروا اعوانهم لتبديل هذه العقوبة او تخفيفها. وقد لعبت المصاهرات العائلية والمصالح الشخصية والاهواء الحزبية دوراً كبيراً في الموضوع وانعكست هذه المؤثرات على الرأي العام فاصبح حديث المؤآمرة والعقوبات على كل لسان وفي كل مكان، وانتقل البحث عن الحكم واسبابه وادلته الى مجلس الوزراء. وجرت المناقشات حوله في جو من الانفعال والتوتر والغضب.

وانشطر الوزراء الى فريقين، فريق الاكثرية وعلى رأسه نوري السعيد يرى ان

الحكم عادل، وان الادلة والاسباب كافية لادانة المجرمين.

ويرى فريق الاقلية وهم ناجي شوكت وزير الداخلية ومحمود صبحي الدفتري وزير العدل، ان الحكم ظالم. ،يجب استحصال الموافقة الملكية على تبديله او تخفيفه

وقد امتحن نوري السعيد بهذه القضية امتحاناً عسيراً ، وتعرض بسببها للعواصف الهوجاء والاخطار.

كان ناجي شوكت يرتبط بصلات عائلية وثيقة موروثة ومكتسبة مع حكمت سليمان «فأمه هي بنت غالب بك الاخ الاكبر لحكمت سليمان» وقد اذهلها نبأ توقيف عمها حكم سليمان فجعلت من دار وزير الداخلية «ابنها الاكبر» جحيماً يتفجر بالحمم والشظايا وعندما علمت «بحكم الاعدام» جن جنونها وفقدت صوابها ، واعلنت انها ستتبرأ من ابنها «اذا لم يطلق سراح عمها» وكيف يجوز لمثل حكمت بك «وهو كبير اسرة الكولمند» ان يعدم في عهد «ناجي شوكت وزير الداخلية»؟! فيتحمل عار هذا العمل اجيالاً واجيال. ولهذا السبب انطلق ناجي شوكت بكل ذكائه وطاقاته لانقاذ حكمت سليمان وكذلك كان وزير العدلية صبحي الدفتري فقد جمعته بحكمت سليمان صلات القربى والمودة والمصالح الشخصية المشتركة. وتحالف الوزيران واخذ يعملان على انقاذ زميلهما بكل الوسائل، وآزرهما في جهودهما كبار السياسيين المحترمين يتقدمهم «جميل المدفعي وكامل الجادرجي وتوفيق السويدي وعلي جودة وابراهيم كمال ورضا الشبيبي». لانهم وجدوا في «اعدام رئيس وزراء كحكمت سليمان سابقة خطيرة في تاريخ العراق الحديث تهدد كل السياسيين الذين يطمحون الى الحكم. وكأن لسان حالهم يقول «اول الغيث قطر ثم ينهمر». «ومن حلقت لحية جار له فليسكب الماء على ذقنه».. وقد اتصل هؤلاء الساسة بالسفير الانكليزي في بغداد «السير موريس باترسن» والتمسوا منه ان يستغل نفوذه للتأثير على الملك وعلى نوري السعيد لتبديل عقوبة الاعدام قبل فوات الاوان «لأن الضباط القوميين» قد صمموا على قتل حكمت سليمان «وهو في الموقف حسماً للنزاع الذي نشب بسبب اعدامه».

وكذلك حذا اقارب حكمت سليمان وعلى رأسهم اخوه خالد سليمان حذو بقية الساسة فرفعوا التماسهم الى الملك غازي يرجون تبديل العقوبة... واتصلوا بالسفارة البريطانية والايرانية والتركية لنفس الغرض...

ضغط الانكليز

واجه نوري السعيد عناد وزيريه «ناجي وصبحي» برحابة صدر وهدوء ، وعبثاً حاول اقناعهم والالتزام بواجباتهم كوزيرين مسؤولين. والتمس منهما تغليب المصلحة العامة على المصالح الشخصية لأن سلامة الدولة وأمن المجتمع فوق كل اعتبار وان من الحكمة وسداد الرأي ان يسود حكم القانون، ويعلو سيف «العدل» ثم انبرى الى السياسيين المحترمين يعدد اخطاءهم ويحملهم اوزار اعمالهم ويتهمهم «بتشجيع التآمر» وغرس بذور التمرد على السلطة والقانون.. وبينما كان منهمكاً في محاولاته لاقناع الملك على تصديق الحكم فوجئ بتدخل سافر من الانكليز يحبط جميع جهوده ويعرقل كافة مساعيه واعماله..

فقد امتنع الملك عن التصديق بحجج كثيرة منها «ان الانكليز لا يرغبون في تنفيذ الحكم» كما ان السفير الانكليزي السير «باتريس بيترسن» اتصل بالسعيد وافهمه بصراحه لا لبس فيها ولا غموض «ان حكمت سليمان من اصدقاء بريطانيا وهي لا توافق على اعدامه» كما تلقى نوري السعيد برقية ارسلها اليه من لندن نيابة عن الحكومة البريطانية «المستر لويد» رئيس جمعية التمور العراقية آنذاك وأحد المسؤولين الكبار عن شبكة التجسس البريطاني في الشرق الاوسط «مضمونها ان اصدقائه الانكليز في لندن لا يرتاحون الى اعدام حكمت سليمان»...

وهكذا وجد نوري السعيد نفسه امام قوتين كبيرتين تحولان دون تنفيذ حكم الاعدام :

١- قوة الانكليز ونفوذهم.

٢- قوة داخلية محورها «الملك ، وبعض الوزراء ، وفريق من كبار الساسة» .

تبديل العقوبة

اضطر مجلس الوزراء ان يقترح على الملك تبديل عقوبة الاعدام الصادرة بحق حكمت سليمان بالسجن لمدة خمس سنوات ، وتبديل عقوبات الآخرين الى السجن المؤبد وتمت الاجراءات الشكلية وصدرت الارادة الملكية بموافقة «غازي الاول» على هذا

الاتراح . وتنفس اصدقاء حكمت سليمان الاجانب والعراقيين الصعداء، ورفرف الامن والسلام على داري ناجي شوكت ومحمود صبحي الدفتري ولجت حياتهما من الاكدار والنزاع .

اهتمام الوزارة السعيدية بتربية الشباب

كانت[1] رغبة الضباط القوميين ان تعم الروح العسكرية تلاميذ المدارس وتغرس اخلاق الفروسية والشجاعة في نفوس الجيل الصاعد فاقترحوا على الوزارة ان تهتم بهذا الاتجاه، وتبنى سياسة قومية عسكرية ، تدفع الشباب الى الكفاح والتضحية وتحمل المصاعب. وتنفيذاً لهذه الرغبات السامية قررت وزارة الدفاع ووزارة المعارف شمول التدريب العسكري المدارس الثانوية والمتوسطات، «فاعيد نظام الفتوة» الذي جمدته «وزارة حكمت سليمان» الى حيز التنفيذ باسلوب اروع[٧٢] وجدية صارمة، ومنح مدير المعارف العام لقب «حامي الفتوة» وبدأ التدريب العسكري ثلاث مرات في الاسبوع. تمرن الطلاب خلاله على «استعمال البندقية والمسدس والرشاش» وجرت استعراضات الفتوة رسمياً امام الشعب في مناسبات كثيرة ، وكانت كتائب الفتوة تسير في الشوارع في مواكبها واسلحتها فتثير روح البطولة في جوانح الشعب ، وتترحب المغامرة والاقدام في قلوب الطلاب وغير الطلاب وقد ادت هذه الكتائب خدمات جليلة اثناء «الحرب العراقية-البريطانية» سنة ١٩٤١، فقد شلت اعمال الرتل الخامس ، وراقبت اعداء الثورة التحررية التي فجرها الجيش الباسل ، وحفظت المرافق العامة وصانتها من التخريب والتدمير.[٧٣]

القوميون يتهمون السعيد

اشغلت قضية «الكويت ومشكلة فلسطين» افكار الشعب العراقي وافكار الطلاب والمثقفين القوميين بشكل خاص. وازداد الرأي العام القومي تعلقاً بمحطة «قصر الزهور» وما تذيعه من «بيانات» وكان الطلاب عموماً وفي مقدمتهم «التجمع الطلابي

---

(٧٢) راجع النظام رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٩ الوقائع العراقية.

(٧٣) راجع جريدة الهلاد ٢٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٩. جريدة الاستقلال ٢٩ حزيران سنة ١٩٣٩م.

القومي» يحبذ ويشجع «سياسة الملك غازي» الذي تدعو لمساندة القطرين الشقيقين «فلسطين والكويت» وفي هذه الفترة القصيرة التي حمل فيها الملك غازي «لواء التحرير العربي»، كانت الكتل القومية المتطرفة ، وكان الطلاب يتهمون نوري السعيد بأنه فرط في حقوق الامة العربية وتقاعس في خدمة قضاياها الجوهرية. فلقد اظهر ضعفاً امام الحكومة الانكليزية عندما حضر مؤتمر «الطاولة المستديرة» في لندن وتحفظ في مواقفه ولم يكن صادقاً في دعم واسناد «زعماء الشعب الفلسطيني اثناء مفاوضاتهم لبريطانيا » وكان يميل الى احلال «التفاهم والصفاء» بين الانكليز وبين الفلسطينيين ، نزولاً عند ضرورات الحرب وعلى حساب المصلحة العربية العليا... وهو في العراق يخاصم الملك غازي ويخاصم القوميين العرب لانهم يريدون تحرير الكويت

وكذلك كان موقف السعيد من القضية السورية موقف المتفرج تجاه ما يجري على الساحة العربية هناك، فالسوريون يطالبون فرنسا بعقد معاهدة تحالف مع فرنسا «تحقق لهم الحرية والاستقلال الناجز» والفرنسيون يرفضون هذا الطلب المشروع ويضطهدون الاحرار المناضلين، ويصادرون الحريات ، ويعطلون الجرائد والاحزاب السياسية ، ويمارسون افضع الاساليب في «قمع الحركة الاستقلالية الثائرة». ولازالت الاحزاب والهيئات السياسية في سوريا تستنجد بالعراق ليقوم بدور «المنقذ» وقد رفعوا «شعار الوحدة مع العراق» واقسموا ان «يحققوا الوحدة الكبرى» ويجتازوا العقبات والمصاعب ولو كلفهم ذلك ازهاق الارواح، والعراق وعلى رأسه نوري السعيد صامت لا يستجيب ولا يتحرك.

واشتدت «المعارضة القومية» وقوي ساعدها، وغمرت موجاتِ النقد والتجريح آذان نوري السعيد ، وغمرت اجهزة الحكومة وقاعات المسؤولين لذلك وشعر نوري السعيد بان خطراً قوياً «يتجمع بدوافع وطنية سامية» يتزعمه الطلاب يهدد وزارته بالسقوط ويعرض كيان العراق الى هزات عنيفة مدمرة .

جلسة مع التجمع الطلابي القومي

ادرك نوري السعيد بثاقب بصره وحدة ذكائه ان الطلاب في بغداد هم مصدر المتاعب ومثيرو الازمات والمصاعب فهم القوة الوحيدة التي آمنت بمبادئ قومية نبيلة منزهة عن الاحقاد الشخصية والمطامع السياسية.. وهم في نشاطهم وتحركاتهم يستهدفون خدمة الامة العربية وخدمة بلادهم وهم مهيئون لكل مظاهرة واضراب

راجتماع، كما يتمتعون برصيد شعبي كبير وعلاقاتهم،بكتلة الضباط القوميين» وبقية المؤسسات القومية الاخرى قوية ومتشابكة.. ولهذه الاسباب اراد ان يتودد الى هذه القوة ويعرض عليها وجهة نظره في المشاكل القومية عسى ان يفتت جهودها او يخدر أعصابها بلباقته السياسية ، ودهائه المعروف واوعز الى السيد سامي شوكت مدير المعارف العام ان يحدد له موعداً لمقابلته مع «اقطاب التجمع الطلابي القومي» .. وتمت المقابلة في دار السيد نوري السعيد «في الوزيرية»... وحضر من الطلاب السادة حازم المفتي ، وعبدالمحسن الدوري ، وقاسم حمودي ، وحسن مصطفى الخليل ، وعبدالباقي السعيدي ، وحسن علي التكريتي ، وحسن علي القيسي ، ومعمر الشابندر وسعد عمر العلوان .

مناقشة واستجواب

استهل السعيد كلامه عن اصل المشكلة الفلسطينية وتطوراتها، واستعرض تاريخ الصراع بين العرب اصحاب الحق الشرعيين وبين الصهيونيين المجرمين الذين غزو البلاد واستوطنوها وصمموا بمساعدة الانكليز اليهود على اجلاء الشعب العربي منها.

ثم استعرض السعيد موقف «الحكومات العراقية» من هذه القضية وآخرها موقف العراق اثناء «المائدة المستديرة في لندن». وانه كممثل للشعور القومي في العراق اقنع الحكومة البريطانية «بتشكيل دولة عربية ديموقراطية برلمانية» ترتبط بمعاهدة صداقة وتحالف مع بريطانيا على ان يتمتع فيها اليهود بامتيازات محدودة تتناسب مع «عدد نفوسهم» كتمثيلهم في البرلمان مثلاً واشتراكهم في الوزارة والوظائف الادارية وذلك على نمط الحكم البرلماني في العراق وقد رحب عقلاء العرب والمعتدلون منهم بهذا الرأي ولكن الزعامة الفلسطينية المتطرفة رفضت هذا الرأي .. ورفضه اليهود كذلك.

فالعراق كان ولايزال متمسكاً وجاداً في منهجه القومي وسياسته العربية فهو لن يخرج عن الخط العربي الوحدودي. ولن يفرط بحقوق العراق او حقوق الامة العربية، ولكن حسن السياسة تفرض علينا ايضاً ان نحفظ كيان العراق في الاعاصير ونحتفظ بصداقاتنا مع حليفتنا بريطانيا، ولا نحملها فوق طاقاتها لأن «الحرب العالمية الثانية وشيكة الوقوع وهي تهددنا جميعاً بمستقبل مجهول».

***

واما عن القضية السورية والكلام لنوري السعيد ، فهنالك مفاوضات وجهود يقوم بها العراق «وليس من المصلحة اذاعتها» لمساندة الحكومة الوطنية في سوريا لكي تظفر باستقلال البلاد كاملاً . وان العراق يضغط باستمرار على الحكومة الفرنسية ليحملها على تلبية رغبات السوريين وعقدها معهم معاهدة صداقة وتحالف تضمن للجانبين التعاون جنباً الى جنب على قدم المساواة. وان الحكومة العراقية قد فاتحت الحكومة الانكليزية في هذا الموضوع، وطلبت منها ان تقنع فرنسا بانتهاج سياسة جديدة تحقق «اماني سوريا» القومية، وتضمن صداقة الامة العربية في هذه الظروف لأن مصلحة الحلفاء العسكرية والاقتصادية تفرض عليهم كسب صداقة العرب ونيل عطفهم قبل ان تتفجر حرب جديدة شاملة.

***

واما قضية الكويت فإني ارجو من ابنائي الطلاب ان يؤجلوا النظر فيها ، ويتركوها جانباً فهي قضية ثانوية لا تستحق الاثارة والضوضاء. والمستقبل القريب هو الذي يقرر نوع العلاقة بيننا وبين هذه المشيخة الصغيرة. والبحث فيها يجلب علينا الآن سخط الانكليز والسعوديين والايرانيين. ولا تنسوا اننا مرتبطون بمعاهدات صداقة حسن جوار مع القطرين المجاورين.

ان واجبنا القومي ينحصر في قضايانا الكبيرة «قضايا العراق وسوريا وفلسطين اولاً وآخراً» وكل جهد يبذل في ساحة اخرى هو جهد خائب عقيم لا يعود علينا إلا بالضرر والخسائر وانني اترك اليكم تقدير الموقف وأملي وطيد ان تكون تصرفاتكم ناضجة واعمالكم مثمرة بعون الله.

***

وجرى بين رئيس الوزراء والطلاب حوار ونقاش استمر اكثر من ساعتين فقد عرض الطلاب وجهة نظرهم في الشؤون القومية بأسلوب لايخلو من الحماسة والتهديد وختموا كلامهم «بأن الشعب استمع الى الحكام كثيراً، وقد اصبح لايصدق معسول كلامهم وجميل وعودهم ، واننا نرجو من السعيد ان ينجز قسماً من وعوده والمستقبل يكشف عن الحقائق والامور بنتائجها».. وانفض الاجتماع ، وكل طرف يشك ويحذر من الطرف الآخر.

مظاهرة قومية كبرى

وبعد هذا الاجتماع استقر الرأي عند الطلاب ان يعبروا عن مشاعرهم نحو اخوانهم السوريين والفلسطينيين والكويتيين لأن الجو السياسي وتأزم الوضع في القطرين يحتاج الى «خلق وعي قومي» يدفع المسؤولين في العراق الى مزيد من اليقظة والمساعدة «للشعبين المضطهدين» وللشعب الفلسطيني كذلك «وعقد التجمع الطلابي القومي» جلستين لدراسة الموقف. وقرر اخيراً «تنظيم مظاهرة كبرى تنطلق من باب المعظم وتنتهي بساحة السعدون» على ان يشترك فيها العدد الاكبر من الطلاب ومن جماهير الشعب والغاية منها:

١- اسناد حركة التحرر الوطني في سوريا وفلسطين والكويت .

٢- ارهاب الانكليز والفرنسيين وهم على «حافة الحرب» ليستجيبوا لمطالب الامة العربية .

٣- اذكاء روح العداء والكراهية ضد الاستعمار الغربي وعملائه في كل مكان .

٤- حمل الحكومة العراقية على انتهاج «سياسة عربية وحدوية» اكثر جدّية ونشاطاً ، وذلك في المجالين «الاقليمي والدولي»..

وقد اختار التجمع الطلابي «الشعارات» التي تتقدم المتظاهرين واختار الخطباء الذين يلهبون مشاعر المتظاهرين ويعبرون عن احساسهم ووضع «صيغة احتجاجين يقدمها المتظاهرون الى السفارتين الانكليزية والفرنسية» في بغداد. وبرقيات ترفع الى عصبة الامم ، تشعر العالم «بغضب العرب» على الاستعمار، وتأييدهم «للاستقلال والوحدة»..

كما كلف التجمع الطلابي السيد «حازم المفتي» .. ان يحيط الكتلة القومية في الجيش علماً بهذا الامر ويطلب منها ان تقوم « بحماية المتظاهرين اذا اقتضى الامر» ، وتم الاتصال «بالعقيدين صلاح الدين الصباغ ومحمد فهمي سعيد فباركا هذا العمل واكبرا «الروح السامية» «التي يتحلى بها الطلاب النجباء». والتمسا ان تكون المظاهرة كبيرة ومنظمة ومنضبطة« «لتعبر عن جلال الموقف» أجمل تعبير...

***

وفي صباح يوم ٢٣ آذار سنة ١٩٣٩. تدفقت مواكب الطلاب الشجعان وتجمعت عند ابواب كلية الحقوق ثم انطلقت هذه المواكب ترفع شعاراتها على شكل «كتائب وسرايا» وكان طلاب «الكليات في المقدمة» ثم اعقبتها «سرايا الفتوة» بلباسها الرسمي وقد حمل افرادها «البنادق» رسار بعدهم مباشرة طلاب الثانويات والمتوسطات. ومن ورائهم سارت جماهير كثيفة من ابناء الشعب.

كانت اصوات المتظاهرين وهتافاتهم تدوي كالرعد القاصف، فتهتز جنبات بغداد وتطرب لاصوات الحرية والاستقلال، وتنعكس هذه الهتافات على منابر السفارتين الانكليزية والفرنسية، فترتعد خوفاً وهلعاً من «غضب الشعب» العربي وسخط شبابه الابطال، وتنصت اجهزة المسؤولين الى «هزيم المتظاهرين وغليان القوميين» فتحسب لقوتهم الف حساب.. وهكذا استمرت المظاهرات خمس ساعات متواليات لم يحدث فيها ما يكدر الامن والنظام، وكانت شعاراتها تمثل اماني الامة العربية وتعبر عن شعورها الفياض، ومن هذه الشعارات :

١- «تحيا الوحدة العربية الكبرى» «العرب امة واحدة ودولة واحدة»
٢- الموت للاستعمار في كل مكان» «تسقط فرنسا عدوة العرب»
٣- «الموت للصهيونية المجرمة» «تحيا سوريا دولة مستقلة»
٤- «يسقط الاستعمار البريطاني الآثم ويسقط عملاء الاستعمار» «وتسقط بريطانيا عدوة الشعوب».
٥- «فلسطين عربية الى الابد» «الويل والموت لاعداء العرب»

واما الفتوة، فكانت تنشد نشيدها الوطني المؤثر الثائر:

«يـافرنـسا لا تغالـي» «لا تقولي النصر فات»
«سوف تأتيكي الليالي» «نورها لمع الحـراب»

فتردد الجماهير النشيد المفزع الآخر، نشيد النصر والثأر:

«فلسطين.فلسطين؟! «نفوس العرب تفديك»؟
«ايدنو منك صهيون» «وسيف العرب يحميك؟»

وفي ساحة عبدالمحسن السعدون؛ انتخب المتظاهرون السادة «ذوالكفل

عبداللطيف رمضان وحازم المفتي وقاسم حمودي ومعمر الشابندر والآنسة فدوى زيتون ليقدموا «احتجاج المتظاهرين الى السفارتين الأنكليزية والفرنسية » وانقض الجميع بكل حشمة ووقار وقدم الوفد «الاحتجاج» وانتهى واجب الطلاب على هذا الوجه النبيل المشرف..

نشاط سياسي على الصعيد الرسمي

في يوم ٢٥ مارت سنة ١٩٣٩م رفع نوري السعيد بصفته وكيلاً لوزير الخارجية الى سكرتير مجلس الوزراء الكتاب التالي «المرقم خ-٤٨٧٧-٤٨٣٦-٣» لعرضه على مجلس الوزراء وفيه :

«نرجو التفضل بعرض الامور الآتية على مجلس الوزراء لاتخاذ قرار بشأنها» .

١- ان ازدياد الاضطراب في الحالة الدولية العامة في اوربا قد اضعف الامل من ان تنتهي الازمات المتتالية دون حصول كارثة دولية عالمية تشترك الدول فيها جميعاً وقد يتأخر وقوع هذا الاصطدام بضعة اشهر او قد يطول هذا التأخير إلى سنين إلا ان الدلائل اكيدة بأنه محتم الوقوع. ولما كان ارتباط العراق بالتحالف مع بريطانيا العظمى يفرض عليه واجبات قد نص عليها بالفقرة الرابعة من ملحق معاهدة التحالف لسنة ١٩٣٠م عند اشتباك بريطانيا في حرب . ولما كان على العراق واجبات لاتقل عما يترتب عليه بموجب المعاهدة تجاه الاقطار العربية المجاورة التي تأخر نيل استقلالها الموعود من قبل الدول المنتدبة منذ امد غير قليل، ونعني بذلك وعود فرنسا الى سوريا، وبريطانيا تجاه فلسطين «ومع الاسف» الشديد ان الامر قد آل الى ان تسوء الحالة في هذين القطرين الى حد بعيد مما جعل الرأي العام العراقي يقلق ويتأثر لهذا الامر فقد اضطر صاحب الجلالة الملك لعقد جلسة خاصة مع وزرائه بتاريخ مارت سنة ١٩٣٩ تقرر فيها لفت نظر الحكومة البريطانية الحليفة الى القضايا الآتية...

أ. ضرورة توسط الحكومة البريطانية لدى الحكومة الفرنسية بغية ابرام المعاهدة السورية الفرنسية لسنة ١٩٣٦م. وضرورة التفاهم مع الكتلة الوطنية.

ب. وجوب الاسراع في التوصل الى انهاء ماتبقى من الاماني المعلقة في قضية فلسطين والسعي لاحلال الاستقرار والسلام في هذا القطر وإزالة اسباب التشكي

والنفرة، ووضع حد للتدمير والتخريب المستمر الناتج من السياسة المبهمة المتبعة الآن في ذلك القطر.

ج. احلال الصفاء محل سوء التفاهم فيما يتعلق بالكويت وإزالة نفوذ المهاجرين الايرانيين. كما اقترح صاحب الجلالة الملك على السفير البريطاني قبل مغادرته لبغداد . فقد استدعى القائم بأعمال السفارة البريطانية الى البلاط الملكي العامر وفاتحه بحضوري، وحضور وزير الدفاع والمالية عن القضايا الثلاث المارة الذكر ، بغية الوصول الى اتفاق مرضي حولها قبل استفحال الازمة في اوربا ، التي يحتمل ان تضطر الحكومة البريطانية على اثرها الى الاشتراك في حرب . يتحتم على العراق آنذاك القيام بواجباته المنصوص عليها في معاهدة التحالف العراقية البريطانية . وقد وعد القائم بالاعمال ان يبلغ هذه البيانات فوراً الى حكومة صاحب الجلالة البريطانية . وبالنظر لما جاء في برقية وزير العراق المفوض في لندن والمرفقة طياً ، نقترح ان يجيب الموما اليه على بيانات وزير الخارجية البريطانية بمضمون ما جاء في بياناتنا المتقدمة الذكر، وليتابع الجهود في لندن لتحقيق الاغراض المذكورة مؤكد المحاذير التي ستنتج حتماً من التأخير في حل المسائل المارة الذكر.

د. واما فيما يتعلق في قضية فلسطين ايضاً فقد اتصلنا بالحكومة العربية السعودية واعلمناها بما قمنا به من مساعي وطلبنا منها القيام بنفس العمل واخبارنا عن النتائج التي ستتوصل اليها، وقد جاءتنا برقية من الممثل العراقي في مؤتمر فلسطين تتضمن نصوصاً وافقت عليها الوفود العربية وبضمنها وفد فلسطين حيث ان خطة الوفود العربية كانت لاتقبل أمراً إلا يقبله الوفد الفلسطيني. وكان الجميع متصلين بعضهم مع بعض ، والذي يتراءى لنا ان القضية الفلسطينية في طريق الحل خلال الأيام القليلة القادمة بشكل سيرضي اهل فلسطين والحكومات العربية وهذا اذا صحت الاخبار الواردة من لندن اخيراً .

هـ. اما عن القضية السورية فهنالك امران اولهما ، لواء الاسكندرونة ، فإن السوريين راضون الآن بعدم اثارة اي شيئ يتعلق به وترك موضوعه الى الامر الواقع الذي سيقرر بين الحكومة الفرنسية والحكومة التركية. اما الامر الثاني المتعلق بتصديق معاهدة سنة ١٩٣٦م فإننا نرى من الضروري جداً تأييد حقوق

السوريين المنصوص عليها في هذه المعاهدة والتي ضمنت وحدة سوريا ورفضت التجزئة التي جاءت بها سياسة فرنسا الجديدة وبالنظر لحراجة الموقف وضرورة الاسراع في رسم خطة صحيحة نقترح ايفاد وزير الداخلية بأقرب فرصة ممكنة الى تركيا لمقابلة رئيس الجمهورية التركية والمسؤولين في الحكومة التركية للتأكد من نوايا الجمهورية التركية ومن موقفها حيال الوضع الراهن في سوريا. وبرأينا انه لايجوز ان يشجع السوريون على امر حاسم قبل التأكد من وجهة نظر الاتراك، فإذا تأكد وزير الداخلية بعد درس الموقف من تأييد الإتراك لوجهات نظرنا في هذا الصدد ، فعندذاك يمكن للحكومة العراقية ان تتظاهر بمعاضدة القضية السورية بوجه ابرز سواء كان ذلك لدى الحكومة البريطانية او الحكومة الفرنسية. وباعتقادنا ايضاً انه لايصح ان يندفع العراق وراء سياسة تكون عاقبة التسرع بها تجزئة البلاد السورية ..

نوري السعيد . وكيل وزير الخارجية

اقر مجلس الوزراء الطلبات التي قدمها نوري السعيد بصفته وكيلاً لوزير الخارجية. واستعد وزير الداخلية السيد ناجي شوكت للسفر الى تركيا، واستطلاع آراء الاتراك حول المشكلة السورية، غير ان «مقتل الملك غازي أجل موعد السفر الى يوم ٢١ نيسان سنة ١٩٣٩. وبعدها أتم الوزير مهمته على الوجه الأكمل، ثم قدم بها تقريراً الى وزير الخارجية.

الفصل السابع
مصرع الملك غازي

في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين من ليلة الثلاثاء الموافقة ٤/٣ نيسان سنة ١٩٣٩ الموافق ١٤ صفر سنة ١٣٥٨هـ ركب الملك غازي سيارته وخرج من «قصر الزهور» متجهاً الى قصره الآخر في الحارثية. وكان يقود سيارته بسرعة فائقة جرياً على عادته التي فطر عليها في كل الاوقات، وعندما اجتاز احدى القناطر فوق «الساقية» بهره الضوء الكهربائي فاصطدم بعموده الحديدي القائم على القنطرة، فهوى العمود على السيارة واصاب في رأسه مقتلاً ، ادى الى وفاته .. ولقد ذكرت الملكة عالية زوجة الملك في شهادتها امام «حاكم التحقيق» وايدها اخوها الامير عبدالاله بن الملك علي هذه الشهادة ، فقالت «ان زوجها الملك اعتاد ان يذهب مساء كل يوم الى قصر الحارثية فيبقى فيه حتى منتصف الليل ، ثم يعود لينام. وفي هذه الليلة المشؤومة بالذات عاد مبكراً من قصر الحارثية خلاف عادته ، وما كاد يشرع في خلع ملابسه حتى رن جرس التلفون وبعد مكالمة قصيرة جرت بينه وبين المتكلم ، عاد فلبس ثيابه وتوجه مسرعاً الى سيارته وخرج بها من القصر، وبعد برهة قصيرة جاؤوا به صريعاً ، ويقولون ان سيارته اصطدمت بالعمود الكهربائي وقد اصيب بجرح بليغ في رأسه»، فاتصلنا برئيس الوزراء والاطباء ، واخبرناهم بالحادث، فاسرعوا الى القصر.

***

حضر رئيس الوزراء نوري السعيد ورستم حيدر وزير المالية وطه الهاشمي وزير الدفاع وكذلك السيد محمد الصدر ، رئيس مجلس الاعيان . وحضر وزير الداخلية ناجي شوكت متأخراً قبيل طلوع الفجر. وحضرت هيئة من الاطباء يرأسها الدكتور «سندرسن باشا» الطبيب الخاص للعائلة المالكة. وبعد اجراء الفحوصات الطبية على جثة الملك ، وجد انه «مصاب بكسر كبير في عظم الجمجمة ، وتمزق واسع في المخ ادى

الى الوفاة حالاً . فكتبت تقريراً رسمياً بذلك. ورفعته الى المسؤولين».. وبعد ان تمت المراسيم الشرعية الاسلامية نقل الجثمان تحت جنح الظلام من قصر الزهور الى البلاط الملكي. حيث يتم التشييع الرسمي من هناك الى مقبرة العائلة في محلة الاعظمية...

واصدرت الحكومة البيانات التالية:

«بلاغ رسمي رقم ١»

بمزيد من الحزن والالم .. ينعي مجلس الوزراء الى الامة العراقية ، انتقال المفقود له سيد شباب البلاط جلالة الملك غازي الاول ، الى جوار ربه على أثر اصطدام السيارة التي كان يقودها بنفسه بالعمود الكهربائي الواقع في منحدر قنطرة النهر بالقرب من قصر الحارثية في الساعة الحادية عشرة والنصف من ليلة أمس. وفي نفس الوقت الذي يتقدم فيه بالتعازي الخاصة الى اعضاء العائلة المالكة على هذه الكارثة العظمى التي حلت بالبلاد. يدعو الله سبحانه وتعالى ان يحفظ للمملكة نجله الاوحد «جلالة الملك فيصل الثاني» ويلهم الشعب الكريم الصبر الجميل. وإنا لله وإنا اليه راجعون.

«بلاغ رسمي رقم ٢»

واذاعت هيئة الاطباء التي فحصت الفقيد بعد حلول الفاجعة بياناً وهذا نصه:

«ننعي بمزيد الاسف . وفاة صاحب الجلالة الملك غازي ، الذي توفي الساعة الثانية عشر والذقيقة الاربعين من ليلة ٣ نيسان سنة ١٩٣٩ ، متأثراً من كسر شديد للغاية في عظم الجمجمة، وتمزق واسع في المخ ، وقد حصلت هذه الجروح نتيجة اصطدام سيارة صاحب الجلالة عندما كان يقودها بنفسه بعمود الكهرباء بالقرب من قصر الزهور، الساعة الحادية عشر والنصف من تلك الليلة. ولقد فقد صاحب الجلالة شعوره مباشرة بعد الاصطدام ، ولم يسترجع شعوره حتى هذه اللحظة..

الدكتور	الدكتور	الدكتور	الدكتور	الدكتور
صبيح الوهبي	صائب شوكت	ابراهام	سندرسن	جلال حمدي

قرارات لمجلس الوزراء

تولى مجلس الوزراء حقوق الملك الدستورية وفقاً لحكام المادة (٢٢) من القانون الاساسي. واجتمع صباح يوم ٤ نيسان سنة ١٩٣٩ واتخذ القرارات الآتية:

١- اعلان سمو ولي العهد فيصل الثاني ملكاً على العراق ، وفقاً لمنطوق المادة العشرين من القانون الاساسي.

٢- تسمية الامير عبدالاله وصياً على جلالة الملك بالنظر لعدم بلوغه سن الرشد القانونية ونزولاً عند وصية الملك غازي الأول التي اثبتتها إفادة الملكة عالية زوجة الملك غازي، وشقيقتها راجحة امام مجلس الوزراء.

٣- دعوة مجلس النواب المنحل تمهيداً لاجتماع مجلس الامة للبت في امر الوصاية نهائياً. وفقاً للفقرة ٢ من المادة ٢٢ من القانون الاساسي.

٤- اعلان الحداد العام في المملكة.

مدير الدعاية والنشر والاذاعة
بغداد ٤ نيسان سنة ١٩٣٩م.

آراء حول شخصية ولي العهد الوصي

قبل ان يتخذ مجلس الوزراء قرله بتعيين عبدالاله وصياً على العرش العراقي، عقد اجتماعاً في البلاط الملكي حضره «رئيسا الاعيان والنواب ورؤساء الوزارات السابقون» وتناقشوا في قضية الوصاية ومن يصلح ان يكون وصياً على الملك نبصل حتى يبلغ رشده القانوني ، فرشح بعض الحاضرين الامير عبدالله أمير شرق الاردن وعم الملك غازي ولكن هذا الترشيح رفض، لانشغال الامير في شؤون امارته.

ورشح بعضهم «الامير زيد» عم الملك غازي، فرفض الترشيح لان زوجة الامير «تركية الجنسية» وسيخلق وجودها في القصر مشاكل سياسية.

واخيراً اتفق الحاضرون على «ترشيح عبدالاله» للاسباب الآتية:
١- لأن الملك غازي قد اوصى به كما قالت الاميرتان عالية وراجحة.
٢- لأنه خال الملك فيصل الثاني ، واقرب الناس به صلة ورحماً.
وهكذا تم نصبه على ان يوافق مجلس الامة على هذا التعيين.

ولما كان الامير عبدالاله يحمل الجنسية الحجازية ويعتبر «نظرياً» ولي عهد «للدولة الحجازية» بعد موت والده الملك علياً «وهو الملك الشرعي للحجاز» . وكان يسكن العراق بعد ان استولى «السعوديون» على مملكته ، لذا فقد اقترح عليه رئيس الوزراء ان يقدم طلباً الى الحكومة العراقية لمنحه «الجنسية العراقية» كي يحق له ان يتولى مسؤوليات الوصاية.. وقد وافق الامير على ذلك وقدم الطلب. وجرت المراسيم القانونية المتبعة بهذا الخصوص، واعتبر عبدالاله «عراقي الجنسية» في يوم ١٩٣٩/٤/٥م.

***

هياج الشعب واضطرابه

كان غازي بنظر الشعب العراقي والامة العربية بطلاً قومياً مغامراً. فهو شاب وطني شجاع يتدفق اخلاصاً وحباً للعراق والعرب ، وكانت روحه الوطنية الثائرة صافية من كل الشوائب، خالية من المطاعن والشبهات ، والعراقيون وكل العرب يذكرون للملك مواقف رائعة تشهد بنقاء روحه واخلاصه لوطنه وامته.،فلما اعلن الآثوريون «بتحريض من الانكليز» تمردهم في الشمال سنة ١٩٣٣م، وافصحوا عن رغباتهم «في الانفصال عن العراق وتشكيل دولة مستقلة تضم الاقضية الثلاثة العمادية ، وزاخو ودهوك» قررت الوزارة الكيلانية قمع هذا التمرد وحصر نطاقه بالقوة اذا اقتضى الامر، فاستاء الانكليز من هذا القرار، ولم يلتفت غازي-وكان نائباً للملك لغياب والده عن العراق» لهذا الاستياء، بل شجع الوزارة وآزرها في خطواتها، وتحمس لتنفيذ اجراءاتها العسكرية في هذا الصدد، وقدم «القائم بأعمال السفارة البريطانية اوغليفي-فوربس» احتجاجاً الى نائب الملك يستنكر سياسة الحكومة وموقفها الصارم من الآثوريين . وحمل نائب الملك نتائج هذه السياسة . فرفض نائب الملك هذا الاحتجاج «لانه يعتبر تدخلاً في شؤون العراق الداخلية يتنافى مع «الاستقلال» الذي حصل عليه العراق بعد

دخوله عصبة الامم. وجرت بينه وبين القائم بالاعمال مناقشة عنيفة انسحب الممثل على اثرها متألماً من صلابة نائب الملك وحدة نظراته وجفاف طبعه . .

وموقف الملك من القضايا العربية الاخرى موقف مشرف. فقد نصب من نفسه حارساً اميناً «على القضية السورية والفلسطينية» فهو لاينفك يساعد الحركات التحررية في القطرين العربيين ولا يتأخر عن نصرة الثوار هناك كلما وجد سبيلاً الى ذلك. ويطلب من وزرائه ان ينفذوا سياسة والده فيصل التي جعلت من العراق مستودعاً للشعور القومي ورائداً يقظاً للمصلحة العربية العليا.. فكان بعض الوزراء يشاركه عواطفه وعقيدته . كما كان البعض الآخر يتمرد عليه ويعاكسه في منهجه ويثبط اعماله بالاتفاق مع الانكليز. اما هو فقد آمن بأفكاره وسلامة خطه العربي «واندفع يحارب السياسة الانكليزية-الفرنسية. والاستعمار الغربي بكل عنف واقدام فالتف ابناء الشعب العراقي حوله، وتعلقوا بعرشه، واكبرت الامة العربية حزمه ومقاصده النبيلة ، واحتضنته القلوب والجوانح...

***

سرى خبر النعي في بغداد وفي العراق سريان النار في الهشيم، فصعق الشعب عندما سمع النبأ الفاجع.. وانصت الناس الى المذياع والى اسلاك البرق وهي تؤكد «الأمر الخطير».. بقلوب واجفة يمزقها الحزن ونفوس يعصرها الألم ، وخرج الناس الى الشوارع سكارى وماهم بسكارى .. ولكن هول الكارثة افقدتهم عقولهم.. واطار صوابهم، وفتت اكبادهم، واندفعوا على غير وعي ولا بصيرة يذرفون الدموع.. ويسكبون العبرات ، ويشقون الجيوب حزناً على مليكهم وفخر شبابهم «الملك غازي» ابن الملك فيصل باني كيان العراق ومؤسسه. وبدأت مواكب العزاء تتدفق من الاحياء على شارع الرشيد متجهة الى البلاط الملكي. وغصت الطرقات والساحات والمنتزهات بموجات متلاطمة متلاحقة من جماهير الشعب يشد بعضها بعضاً، ويأخذ بعضها برقاب البعض، وهم ينتحبون ويهددون ويتوعدون والشر يتطاير من اعينهم، ولسان الحال يقول [امر دبر بليل] .. وارسلت النسوة عويلهن الى عنان السماء ، وشاركهن الرجال عواطف حزنهن ،وقاسموهن الدموع والعبرات والحسرات، وملأت اشاعات السوء آذان بغداد ، وادرك الشعب بفطرته وسلامة احساسه ورهافة شعوره إن وراء الكارثة «سراً رهيباً» وإن الانكليز واعوان الانكليز وراء هذا السر الكامن. «وتاريخ الانكليز مليئ

باعمال الغدر والخيانة والاغتيال» وقد لوثت ساستهم اياديهم بابشع الجرائم، وسفكوا دماء الشعوب ودماء «القادة المخلصين لشعوبهم» من اجل الامبراطورية الاستعمارية الشامخة ومن اجل «البقاء الى الابد في المستعمرات».

تهامس القوم فيما بينهم وقالوا «ان الانكليز دبروا الجريمة» وانتقل الهمس واللمز الى الجهر والعلانية. فتكهرب الجو وتلبدت السماء بغيوم الثورة. واستعد الشعب للوثوب والانتقام من السفاكين والمجرمين.

***

اعلنت الحكومة «الحداد لمدة اربعين يوماً» وعطلت الدوائر الرسمية يوم الحادث، ونكست الاعلام في دوائر الدولة وكافة السفارات والقنصليات الاجنبية. واتخذت الحكومة ايضاً اجراءات صارمة لحماية الامن والنظام «حين تبدأ مراسم التشييع».

واصطف الجنود على جانبي الشوارع في باب المعظم حتى المقبرة الملكية، وحمل النعش على عربة مدفع خاص ، ومشى في المقدمة «الوزراء والنواب والاعيان والهيئات السياسية الاجنبية وكبار الموظفين» واعقبهم «طلاب الكليات والمعاهد العالية» ومن ورائهم تدفقت جموع ومواكب لا يحصى لها عدد . وخرجت بغداد بقضها وقضيضها وزحفت عن بكرة ابيها شيوخاً وشباباً ونساءً ... تبكي وتنتحب وتصرخ «الموت للانكليز» «قتل الملك مظلوماً» «ياللثارات» «يسقط نوري السعيد» .

ولما اطلقت المدافع طلقاتها ايذاناً بايداع الشهيد في مثواه الاخير ، هجمت الجماهير الحاشدة الغاضبة لتحول بين النعش وبين اللحد ، لأن بطلها الملك الشهيد غازي يجب ان يستقر بين الجوانح والقلوب وليس بين التراب والصخور. وجرت المقادير في اعنتها ، وادخل الله سكينته في قلوب المؤمنين وجاور «الملك» ربه الكريم بين الأنات والآلام والحسرات والكل يتأسى بقوله تعالى «إنا لله وإنا اليه راجعون».

وسط الهياج والغليان الشعبي الغارم تسلل نوري السعيد متخفياً واستقل «قارباً نهريا» وعبر الى الجانب الآخر لينجو بنفسه من «نقمة الشعب» . وكذلك اخفت السلطات الحكومية السفير البريطاني في مكان امين حرصاً على حياته «من غضب الشعب» ... ومرت العاصفة الهوجاء بسلام....

بغداد في مأتم كبير

اجتمع طلاب بغداد في كلية الحقوق بدعوة من «التجمع الطلابي القومي».

وقرر المجتمعون :

١- تعطيل الدراسة في جميع الكليات والمعاهد العالية والثانويات والمتوسطات وكذلك الابتدائيات لمدة ثلاثة ايام.

٢- تقيم كل كلية ومدرسة وكذلك تقيم الاحياء الشعبية «مجالس الفاتحة» على روح «الشهيد». لمدة ثلاثة ايام.

٣- يضع الطلاب وافراد الشعب شارات الحداد والسواد على صدورهم وعلى واجهات محلاتهم.

ولبست بغداد حلل السواد. واعلن الحداد في انحاء العراق . وفتحت مجالس العزاء «ابوابها» للمعزين من افراد الشعب. وتدفقت «المواكب» على المجالس وهي تدق الطبول ، وتردد الاهازيج وترتجل الهوسات الشعبية المثيرة ، ... والقى الشعراء قصائدهم يمجدون الراحل الشهيد ويهتفون ويشيدون «بوطنيته ومواقفه» .. وكذلك فعل الأدباء والخطباء..

وقضت بغداد ليلتها مقرحّة الجفون ، مسهدة العيون، وقد تمزقت منها نياط القلوب وعصفت بها الاحزان ..

مقتل القنصل البريطاني في الموصل

انتشرت في البلاد كلها اشاعات مفادها ان الحادث كان نتيجة مؤامرة سرية دبرتها بريطانيا بعلم نوري السعيد... والقى مجهولون منشورات مطبوعة تتضمن هذا المعنى وتحرض الشعب على الثورة ضد الانكليز وضد سعيد وقد تلقفها الناس وتناقلوها سراً، واذاعوا محتوياتها علناً.. وكان تأثر الشعب وهياجه في المدن الاخرى بنفس القوة والعنفوان. وفي الموصل سارت الجماهير الغفيرة بتحريض من الطلاب القوميين إلى دار القنصلية البريطانية فأحرقت سيارة كانت امام دارها. ولما خرج القنصل

البريطاني «مونك ميسن» الى الباب لتهدئة الجمهور، هاجمه من الخلف احد المتظاهرين واهوى على رأسه بفأس قتله حالاً.. وعاد المتظاهرون ادراجهم وشهدت الموصل يوماً عبوساً صاخباً... لم تر مثله في التاريخ.

وفي بغداد قرر طلاب الكليات ان يزحفوا يوم ٦ نيسان على «مقر السفارتين الانكليزية والامريكية» . ويفعلوا كما فعل طلاب الموصل ويذيقوا السفيرين طعم الموت.. انتقاماً لشهيد البلاد.(٧٤)

ولكن الحكومة احتاطت لهذا الامر وحشدت وحدات كبيرة من الشرطة والجيش وضربت ستاراً حديدياً حول السفارتين.. وحالت دون وصول الطلاب الى السفيرين. فانقذت نفسها من ورطة دبلوماسية خطيرة.

«بيان حكومي»

«بينما كان أهل الموصل صعقين من شدة هول المصاب العظيم الذي حل بفقد ملك البلاط المحبوب، وإذا ببعض المفسدين وقد انتهزوا الفرصة واندسوا بين الصفوف فحرضوا بعض الجناة على اغتيال القنصل البريطاني في الموصل. وقد القي القبض على

---

(٧٤) وفي بغداد اثر الحوادث التي قام بها الطلاب ، احالت السلطات الحكومية عدداً كبيراً منهم ومن افراد الشعب الى المجلس العرفي العسكري بحجة «القيام باعمال تخل بالامن وتهدد السلامة العامة». ومن هؤلاء «اعضاء جمعية شباب الوحدة العربية» وهي جمعية طلابية تسعى لتحقيق الوحدة العربية الكبرى. فحكمت على رئيسها «السيد جهاد الانصاري» بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً. وعلى الاعضاء احمد الامام لمدة عشر سنوات ، ومحمد معروف البياتي وعبدالوهاب العلاق بالسجن لمدة عشر سنوات. وعلى شاكر الجميلي لمدة سبع سنوات. وعلي حسين الامين وصالح مهدي وعبدالخالق مال الله. سبع جلدات لكل واحد منهم ، وافرجت عن يوسف عزالدين ووضعته تحت رقابة الشرطة.

- وفي الموصل القت السلطات القبض على عدد كبير من الطلاب والاهلين واحالتهم الى المجلس العرفي واصدرت بحقهم مدداً تتراوح بين السجن المؤبد والسجن ومراقبة الشرطة ، ومن بين هؤلاء اعضاء جمعية طلابية قومية «تعمل على مكافحة الاستعمار وتوحيد البلاد العربية» اسمها «النهضة القومية». فحكم على رئيسها السيد هشام الدباغ بالاعدام ثم بدل الاعدام بعقوبة «السجن المؤبد» لصغر سنه وكان عمره يومذاك سبعة عشر عاماً.. وذلك بتهمة التحريض على قتل القنصل البريطاني وحكمت على سليم نعمان العطار وحمدون عبدالله بنفس العقوبة والتهمة.. واصدرت الحكم على المتهم الهارب «علي الصحة» بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً..

القاتل والمحرضين، وسينالون ما يستحقونه من العقاب الصارم. ان الحكومة في الوقت الذي تعلن فيه استنكارها لهذا العمل الفضيع ، تعتقد بان الشعب العراقي النبيل وخاصة اهل الموصل الكرام يشاطرون شعورها في ضرورة اتخاذ كل مايلزم لتنزيه سمعة العراق من هذه الاعمال المستنكرة. وبهذه المناسبة تؤكد مرة اخرى عزمها على اتباع الخطة التي اذاعها فخامة رئيس الوزراء قبل بضعة ايام. وعدم افساح المجال لأي كان لتعكير صفو العلاقات القائمة بين العراق وبين حليفته بريطانيا العظمى ..'

٥ نيسان سنة ١٩٣٩ مدير الدعاية والنشر

اعلان الاحكام العرفية في مدينة الموصل

اثار مقتل القنصل البريطاني[١] دهشة في الاوساط العالمية والاوساط الانكليزية بشكل خاص ولما علم رئيس الوزراء بالحادث، قابل القائم باعمال السفارة البريطانية في بغداد واعرب عن مزيد اسفه وأسف الحكومة العراقية لهذا الحادث المؤلم الذي تستنكره الامة العراقية كلها..كما قال .

واجتمع مجلس الوزراء على الفور وقرر :

١- اعلان الاحكام العرفية في مدينة الموصل وفي المحلات المجاورة لها التي يعلن قائد القوات العسكرية المرابطة فيها انها تابعة لها على ان يعلن انهاءها.. ويوقف تطبيق قانون اصول المحاكمات الجزائية وقانون ادارة الالوية وقانون الجمعيات والاجتماعات والتجمعات وقانون دعاوى العشائر وقانون المطبوعات وقانون انضباط موظفي الدولة وقانون الخدمة المدنية وقانون الحكام والقضاة والقوانين الاخرى بقدر ماله مساس بالاجراءات والمحاكمات التي تتطلبها الادارة العرفية في المنطقة المذكورة حسبما يتراءى لقائد القوات العسكرية المرابطة فيها .

٢- ان تكون الادارة الملكية في مدينة الموصل والمحال المجاورة لها التي يعلن قائد القوات العسكرية المرابطة فيها انها تابعة لها «ادارة عسكرية صرفة» وان يكون قائد القوات العسكرية المشار اليه المرجع الاعلى لجميع الادارات، داخل المنطقة المنوه عنها. وله توزيع الاعمال والسلطات على جميع الموظفين داخل تلك المنطقة حسبما يتراءى له ذلك.

دعوة المجلس النيابي المنحل لاجتماع فوق العادة

تطبيقاً لاحكام المادة ٢٢ و ٢٠ من القانون الاساسي، تقرر دعوة المجلس النيابي المنحل للبت في «امر الوصاية على العرش» . فمن حقوق مجلس الامة ان «يوافق على نصب الوصي» ويضفي على تعيينه الشرعية الدستورية.

وفي يوم الخميس الموافق ٦ نيسان سنة ١٩٣٩ اجتمع مجلس الامة «الاعيان والنواب» في جلسة مشتركة برأسة السيد محمد الصدر رئيس مجلس الاعيان. وبعد افتتاح الجلسة قام رئيس الوزراء وابّن جلالة الملك الراحل تأبيناً حزيناً وبعده تكلم رئيس الجلسة كلاماً بليغاً مؤلماً. وطلب من الحاضرين الوقوف لمدة «عشرة دقائق حداداً على الراحل العظيم». ثم تلى الرئيس كتاب «رئيس الوزراء» الذي يشعر المجلس العالي «بتعيين عبدالاله وصياً على العرش» .. ووضع «الاقتراح» بالتصويت بذكر الاسماء، فصوت الحاضرون من النواب بالموافقة على هذا الاقتراح ، واصبح الامير عبدالاله «وصياً شرعياً على عرش العراق» «وانتهت الجلسة » . وبدأ العراق عهداً مليئاً بالاضطرابات والثورات .

من المسؤول عن قتل الملك؟

تكلم الناس كثيراً في العراق وفي خارج العراق عن الظروف الغامضة التي احاطت بمصرع الملك غازي وتناقشوا في الاسباب والدوافع الخفية والعلنية التي ادت الى موته بالشكل الذي صورته الاذاعات والبيانات الرسمية. فاختلفت الاقوال وتعددت الآراء، وتشعبت وجهات النظر ، ولكن اكثرية المعنيين بهذا الامر اجمعوا على ان الانكليز ونوري السعيد هم الذين حاكو الخيوط هذه الجريمة وصمموا على ارتكابها وهيئوا اسبابها ، واختاروا احدى الطريقتين التي تمت بها وهي :

١- اصطناع عطل في سيارة الملك، ادى الى انقلابها عندما قادها الملك بسرعة فائقة.

٢- اغراء مرافقيه اللذين جلسا معه في السيارة بالاعتداء عليه بآلة هشمت جمجمته (٧٥)

(٧٥) اشيع في حينه ان احد عبيد القصر واسمه «عبدسعيد» وملاحظ اللاسلكي واسمه «علي عبدالله» كانا جالسين وراء

، ولو استعرضنا ادلة الاتهام الذي بني عليها الباحثون قرار التجريم لما عثرنا على دليل مادي محسوس يدين شخصاً او اشخاصاً معينين . هذا اذا عالجنا الموضوع من وجهة نظر قانونية محضة، وتقيداً بالاجراءات التي فرضها قانون اصول المرافعات الجزائية وقانون العقوبات «شكلاً وموضوعاً» وذلك عند التحقيق في اكتساب الجريمة وادلة الاثبات «التي تدين المتهمين» مروراً بمرحلة التصميم والتحضير والتنفيذ ، ولكن يؤخذ على هذه ان الشكليات والاجراءات القانونية تعجز احياناً عن اظهار الحقيقة والكشف عن الجريمة، ومعرفة الفاعلين الاصليين والشركاء... لأن المجرم في القضايا السياسية يحتاط كثيراً ويتحفظ ويحذر من ان يقع في شباك القانون. وهو في اقدامه على ارتكاب الجريمة يستغل ظروفاً ملائمة، ويستخدم امكانيات وكفاءات عالية. كما ان حصانته السياسية وامتيازاته الكثيرة تجعله بعيداً عن اعين الرقباء والخفراء وسلطات العدل. وربما استعان المجرم السياسي «شخصاً كان او هيئة» بفصائل من السلطة الحاكمة تسهل له اموره، وتخفي تحركاته وتطمس معالم جريمته....

***

نهضت امام الرأي العام مجموعة من الحوادث والتصرفات، واستجدت امور وظروف حملته على الاعتقاد بأن الانكليز بالاتفاق والاشتراك مع نوري السعيد قتلوا «الملك» للاسباب التالية:[٧٦]

١- الروح الوطنية التي تحلى بها الملك، وصلابته في مواقفه القومية ورفضه للسياسة الاستعمارية عموماً، ولسياسة الانكليز خصوصاً.. ففي العراق حرص الملك على حماية الاستقلال داخلاً وحال دون تسرب النفوذ الانكليزي الى اجهزة الدولة. وفي

الملك في السيارة عند اصطدامها. وان «عبدسعيد» اصيب بكسور ورضوض ، نقل على اثرها الى المستشفى . ولم يدر احداً بعد ذلك ما جرى له ولرفيقه «علي عبدالله»...

(٧٦) ١- راجع «فرسان العروبة في العراق» مذكرات الشهيد صلاح الدين الصباغ.

٢- «مذكرات طه الهاشمي»

٣- «مذكرات السفير البريطاني في العراق» موريس بيترسون.

٤- «مذكرات توفيق السويدي».

٥- مجلة «افاق عربية» العدد (١٢) آب سنة ١٩٧٦.

الخارج شجع الملك الحركات التحررية في الكويت وفلسطين وسوريا. فغضب الانكليز واستنكروا مواقفه واعتبروه خصماً قوياً يجب ازاحته والقضاء عليه. وقد ذكر السفير البريطاني في العراق «السير موريس بيترسن» في مذكراته ذلك حيث قال «وقد اصبح واضحاً للعيان ان الملك غازي يجب اما ان يسيطر عليه او يخلع. وقد لمحت إلى ذلك وبهذا المقدار الى حاشية الملك في زيارتي الوداعية» .

وقد التقى يومذاك توفيق السويدي بوكيل وزارة الخارجية البريطاني فابدى هذا له شكوى عنيفة من تصرفات الملك غازي فيما يتعلق بالدعاية الموجهة الى الكويت وقال له : ان الملك يعمل هذا ولا يدري انه يلعب بالنار وانه سيحرق اصابعه»..

٢- اقتنع نوري السعيد ان الملك غازي شجع بكر صدقي على القيام بالانقلاب سنة ١٩٣٦ ولولا رعاية الملك لما تجرأ بكر على اقالة الوزارة الهاشمية وقتل جعفر العسكري «صهر نوري وصديقه الوفي ، وساعده الايمن» في كل الامور.

وقد افضى السعيد لخاصته ومنهم «ناجي شوكت» ان الملك غازي مسؤول عن مقتل جعفر ومسؤول عن كل المشاكل التي حدثت في البلاد...

وكان السعيد يتضايق من «تصرفات الملك».. ويمتعض اشد الامتعاض من عطف الملك على خصومه السياسيين امثال حكمت سليمان وجميل المدفعي وغيرهم.

وقد ابدى السعيد تذمره امام الملك من بعض هذه التصرفات . والتمس من وزير البلاط رشيد عالي الكيلاني ان يرشد الملك ويبصره بعواقب الامور. ولكن الوزير اقتنص هذه الفرصة واستغل هذا الخلاف ، فوسّع الهوة بين الملك ووزيره الاول ، تمهيداً لاقالة السعيد من الوزارة واسنادها اليه، ولكن الامور جرت على غير هواه، فصرع الملك قبل الاوان «وتقدرون وتضحك الاقدار»..

الانكليز يتهمون الالمان

تجمعت لدى السفارة الانكليزية في بغداد معلومات كثيرة تثبت ان الدعاية الالمانية المثيرة هي التي روجت «للاتهام القائل بأن الانكليز دبروا المؤامرة».. وقد زود اليهود في بغداد السفارة الانكليزية بأكثر هذه المعلومات، ولا يخفى عداء اليهود وحقدهم على هتلر وعلى الالمان في ذلك الوقت، وكان اليهود يخشون «الدعاية الالمانية في بغداد» لانها خلقت ضدهم تيارات حاقدة تصليهم بأقذع التهم واشنع الاعمال. وكان «الهركروبه» الوزير المفوض من السفارة الالمانية ومعه جماعة «من الاساتذة الالمان»

يوجهون عواطف الطلاب ويشعلون في صدورهم نار العداوة والبغضاء. لكل اليهود وبني صهيون بشكل خاص ، وكانت «الاجواء السياسية والشعور القومي» يساعد على نمو وازدهار الدعاية الالمانية في كافة المجالات. ولهذا نرى السفير البريطاني «السير موريس بيترسن» يحسب الف حساب لهذه الدعاية الطاغية ويستعد لحصر شررها قبل ان تميد لهبها الى «القوة المسلحة» والى بقية الهيئات. فقدم مذكرات متوالية الى رئيس الوزراء بهذا الخصوص . واخيراً استجابت الحكومة الى بعض مطالبه فطردت من العراق الدكتور «يوليوس يوردان» المستشار الأركيولوجي لمديرية الآثار العامة ، والهر هوبر مدرس اللغة الالمانية في الثانوية المركزية في بغداد ، بحجة ان المنشورات التي وزعت على الطلاب واتهمت الانكليز ونوري السعيد بقتل الملك ، قد طبعت في المعهد الأركيولوجي الالماني ببغداد ... وقد نجح السفير البريطاني بتحذير بعض المسؤولين في الحكومة وتحذير افراد الجاليات الاجنبية من دهاء «الهركروبه» وقابلياته في خلق «الاضطرابات» فرفعت وزارة الخارجية العراقية ملاحظات الى وزارة الخارجية الالمانية تلفت نظرها الى نشاط غير مرغوب يقوم به ممثلهم الهركروبه في بغداد ، وتلتمس من الوزارة ان تنبه الهركروبه الى هذه الملاحظات.

الفصل الثامن
محاور وكتل جديدة
«الوزارة السعيدية الرابعة»

جرت التقاليد الدستورية في البلاد البرلمانية ان تقدم الحكومة استقالتها الى الملك الجديد ، فلما تقلد الامير عبدالاله وصاية العرش العراقي «نيابة عن الملك الصغير فيصل الثاني» رفع رئيس الوزراء استقالته اليه، وليعطي له الفرصة في اختيار من يراه لائقاً لرئاسة الوزارة . وهذا نص كتاب الاستقالة:

«حضرة صاحب السمو الوصي على صاحب الجلالة»
«الملك المعظم»

بناءاً على تولي سموكم الوصاية على جلالة الملك فيصل الثاني . اتشرف ان ارفع الى سموكم استقالتي من رئاسة الوزارة . راجياً من الله ان يطيل عمر جلالته ويديم سموكم . مؤيداً بتوفيقاته الصمدانية.

٦ نيسان ١٩٣٩
«العبد المخلص نوري السعيد»

واستقر رأي الوصي على اسناد الرئاسة مجدداً الى نوري السعيد فوجه اليه الكتاب الآتي :

عزيزي نوري السعيد:

تناولت كتابكم المؤرخ ٦ نيسان ١٩٣٩. المتضمن استقالتكم من منصب رئاسة الوزارة. ونظراً لثقتنا بكم ، فاننا نجدد اعتمادنا عليكم. ونعهد اليكم بتأليف وزارة

جديدة.

صدر عن البلاط الملكي في ٦ نيسان ١٩٣٩ المصادف ١٦ صفر سنة ١٣٥٨هـ .

«عبدالاله»

وقدم نوري السعيد اسماء وزراءه الى الوصي . فصدرت الارادة الملكية المرقمة «١٧٤» في ٦ نيسان على الشكل الآتي:

نوري السعيد : للرئاسة ووزيراً بالوكالة الخارجية.

ناجي شوكت : للداخلية

رستم حيدر : للمالية.

محمود صبحي : للعدلية.

طه الهاشمي : للخارجية.

عمر نظمي : للاقتصاد والمواصلات.

صالح جبر : للمعارف.

خطاب للوصي عبدالاله

في الساعة الثامنة من مساء يوم ١٣ نيسان سنة ١٩٣٩ اذاع الامير عبدالاله الوصي على العرش الخطاب التالي من دار الاذاعة اللاسلكية. فكان اول خطاب يبدأ به حياته الدستورية.

«الى اخواننا العراقيين وابناء امتنا العربية»

ما اقسى يد القدر المفاجيء وما اروع تصرف الحدثان.. بالامس كنت ارافق بزهو واعجاب سير جلالة الفقيد الغالي في طريق المجد، فأبتسم لاشراق الامل في طلعته ، واليوم اجدني المؤبن الباكي على ذلك الاخ الذي ترعرعت معه في دوحة فيصل العظيم ، ثم سايرته في السنوات التي اعتلى بها العرش ولم تطلها يد القدر، فكان فيها لشعبه قائداً مقداماً وكان لامته مشعلاً وهاجاً، ولبيته اباً رحيماً ولي خاصة اخاً كريماً وأية فاجعة ان يختطف القدر فقيدنا الغالي، وهو في بدء حملته الكبرى التي قاد بها هذه الامة المكافحة لتحقيق امانيها. ويترك لنا عبئ اكمال ذلك الواجب المقدس.

لاشك ان روحه الطاهرة كانت كبتهجة لما شاهدته في آيات الوفاء الباهرة لذكراه.

تلك الآيات التي كانت تبدو في كل مكان.

إن العواطف النبيلة التي ابدتها الامة في مأتمها على فقيدنا الكبير هي التي حملتني ان اقطع سكون حزني العميق لأتقدم باسم صاحب الجلالة فيصل الثاني وبأسم جلالة الملكة الوالدة والبيت الهاشمي وبأسمي إلى الشعب العراقي الوفي وإلى الامة العربية الكريمة بجزيل الشكر واعظم التقدير، اذ كان من شأن هذه العواطف النبيلة ان تخفف علينا هول المصاب المفجع وان تشجعنا على السير في الطريق التي رسمها لنا سلفنا الصالح لخدمة البلاد.

ايها الشعب النبيل : شاءت الاقدار ان اقوم بأعباء المقام الذي اعتلى بفيصل واضاء بغازي إلى ان يشتد ساعد وديعته العزيز جلالة الملك فيصل الثاني الذي اصبح محط انظار الجميع، وحركة استمرار السلسلة الفيصلية المباركة، فكان عزاؤنا الاعظم تجاه مصابنا الجليل. وكان النبت الطيب الذي تغذيه آمالنا، وتنميه تمنياتنا ، وادعيتنا فاعاهدكم على السير بالامور بعزيمة صادقة، طبقاً للاهداف الغالية المرسومة ومجابهة المستقبل بثقة واطمئنان، مستمداً القوة من فيض هذا الشعور النبيل والمعونة من رجالكم المخلصين، الذين جاهدوا لاقامة هذا الكيان. ونبتهل كلنا الى الله تعالى ان يحرس لنا بعين رعايته هذا الشبل المحبوب وديعتنا جميعاً، وان يسدد خطانا للسير في الطريقة القويمة التي سار عليها البيت الهاشمي في قيادة مقدرات العراق والامة العربية ومن الله التوفيق والسلام عليكم(٧٧)..

اقالة وزير الداخلية

كان السيد امين خالص متصرف لواء بغداد من احب الاصدقاء الى ناجي شوكت ومن المقربين اليه. وكان في الوقت نفسه يعتز بعلاقته الشخصية بحكمت سليمان ، ويحمل اليه في اعماق قلبه حباً قوياً. فكلاهما من «عوائل» كولماندية، تجمعهما الذكريات الجميلة والاواصر المثبتة. وقد بلغت رئيس الوزراء انباء تفيد ان وزير الداخلية بالاتفاق مع متصرف بغداد يريدون خطة «لهرب حكمت سليمان» من سجن بغداد ، وقد تعززت هذه الانباء وبلغت حد اليقين عندما شغرت «مديرية السجون

---

(٧٧) راجع جريدة البلاد ، العدد (١١٧٧) بتاريخ ١٤ نيسان سنة ١٩٣٩.

- راجع جريدة الاستقلال ، ١٤ نيسان سنة ١٩٣٩.

العامة» ، واراد نوري السعيد ان يسندها الى احد ثقاته. ولكن وزير الداخلية اسرع واناط بها وكالة بمتصرف بغداد «امين خالص».. فتألم نوري السعيد من هذا التحدي واسرها في نفسه. وقد تواترت الانباء عن الامتيازات التي حققها امين خالص وكيل مدير السجون العام الى حكمت سليمان ، وكيف اصبح يتمتع بحرية كبيرة خلافاً لانظمة السجن . وانه على وشك ان يستعد للهرب من السجن بفضل «التعليمات» التي يصدرها «امين خالص» وبفضل المساعدات التي يقدمها «موظفو السجن» تنفيذاً لرغبات رئيسهم الاعلى...واراد نوري السعيد ان يحبط كل التدابير التي تسهل هروب حكمت سليمان، فاقترح على وزير الداخلية ناجي شوكت ان ينقل متصرف بغداد الى متصرفية اخرى ، ويعين «مديراً عاماً للسجون» في اقرب فرصة، فأعتذر وزير الداخلية عن تنفيذ هذا الاقتراح وأجل التنفيذ إلى فرصة مناسبة.. فازداد غضب الرئيس وقويت شكوكه.

ايفاد الوزير الى انقرة

وهنا تفتقت ذهنية السعيد عن وسيلة جديدة يتخلص بها من وزيره، فاقترح على مجلس الوزراء ايفاد ناجي شوكت للاتصال بحكومة انقرة واقناعها بتأييد «الحقوق المشروعة للشعب السوري في الاستقلال والحرية» كما مر ذكره مفصلاً في صفحاتنا السابقة. وترك الوزير بغداد متوجهاً الى «انقرة» يوم ٢١ نيسان سنة ١٩٣٩. وبينما كان منهمكاً في اداء واجباته الرسمية، واعداد تقريره الذي تضمن خلاصة «مفاوضاته» مع الجانب «التركي والفرنسي» تلقى برقية من رئيس الوزراء ، يخبره ان ظروفاً طارئة اوجبت عليه ان يعرض على صديقه ناجي شوكت قبول منصب السفير «في القاهرة او انقرة» فامتعض شوكت من هذا السلوك، واعتبر عمل نوري السعيد طعنة نجلاء وجهت الى صميم كرامته، فرفض برقياً هذا العرض المسموم، واعلن انه لايقبل الوظيفة في هذا الجو المشحون بالدسائس، وبقي في انقرة ينتظر تحسن الاحوال.

انتخابات نيابية

اصدرت وزارة الداخلية اوامرها الى متصرفي «محافظي» الالوية للشروع في انتخابات مجلس نيابي بدلاً من المجلس النيابي المنحل. وبدأت الخطوات الاولى في انتخابات الهيئة المشرفة على الانتخابات يوم ٢١ آذار سنة ١٩٣٩.. وانهت انتخابات

كافة اعضاء المجلس النيابي يوم ٢١ مايس ١٩٣٩. وصدرت الارادة الملكية باجتماع مجلس «الامة» «النواب والاعيان» يوم ١٢ حزيران سنة ١٩٣٩. وتقدمت الوزارة بمنهجها «خطاب العرش» الى «الوصي» فألقاه امام مجلس الامة وفقاً لاحكام القانون الاساسية. وبعده جرت المراسيم المعتادة، فانتخب النواب «مولود مخلص» رئيساً كما حدد الاعيان رئيسهم السابق السيد محمد الصدر.

تعديل وزاري

صدرت ارادتان ملكيتان ٢٥ نيسان، تضمنت الاولى اسناد وزارة الخارجية الى السيد علي جودة الايوبي، والثانية باسناد «وزارة الداخلية بالوكالة» الى نوري السعيد بدلاً من ناجي شوكت الذي استقال من منصبه.

الحرب على الابواب

نفضت المانيا غبار الذل والعبودية عن اكتافها، وحطم هتلر سلاسل قيود «معاهدة فرسايل» وقيودها المرهقة. واعاد بناء الجيش الالماني وسلحه وفق قواعد فنية مبتكرة. وفجر في الشعب الالماني روحاً عارمة وثابة تذكره بامجاده العسكرية السالفة. فانتصب «العملاق الالماني» شامخاً في سماء اوربا يهدد ويرعد وينذر ويتوعد، وملأت صيحات «هتلر» اجواء العالم تهدد السلام العالمي بالزوال، وارغم الساسة، والدول الكبرى على الخضوع والاستسلام. فأحتلت جيوشه في فترات متعاقبة «حوض الراين» و «الازلاس واللورين» والنمسا والوديت وضمها جميعاً الى «المانيا الكبرى» والدول العظمى تراقب هذه الانتصارات ذليلة ضعيفة، وقد بدأت انكلترا وفرنسا ومن سار في فلكهما كأنهم اقزام صغار امام البطل الهدار ووقف العالم بأسره مذهولاً من هذه المفاجآت، عاجزاً عن وقف الاعتداءات على الحكومات والشعوب. كما استهجن الزعيم هتلر، قرارات عصبة الامم وانسحب من «العصبة» واستهزء بعقول اقطابها... وانذر الانكليز والفرنسيين بحرب ماحقة ان هم وقفوا في طريقه، وحدوا من اطماعه، فتحمل هؤلاء لطمات الزعيم واهاناته. وتهافتوا على «مؤتمر ميونخ في ٢٩ ايلول سنة ١٩٣٨». وهم يعرضون على الزعيم السلام والاستسلام.. ورضوا للأمر الواقع واعترفوا «بحق المانيا في المساواة مع بقية الدول» واقروا باعتداءات «الزعيم» على الحكومات

الضعيفة. وانفض عقد مؤتمرهم وهم «لا يحلمون» الا بدفع «خطر الحرب». وتأجيل وقوعها ، لانهم في اوضاع عسكرية واقتصادية وسياسية مرتبكة هزيلة « فشعوبهم تكره الحرب وقد ذاقت ويلاتها ، واقتصادهم معرض للهزات والازمات. والبطالة متفشية بين العمال. والضرائب على كثرتها وتعدد انواعها ، عاجزة عن «سد النفقات».. فاذا نشبت الحرب فانها ستهدد النظام الاجتماعي والسياسي بالثورات والانقلابات والفقر والفوضى وقد تتعرض الشعوب الاوربية والعالم «لإستعمار الماني واسع النطاق»..

لهذه الاسباب رفع «الحلفاء» شعار المهادنة ، وتبنوا سياسة الوداعة وضبط النفس لاكتساب الوقت، واستكمال اسلحة الدفاع.

كان الانكليز والفرنسيون ، يعلمون تماماً بأن الحرب واقعة لابد منها «فهتلر والنظام النازي» وفلسفة القومية الالمانية وسيادة العنصر الجرماني «والتشوق الى المجال الحيوي الالماني» ستدفع العالم الى حرب ضروس لا يستطيع العقلاء تقدير مداها ونتائجها وكان السياسيون في البلدين يدركون تمام الادراك ان الاستعداد للحرب يوخر وقوع الحرب، ولهذا انصرفت الحكومات في البلدين الى تهيئة الامكانيات ، وتحشيد كل الطاقات لمواجهة المستقبل وخوض غمار الحرب اذا اقتضت الظروف القاسية وقوعها، وكانا في الوقت نفسه يهادنون «الزعيم» ويتملقون اليه، ويبذلون كل ما وسعهم من الدهاء والذكاء لكسب وده ، وارضاء طموحه «بغية تأجيل الحرب» ولو على حساب حلفائهم الشيك والبولونيين... ولكن هيهات ، فلقد بلغ السيل الزبى ، وسبق السيف العذل فالالمان «يريدون اقتسام الغنائم ، مع الدول الكبرى على قدم المساواة ، ويرغبون في احتلال المستعمرات»، وتوزيع الاسلاب ونهب الشعوب واستغلال الثروات ، وهذه المطامع والمصالح والاحلام لا تتحقق إلا «بالحرب ثم النصر»..

التحفز القومي في العراق

ادرك عقلاء الامة العربية ، وادرك رجالاتها المخلصون وفي طليعتهم الشباب القومي المناضل ان الاستعمار الغربي في دور الاحتضار. وان الانكليز والفرنسيون ، اعداء الامة العربية التقليديون الالداء «الذين امتصوا دمائها واستعمروا بلادها واذلوا احرارها » يعانون سكرات الموت . فهم في اوربا وفي آسيا وافريقيا يتراجعون منذعرين امام القوى الجديدة النامية ممثلة في دول المحور «المانيا ، ايطاليا ، اليابان» وقد

ارهقتهم المآزق الحرجة والازمات السياسية والاقتصادية العصيبة لايزالون يشعرون بأنهم امام قوى جبارة لا يحسنون التعامل معها او الصمود امامها لأن الضعف والوهن والتناقض قد خيم على انظمتهم الاقتصادية والاجتماعية فأصبحوا في حالة شديدة من اليأس والقنوط والتخاذل وتفرق الكلمة فالواجب في مثل هذه الظروف يفرض على احرار العرب وقادتهم ورجال الحكم فيهم ، ان يستغلوا «الفرص الذهبية» ويستفيدوا من الاوضاع السياسية الراهنة. فيحققوا لامتهم «وحدتها الكبرى وسيادتها الكاملة واستقلالها الناجز»...

ان التناحر بين المحور وبين الحلفاء ، والتنافس القائم بينهم في كل ارجاء العالم يوفر على الامة العربية اسباب الظفر ، ويمهد لها طريق النصر والحرية فكلا المعسكرين المتخاصمين يحاول كسب العرب والتودد اليهم. والاعتراف بحقوقهم والفرنسيون والانكليز وهم تحت «مطرقة المحور» اكثر استجابة للاعتراف بهذه الحقوق لأنهم في امس الحاجة الى موارد البلاد العربية المادية والبشرية ولأن هذه البلاد تشكل «قواعد استراتيجية وعسكرية خطيرة بالنسبة الى اهدافهم وخططهم الدفاعية والهجومية» . والامن والاستقرار في هذه البلاد وهي تحت حكمهم عوامل مهمة في «احراز التفوق على المحور» والانتصار عليه في حالة الحرب.

***

جميع هذه الوقائع والظروف حفزت القوميين العرب على تنظيم امورهم وتعيين اهدافهم وتوحيد أساليب نضالهم في العراق وفي الوطن العربي. فانعقدت الاجتماعات بينهم ، وكثرت الندوات والمناقشات وجرت اتصالالت واسعة في مختلف المستويات الشعبية والرسمية.

كان الجميع يستهدفون «استغلال ظروف الحرب لتحقيق اماني الامة العربية في الوحدة والحرية والحياة الكريمة». فالوقت بنظرهم يمر مر السحاب ، والجو السياسي ينذر بالعواصف والكوارث، والحرب على الابواب تدق الاجراس بعنف وقوة .

***

وهكذا بدأ التحرك القومي في العراق قوياً واعياً، مدركاً لاهدافه ، عارفاً بطبيعة مرحلته ، مقدراً لكل المصاعب والعقبات ، حاسباً لقوة اعدائه وشراسة خصومه وعلى رأسهم «الاستعمار واعوان الاستعمار» الف حساب وحساب.

وبدأت روافد «الحركة القومية» تصب قدراتها وطاقاتها في اشكال كثيرة من

«التجمع» «والتكتل» ضمن احزاب قومية سرية ، او «نواد قومية علنية» «او جمعيات قومية طلابية».. وكان القاسم المشترك الاعظم «الوحدة والحرية والكرامة» يوحد بين الجميع ويضرم روح الفداء والاقدام في صدور الجميع .

أقوى المنظمات القومية

وفي نصف الثلاثينيات كانت اقوى المنظمات القومية واكثرها نشاطاً وابعدها اثراً هي :

١- **كتلة الضباط القوميين** : وقد استعرضنا نشوئها ومواقفها. تزعمها العقداء الشهداء « صلاح الدين ومحمد فهمي سعيد ومحمود سليمان وكامل شبيب» اهدافها القومية وتحركاتها الوطنية معروفة من تاريخ النضال القومي داخل العراق وخارجه.. وهي الكتلة الفعالة الاولى «بين الكتل والمنظمات» واليها يرجع الفضل في السيطرة على الجيش العراقي واعداده روحياً وقومياً وعسكرياً للدفاع عن حقوق الامة العربية وحرية العراق واستقلاله. وهي التي صمدت امام الانكليز وتحملت اعباء الحرب معهم عندما أرادوا احتلال العراق «في مايس سنة ١٩٤١م» وكانت مركز الجذب والتوجيه لكافة القوى القومية باعتبارها «القوة المسلحة» التي سيطرت على شؤون الحكم في العراق «من سنة ١٩٣٧ الى سنة ١٩٤١ .

٢- **نادي المثنى** : وقد ضم كفاءات واعية مثقفة من ابرز المفكرين السوريين واللبنانيين والفلسطينيين والعراقيين واصبح «ميثاق النادي» نبراساً تلتزم به «المؤسسات القومية» نصاً وروحاً. وتسير على ضوئه مع اختلافات يسيرة في التنظيم تقتضيها طبيعة الظروف وملابسات الكفاح..

٣- **التجمع الطلابي القومي** : وقد انبثق في نادي المثنى وتحمل اعباء الكفاح القومي في العراق في حدود «امكانياتهم الطلابية»..

٤- **جمعية الجوال العربي** : وقد ذكرنا تاريخ تكوينها وطبيعة اعمالها.

عصبة العمل القومي

تأسست العصبة في سوريا عام ١٩٣٤. وعقدت اول اجتماع لها في «مؤتمر قرنايل» في فندق سعد زغلول في لبنان يوم ٢٤ آب من العام نفسه. وكان المؤسسون نخبة مثقفة واعية من شباب العرب آمنوا «بالوحدة والحرية والعدالة الاجتماعية»

تدارسوا شؤون المجتمع العربي، ووضعوا حلاً لمشاكله «السياسية والاقتصادية والاجتماعية» وذلك على ضوء تجاربه في الكفاح القومي وعلى هدى تجارب الامم المستعمرة التي سبقتهم في الكفاح والتحرر... وقد جاء تجمعهم تمثيلاً صادقاً لشعور الامة العربية في مختلف اقطارها، فكان بينهم «العراقيون والسوريون واللبنانيون والفلسطينيون» وكان بينهم جماعة من الشمال الافريقي ، وحدت بين الجمع عقيدة قومية واحدة.. ومصالح عربية مشتركة واهداف سامية... ومن هؤلاء السادة ١- الدكتور عبدالرزاق الدندشي. ٢- شوقي الدندشي. ٣- الدكتور فريد زين الدين . ٤-منير العيطة. ٥- احمد الشراباتي . ٦- الدكتور عبدالكريم العائدي. ٧- شفيق سليمان. ٨- الدكتور رشيد الجابي. ٩- عدنان الآتاسي. ١٠- اكرم ادلبي. ١١- عبدالكريم الاتاسي. ١٢- عبدالامير احمد الشهابي. ١٣- جلال السيد . وهؤلاء من سوريا .

والسادة ١٤- واصف كمال. ١٦- عزة دروزة. ١٧- ابوالهدى الباقي. ١٨- أديب الرفاعي. ١٩- بدرالدين الصفدي. وهؤلاء من فلسطين.

والسادة ٢٠- كاظم الصلح. ٢١- الدكتور جلال زريف. ٢٢- نيقولا حيز. وهؤلاء من لبنان.

والسادة ٢٣- ناجي معروف. ٢٤- المحامي صادق البصام. ٢٥- المحامي يونس السبعاوي. ٢٦- عبدالمجيد عباس. ٢٧- ثابت العزاوي. ٢٨- سعيد فهيم. وهؤلاء من العراق.

«وضع مؤتمر قرنايل» ميثاقه القومي ، واقره الحاضرون واقسموا يمين الالتزام به والعمل بمضمونه. وخلاصة الميثاق:

١- بذل الجهود وتقديم الاضاحي لتحرير الامة العربية من الاستعمار الاجنبي بكافة اشكاله ومختلف أساليبه.

٢- تأسيس الدولة العربية الموحدة الكبرى ذات الاستقلال الكامل والسيادة التامة من المحيط الاطلسي حتى الخليج العربي .

٣- رفع مستويات الشعب العربي مادياً ومعنوياً وثقافياً والآخذ بوسائل المدنية الحديثة لبناء مجتمع عصري حديث تسوده الحرية والعدالة الاجتماعية والمساواة وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين.

٤- ترك الشعب العربي حراً «في تقرير مصيره» وانتخاب السلطة الوطنية التي تعبر عن امانيه وتدير شوون مجتمعه .

***

واتخذ المؤتمر قرارات اخرى تتعلق بنظامه الداخلي. وترك لاعضائه في البلاد العربية حرية «تأسيس فروع للعصبة». وبث المبادئ التي جاءت في الميثاق والعمل على تنفيذها. كما انتخب المؤتمر لدورته الاولى :

١- السيد عبدالرزاق الدندشي من سوريا «رئيساً». وانتخبوا ٢- السيد ناجي معروف من العراق نائباً للرئيس.

وبدأ الاعضاء في العراق نشاطهم القومي حتى تأسس نادي المثنى بن حارثة فاندمجوا فيه وناضلوا في صفوفه لوحدة العقيدة بين المؤسستين.

الحزب العربي القومي

وفي غمرة لاهبة من العواصف والاحاسيس الوطنية، وتجاوباً مع الروح القومية العارمة ، واستعداداً لاستغلال ظروف الحرب وتحديد موقف العرب منها اجتمعت نخبة من القوميين وقرروا ان ينشئوا حزباً سياسياً «اسمه الحزب العربي القومي» يأخذ على عاتقه :

١- تنظيم النشاط القومي في العراق وفي البلاد العربية.

٢- توجيه الحركة القومية توجيهاً هادفاً ينسجم مع ظروف الحرب الثانية.. على ان يكون «سرياً» وعلى نمط الخلايا، وذلك تحرراً من قيود السلطة الحاكمة وتخلصاً من رقابتها القانونية... فلقد اعلنت الحكومات في البلاد العربية حالة الطوارئ. وفرضت انواع القيود على الاحزاب والمؤسسات القومية وعاجلت احرار العرب بطعنات مميتة جعلت «العمل العلني» محظوراً «شائكاً» .

كان من بين هؤلاء القوميين «السادة ١- محمد درويش المقدادي مؤرخ الامة العربية . ٢-الدكتور كاظم الصلح. ٣-الاستاذ واصف كمال. ٤- الاستاذ ممدوح السخن. ٥-الدكتور سليم النعيمي. ٦-الدكتور عبدالكريم العائدي. ٧- الدكتور ناجي معروف. ٨-الاستاذ صديق شنشل. ٩-الدكتور فريد زين الدين. ١٠-المحامي يونس السبعاوي. وانتخب المكتب السيد محمد درويش المقدادي سكرتيراً «للمكتب السياسي ، كما انتخب الدكتور سليم النعيمي «مراقباً عاماً» للحزب العربي القومي...

وبدأ هؤلاء يفاتحون القوميين ويقبلون لعضوية الحزب من توفرت فيه شروط معينة ، وسلوك معين[(٧٨)].

***

اعتمد الحزب العربي القومي «ميثاق نادي المثنى وميثاق العصبة» والتزم بهما نصاً وروحاً. ذلك لان الذين اسسوا الحزب هم من بين الذين صاغوا هذين «الميثاقين». وهم الذين صوروا «ملامح العقيدة القومية» ورسموا هيكلها «السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي» في فترة الثلاثينات. وكانوا مع اخوانهم «القوميين المستقلين» قد اعدوا الحركة القومية ديناميكية قوية وروحاً ثورية.

ولا يخفى على القارئ ان العقائديين في هذه «الحقبة» كانوا امام قوى استعمارية جبارة ظالمة بسطت اجنحتها الحديدية على قلب الوطن العربي، وحكمت شعوبه بالحديد والدم والنار. ولا يستطيع العرب في مثل هذه الحال ان يحققوا استقلالهم ويثبتوا «وحدتهم» إلا بزوال الاستعمار ، وزوال قواعده وعملائه من ارجاء الوطن العربي »شمالاً وجنوباً ، وشرقاً وغرباً».. ولهذا السبب اهتموا كثيراً «بالكفاح السياسي القومي» وتنظيم اساليبه... وجعلوا هدفهم الاساسي الاول «الاستقلال والوحدة» وحرصوا في مناهجهم «على وحدة الشعوب العربية وتماسك طبقاتها وتضامن فئاتها المختلفة . لتخوض الحرب مع «الاستعمار» جبهة قوية موحدة. لاخلاف يصدع صفوفها ولا منازعات طبقية تشتت قواها .. فطبيعة المرحلة السياسية التي كانوا يجتازونها علي الامة العربية الاهتمام كلياً «بحرب التحرير والاستقلال» والاستعداد لهذه الرب وتوفير وسائل النصر والظفر فيها .. ولعين السبب ارجئوا «التعمق في بحث المضمون الاجتماعي والاقتصادي للقومية العربية. ولم يتعرضوا كثيراً الى «المشاكل الاقتصادية القائمة». وهيئوا مناهج «الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي والتكامل الاجتماعي» لتطبق بعد ان يستنشق العرب عبير الحرية ويتمتعوا بثمار الاستقلال والظفر .

حيث يكون المجال مفتوحاً امام «الدولة العربية المستقلة» ان تبدأ ثورة شاملة

---

(٧٨) ان اعضاء المكتب السياسي: ١-محمد درويش المقدادي. ٢-واصف كمال. ٣-ممدوح السخن. ٤-فريد يعيش من القطر الفلسطيني الشقيق. ٥-كاظم الصلح من القطر اللبناني الشقيق. ٦-فريد زين الدين. ٧-عبدالكريم العائدي من القطر السوري الشقيق ، واما الآخرون منهم من العراق.

«في البناء والاعمار في كافة الشؤون والمرافق»...

***

انتسب الى الحزب اعداد كبيرة من المحامين والاطباء واساتذة الكليات والثانويات ومن المثقفين عموماً. وركز الحزب جهوده في اوساط الطلاب فأجتذب منهم فصائل مختارة نشيطة. وتغلغلت خلايا الحزب في «الكلية العسكرية ، والثانوية العسكرية ومدرسة الشرطة» وفي «كلية الحقوق » لانها مشعل الافكار الثورية والمفاهيم الديموقراطية. واصبحت قاعدة «الطلاب» في الحزب تضطرم وعياً وحماساً ونشاطاً. واصبحت مصدر اشعاع ثوري يهدد الاستعمار وعملاء الاستعمار بالويل والثبور وعظائم الامور. وكيف لايكون الطلاب بهذه المستويات؟ وهم يتوقدون وطنية واخلاصاً واقداماً؟!..

ونظراً لاهمية هذا «القطاع» فقد انتخب المكتب السياسي السادة:

١- الدكتور سليم النعيمي. فأصبح مسؤولاً عن طلاب الكليات والمدارس العالية .

٢- الاستاذ ممدوح السخن ، واصبح مسؤولاً عن طلاب الثانويات في منطقة بغداد.

٣- المحامي حازم المفتي ، مسؤولاً عن منطقة الموصل وعن جميع طلابها. والمحامي ابراهيم وصفي مسؤولاً عن المحامين.

٤- الاستاذ صديق شنشل مسؤولاً عن «المثقفين» في منطقة بغداد ، ومنهم «المحامون والاطباء والمهندسين والصيادلة»..

٥- السيد فريد يعيش(٧٩)واصبح مسؤولاً عن «فصائل» من المناضلين السوريين والفلسطينيين.

٦- السيد واصف كمال والدكتور فريد زين الدين والاستاذ الدكتور كاظم الصلح ، وقد تولوا «مسؤولية التوجيه الثقافي والنشر والاعلام».

٧- الدكتور ناجي معروف والدكتور العائدي «ضباط ارتباط» بين الحزب والمؤسسات خارج العراق .

---

(٧٩)من الخلايا التي كان لها نشاط كبير في منطقة بغداد. ١-خلية السيد فريد يعيش، ومن اعضائها عبدالمحسن الدوري المحامي - قاسم حمودي المحامي. الدكتور عبدالكريم كمونة. الدكتور عبدالحميد الهلالي. الدكتور عباس كاشف الغطاء. الدكتور جابر عمر.

نظرة الحزب الى الحكم في العراق

اعتبر الحزب الطبقة الحاكمة في العراق طبقة عميلة، تحالف الاستعمار وتخدم مصالحه وتسير في ركابه... وقد اعلن الحزب الحرب عليها وسحب ثقته منها وقد شذ عن هذه الطبقة اقلية مخلصة تشبعت بالروح الوطنية وواكبت الجهاد القومي. وكافحت الاستعمار وهيئت نفسها وطاقاتها لخدمة «العراق والامة العربية» فقرر الحزب ان يتعاون معها في هذا المجال للتوافق الحاصل في «الاهداف والغايات»..

***

وكانت العلاقة بين الحزب «وكتلة الضباط القوميين» قوية «والمشاورات مستمرة» ولا اعدو الحقيقة اذا قلت ان الكتلة العسكرية هي التي اقترحت على اقطاب الحزب ان يشكلوا «قوة سياسية مدنية» تساعد وتؤازر الكتلة العسكرية في كفاحها القومي المرير داخل العراق وخارجه. وقد اعتبر الحزب بنظر المراقبين السياسيين «جناحاً مدنياً» للكتلة العسكرية القومية ، يناضلان جنباً الى جنب لتحقيق اماني الامة العربية واهدافها. وكان الجناحان يتبادلان الآراء والافكار والنصائح اثناء الازمات السياسية ، ويقفان صفاً واحداً ضد الاستعمار واعوان الاستعمار. وكثيراً ما احبط الحزب مخططات صهيونية وانكليزية دبرت لاذلال العراق وانتقاص سيادته، وكشف عن تحركات ومناورات حاكتها الطبقة الحاكمة لاضعاف الشعور القومي واطفاء جذوته.

موقف الحزب سياسياً من احداث الحرب

واجه العراق ثلاثة اتجاهات سياسية قوية ازاء المعسكرين المتحاربين وتبلورت هذه الاتجاهات على ضوء «تقدير الموقف العسكري» يومذاك وهي[٨٠]:

١- الانحياز المطلق الى جانب الحلفاء وبريطانيا خاصة بدون قيد ولا شرط. ، وتبنى هذا الاتجاه الوصي على العرش ونوري السعيد ، وعلي جودة ، وجميل المدفعي ،

---

(٨٠) راجع «حركة رشيد عالي الكيلاني «رسالة ماجستير» اسماعيل احمد باغي.

- المانيا الهتلرية والمشرق العربي «لوكازهيرزويز.

وتوفيق السويدي ، ورضا الشبيبي ، ومصطفى العمري. وابراهيم كمال .

وكان نوري السعيد يعتقد ان ميثاق عدم الاعتداء الروسي الالماني سوف ينهار. وان هتلر سيهاجم روسيا وعندئذ ستقرر «هزيمة المانيا والمحور».

٢- اما الاتجاه الثاني فكان يرى وجوب مساومة الحليفة بريطانيا لكي يقرر العراق مصيره الى جانبها ومطالب العراق الاساسية في المساومة هي الحصول على وعد من بريطانيا وفرنسا بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وحق سوريا ولبنان في الاستقلال . وتسليح الجيش العراقي ليكون قادراً على تحمل نصيبه من المجهود الحربي العام بدلاً من عجزه الذي هو عليه الآن. ومساعدة العراق مالياً ، واقتصادياً ليجتاز ازمة الحرب دون ضنك او عناد شديدين وعدم التورط في الحرب لان العراق احوج ما يكون الى الابتعاد عن ويلات الحرب ليستطيع القيام بعمله الانشائي في جو يسوده الاستقرار والطمأنينة..

وقد تبنت هذا الاتجاه «الكتلة العسكرية القومية» ومن الوزراء رشيد عالي الكيلاني ، وناجي شوكت ، وناجي السويدي ، وطه الهاشمي ورستم حيدر. ومن النواب جمال المفتي وعبدالقادر السياب وروفائيل بطي ويونس السبعاوي وصادق البصام وصادق حبة وعبدالوهاب محمود وعبدالواحد الحاج سكر وعلوان الياسري، وكانت هذه الجماعة تناصر «الكتلة العسكرية القومية» داخل المجلس النيابي وخارجه، وقد وحدث بين الجماعتين «الاهداف القومية المشتركة» والمصالح الوطنية العليا. وقد بدأ الحزب العربي القومي في هذا الاتجاه ايضاً وعمل على سيادته .

٣- الاتجاه الثالث يقضي بوجوب التريث في عدم الانحياز لأي من المعسكرين المتحاربين الى ان ينجلي الموقف العسكري في الشمال الافريقي حيث تنهار مقاومة الحلفاء وتدخل روسيا بجانب المحور، فيعلن العراق الحرب على الحلفاء بعد ان يستحصل من المانيا وايطاليا مواثيق وعهود وتصريحات تحقق «حرية البلاد العربية واستقلالها» وقد تزعم هذا الاتجاه بعدئذ «مفتي فلسطين» الحاج امين الحسيني ، وكثير من شباب العرب المتطرفين الذين بهرتهم الانتصارات الالمانية العسكرية، واعتقدوا جازمين بأن النصر سيكون بجانب المحور لامحالة.

العراق يقطع علاقاته السياسية مع المانيا

في اليوم الثالث من ايلول سنة ١٩٣٩ اعلنت بريطانيا الحرب على المانيا، وحذت فرنسا حذوها فاعلنتها يوم ٥ ايلول سنة ١٩٣٩. واتجهت بريطانيا الى العراق تناشده اعلان الحرب على المانيا بصفته «حليفاً لها» وفق نصوص معاهدة سنة ١٩٣٠م. وزار السفير الانكليزي السير «بازل نيوتن» وزير خارجية العراق علي جودة الايوبي وابدى رغبة الحكومة الانكليزية في هذا الموضوع، فعرض الوزير الامر على نوري السعيد رئيس الوزراء، فطلب هذا عقد اجتماع مستعجل لمجلس الوزراء في البلاط الملكي برأسة الوصي على العرش عبدالاله» في ٥ ايلول للبحث في الوضع الدولي وموقف العراق من اعلان الحرب»... وفي الاجتماع عرض نوري السعيد «اقتراحه» المتضمن اعلان الحرب فوراً على المانيا، نزولاً على احكام معاهدة التحالف والصداقة بين العراق وبريطانيا.. وقد رفض هذا الاقتراح وزير الدفاع طه الهاشمي وايده فريق من الوزراء، وحصلت مناقشة عنيفة بين الرئيس ووزرائه، واخيراً تدخل الوصي واقترح حلاً وسطاً للموضوع «وهو الاكتفاء بقطع العلاقات السياسية مع المانيا» الى ان يقرر العراق موقفه الاخير على ضوء الاحداث والتطورات الدولية، فوافق الحاضرون على هذا الاقتراح وانفض مجلس الوزراء، ونوري غير راض عن هذه النتيجة، وقد غلب على امره وليس في «الامكان ابدع مما كان».. وصدر البيان الرسمي التالي:

«بيان رسمي»

قرر مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة في تاريخ ٥ ايلول قطع العلاقات بين الحكومتين العراقية والالمانية وتسفير جميع الرعايا الالمان خارج العراق.

التوقيع
مدير الدعاية العام

وعلى هذا الاساس وبعد ان قطعت العراق علاقاته مع المانيا، ردت الحكومة الى الرعايا الالمان المقيمين في العراق جوازات سفرهم ، واما رجال الهيئة السياسية الالمانية فقد تسلموا جوازات سفرهم وتركوا العراق وسافروا الى بلادهم عن طريق سوريا ولبنان ، وصدر بهذا الشأن البيان الرسمي التالي :

«اعطى لمعالي الدكتور غروبة وزير المانيا المفوض في بغداد جواز سفره وقد غادر العراق مع افراد حاشيته الى سورية يوم ٦ ايلول ١٩٣٩ بعد الظهر، كما انه ابرق الى القائم بالاعمال المفوضية العراقية في برلين ان يطلب من الحكومة الالمانية اعطاء جواز سفر لمغادرة المانيا مع موظفي المفوضية العراقية هناك

بغداد ٦ ايلول

مدير الدعاية العام

***

وفي يوم ٨ ايلول ابرق «الوصي» عبدالاله الى ملك بريطانيا البرقية التالية

صاحب الجلالة الملك جورج السادس. قصر بكنهكهام . لندن

«في الظروف الدولية العصيبة الحاضرة ، يدفعني واجب الصداقة وشرف الوفاء بالعهد الى الاعراب لجلالتكم عن تمسكنا حكومة وشعباً بمعاهدة التحالف المعقودة بيننا نصاً وروحاً، وعن عزمنا الراسخ على بذل كل ما وسعنا للسير بعين الروح مع حليفتنا العظمى حتى ينتصر الحق والعدل وتسود المبادئ السامية التي دخلتم الحرب من اجل الدفاع عنها».

وقد تلقى الوصي على العرش جواباً على برقيته هذا نصه:

«صاحب السمو الملكي الامير عبدالاله. الوصي على عرش العراق. بغداد

لقد تأثرت جداً ببرقية سموكم الملكي المعبرة عن عزم العراق الراسخ حكومة وشعباً للتعاون مع حكومتي بموجب المعاهدة التي تربطنا. ان عمل الحكومة العراقية هذا لدليل آخر على الصداقة المتينة والاخلاص المتبادل بين شعبنا . ان حكومتي تقدر جداً ما جاء في برقيتكم من التشجيع للقيام بواجبنا في مقاومة القوة المعتدية واني اؤكد لسموكم انه اذا ما اصيب العراق بأهوال الحرب ، فان حكومتي ستقوم بتعهداتها بنفس روح الوفاء والعدل.

«جورج،آر.أي» السادس

استياء عام في قطع العلاقات

عندما اطلع الرأي العام على قرار الوزارة السعيدية بقطع العلاقات السياسية مع المانيا ساوره الغضب وتملكته الدهشة في هذا الخطأ الجسيم الذي تورطت فيه الحكومة العراقية. وهاجم السياسيون هذا القرار واعتبروه خطوة جريئة تسيئ الى العلاقات الودية بين العراق وبين دول «المحور» من جهة ، وتعرض كيان العراق ومصالحه الى اخطاء جسيمة ومشاكل سياسية معقدة من جهة اخرى. وكان على الوزارة السعيدية وهي تقود العراق في ظروف غضيبة ان تلتزم بسياسة «الحياد» فهي انضج سياسة «تضمن مصالح العراق وتنقذه من ويلات الحرب»وتعرض القرار الى نقد شديد في مجلس النواب والاعيان، وامتعض منه القوميون عموماً وخاصة «كتلة الضباط القوميين» «والحزب العربي القومي» «ونادي المثنى» واللاجئون السياسيون «من السوريين والفلسطينيين»، واعتبروا هؤلاء قطع العلاقات مع المانيا «مقدمة سيئة» لمخطط انكليزي ينفذه «دعاة الحرب مع المحور» وفي مقدمتهم نوري السعيد. وبدأت حملات التشكيك والتجريح تنهال على نوري السعيد من هذه الكتل ومن جماعات اليسار ايضاً «كامل الجادرجي والشيوعيون». لأن قطع العلاقات بنظر اليسار مع المانيا وكانت يومذاك مرتبطة مع روسيا بميثاق عدم الاعتداء يضعف كما كانوا يقولون «جبهة السلام» : وهو زعم سخيف مالبث اليساريون ان نبذوه لما هاجمت المانيا حليفتها روسيا في حزيران سنة ١٩٤١م. ووقفوا يؤيدون بحماس «اعلان الحرب على المانيا»..

خطاب يوجهه نوري السعيد عبر الإذاعة

سادتي: مما يدعو الى شديد الاسف ان الازمة العالمية قد تطورت تطوراً خطيراً ان ينذر باندلاع حرب عالمية شاملة قد يتطاير شررها الى بلادنا، ونحن بصفة كوننا عراقيين ننتسب الى دولة صغيرة فتية لايسعنا إلا الاعراب عن مزيد اسفنا لهذا التطور الخطير، وشديد نفورنا من اية سياسة ترمي الى الاتجاه الى العنف والشدة في معالجة المشاكل الدولية. واننا نرى ان كل سياسة من هذا النوع تعد خطراً مؤكداً على

مستقبل الدول الصغيرة.

اما السياسة التي تلائمنا والتي تؤيدها ونعضدها بكل قوانا هي سياسة الحق والعدل المستندة الى روح التفاهم والانصاف لخير العالم اجمع. ان الميل الى الاخذ بواحدة من هاتين السياستين قد قسم دول العالم الى كتلتين متباعدتين كما ترون. وبرغم من ان الازمة الحالية وحوادث القضاء على استقلال بعض الدول المستقلة تدل على صدوف بعض الدول عن السياسة السلمية التي نحبذها واننا نرجو من اعماق قلوبنا ان يتغلب العقل على العواطف في اللحظة الاخيرة ويسلم العالم من حرب ضروس تعم ويلاتها الغالب والمغلوب على حد سواء.

ان موقف العراق بالنسبة الى الظروف العالمية بيّن واضح لا يكتنفه شيئ من الغموض والابهام فالعراق مرتبط ببريطانيا العظمى بمعاهدة تحالف من سنة ١٩٣٠. وتتألف المادة الرابعة من هذه المعاهدة في ثلاث فقرات :

أ- اذا اشتبك الفريقين المتعاقدين في حرب «تعذر عليهما تسوية النزاع الذي نشأ عنه بالوسائل السلمية. يبادر الفريق الآخر الى معونته بصفة كونه حليفاً.

ب- في حالة خطر محدق يبادر الفريقان المتعاقدان فوراً الى توحيد المساعي في اتخاذ تدابير الدفاع المقتضية.

جـ-ان معونة صاحب الجلالة ملك العراق في حالة حرب او خطر حرب محدق تنحصر في ان يقدم الى صاحب الجلالة البريطانية في الاراضي العراقية جميع مافي وسعه ان يقدمه من التسهيلات والمساعدات ومن ذلك استخدام السكك الحديدية. والانهر والموانئ والمطارات ووسائل المواصلات.

ويتضح من هذا ان العراق بصفة كونه حليفاً لبريطانيا ، ليس مكلفاً بالقيام في اي امر في حالة اشتراك حليفته في الحرب سوى تسهيل المواصلات داخل العراق ولا يترتب عليه الاشتراك في الحرب في اي ميدان كان ، اما اذا هوجم وهذا مستبعد «فيدافع حينئذ عن حدوده»..

ولما كان من المتوقع ان تنشط الدعايات المختلفة لمصلحة الاجانب حول هذا الموضوع فانني احذر الرأي العام من هذه الدعايات..

«سادتي»

يوجد بيننا بعض المخلصين الذين يعتمدون على العاطفة في بلوغ آمالهم

الوطنية من غير ان يحسبوا حساباً للظروف والزمان والمكان (ويعني السعيد بقوله هذا «القوميين المتطرفين» كما توجد بيننا طائفة من النفعيين الذين لايرون سعادة للعراق إلا بحصولهم على يطمعون في منافع. وهناك فئة من المأجورين باعث ضمائرها إلى الاجانب فهي تعمل لحسابهم بأساليب منمقة ودعايات خلابة مستغلة عاطفة المخلصين بشرور النفعيين.

سادتي: اني اعلن هنا ان سياسة الحكومة العراقية تتمركز في سلامة العراق قبل كل شيئ. وهذه السلامة ليست لخير العراق فحسب بل لخير العالم العربي اجمع، لذلك سنحرص الحرص كله على ان لا نفسح المجال لأي كان للاساءة الى سلامة العراق على اية صورة كانت والله المسؤول ان يوفقنا الى مافيه الخير والسداد.

***

وبعد ايام[٨١] القى وزير الدفاع العميد الركن طه الهاشمي خطاباً يتضمن نفس الاسس والآراء.

زعيم فلسطين المفتي الحسيني في بغداد

الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين، شخصية جذابة، تتمتع بذكاء وقاد، وبصيرة نافذة وفكر جوال لايستقر على قرار، جميل الوجه ابيض البشرة، ذو عينين زرقاوين يشع منهما بريق خاطف، وقد نبتت حول ذقنه لحية قصيرة اضفت على قوامه وزادة، وقاراً، تجمعت فيه عناصر الزعامة فهو من اسرة كبيرة في فلسطين لها مقامها ونفوذها بين الشعب. وهو شاب مثقف واسع الثقافة يتدفق حيوية ونشاطاً، وهو شجاع مقدام ومغامر يحب اقتحام الاهوال، فهو بطبيعته وحكم ظروفه. قومي متطرف يؤمن بالحرية والوحدة العربية، ويكره الاستعمار الانكليزي، والغزو الصهيوني الى ابعد حدود البغض والكراهية. ويعتقد ان الاستيطان اليهودي في فلسطين وانشاء الدولة الصهيونية فيها بمساعدة الانكليز، يهددان الامة العربية بأشد الاخطار، وافدح النكبات.

قاد الكفاح الثوري المسلح في فلسطين ضد الانكليز واليهود من سنة ١٩٢٠ حتى سنة ١٩٣٧م وأصبح الزعيم المحبوب ليس في فلسطين فحسب بل في اقطار الامة

---

(٨١) راجع جريدة البلاد، العدد (١٣١١) تاريخ ٢٢ ايلول سنة ١٩٣٩.

العربية كلها فهو ينظر العرب والفلسطينيين والمسلمين يمثل «اماني الامة العربية» ويمثل أروع صور التضحية والجهاد من اجل «الحرية والاستقلال». وقد تألق نجمه في سماء الكفاح العربي ردحاً طويلاً من الزمن.. وبلغ الذروة عندما اعلن الثورة المسلحة على الانكليز واليهود سنة ١٩٣٦... فغمرت شهرته آفاق العالم وصورته «الدعاية الغربية والدعاية العربية» بطلاً قومياً من ابطال الأساطير...

اعتصم في المسجد الاقصى عندما حاول الانكليز اعتقاله بعد فشل ثورة ١٩٣٦م وبقي في المسجد مدة طويلة، وترك المسجد متخفياً ، ووصل بيروت عن طريق البحر سالماً بطريقة حيّرت الانكليز واليهود ، وافقدتهم ثقتهم بسلطات أمنهم واستخباراتهم. وبقي في بيروت يشرف على نضال الثوريين الفلسطينيين وغيرهم بالمال والسلاح. مستفيداً من النزاع والتنافس بين الفرنسيين والانكليز . فلما اعلنت الحرب في ٣ ايلول سنة ١٩٣٩ وتحالف «الخصمان» انكلترا وفرنسا من جديد، شددت سلطات الانتداب الفرنسي الرقابة على المفتي ووضعته في «حراسة قوية».. وقررت اعتقاله وتسليمه الى «حكومة فلسطين» . وقبل ان تنفذ قرارها شعر المفتي بمخططها، فهرب من لبنان تحت جنح الظلام واجتاز سوريا متخفياً ، والتجأ الى العراق في يوم ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٣٩، والسلطات الفرنسية تجهل كل الجهل كيف استطاع المفتي ان ينجو من رقابتها وكيف ظلل رجال الآمن ومرق من شباكهم. ووصل الى العراق، مرفوع الرأس ، ثابت الجنان...

***

وأقبل زعماء العراق وكبار ساسته وعلمائه وذوو الشأن فيه ، وأقبل رؤساء الاحزاب والكتل والهيئات الوطنية والقومية، يهنئون المفتي على السلامة والكرامة وتدفقت مواكب حاشدة من الطلاب والمهنيين ورؤساء العشائر والحارات تعرض ابتهاجها وسرورها بقدوم «الضيف الكبير».. وانهالت على المفتي وجماعته سلسلة من الحفلات والدعوات.. فقبلها شاكراً للعراقيين كرمهم ونبل عواطفهم. ثم انقطع في داره طلباً للراحة من وعثاء السفر واستعداداً لمواجهة المستقبل.. وقد اعلنت الحكومة العراقية اعتبار المفتي لاجئاً سياسياً يقيم في وطنه وبين اهله وقومه.. على الرغم من احتجاج الحكومة البريطانية وتذمرها «من وجود الخصم العنيف اللدود» في العراق.

كانت احداث الحرب الثانية تتلاحق بسرعة مدهشة . وكان الرأي العام في العراق يغلي كالمرجل فالقوميون وهم اسياد الموقف لايتعاطفون مع الانكليز والفرنسيين لانهم

اعداء مستعمرون ظالمون وكان المفتي يحمل نفس المشاعر تجاه هؤلاء، وخاصة الانكليز نهم اخوان اليهود وحلفاء الصهيونية .

وهكذا فرضت الظروف القاسية على المفتي «كزعيم لفلسطين» وسياسي عربي كبير وقد «اصبح في العراق مناط الآمال ومهوى الافئدة والقلوب» ان يساهم في امور السياسة ويتعاون مع اخوانه القوميين في حلبة النضال القومي ، ويشترك مع زعماء العراق والعرب في توجيه السياسة القومية، وكان له من تاريخه اللامع وزعامته الساحرة، ما يؤهله لمركز الصدارة والقيادة ، ولهذا اتجهت اليه الكتل القومية «الضباط القوميون، نادي المثنى ، الحزب العربي القومي» وتوجه نحوه رجال الحكم والسياسيون المستقلون ، يستشيرونه في حل الازمات والتوفيق «بين الزعامات المتنافرة» ، وكان لايبخل على هؤلاء بالرأي السديد، والفكرة الصائبة.

واخيراً وبعد ان ولج المفتي ابواب السياسة العراقية ، ووضع يده على اسرارها ، واصبح في دورة التسلط والنفوذ، دخل في صراع خفي حيناً وسافر احياناً أخر مع اعوان الانكليز في العراق وخاصة اولئك السياسيين الذين يرفضون «سياسة الحياد» ويقولون بدخول الحرب جنباً الى جنب مع الحليفة بريطانيا العظمى ، وفي مقدمة هؤلاء «الوصي عبدالاله ، ونوري السعيد وجميل المدفعي وعلي جودة الايوبي».

تعاطف بين الكيلاني والكتلة القومية

بلغ الاختلاف في الرأي والتنافس على السلطة بين رشيد عالي ونوري السعيد حداً عظيماً في سنة ١٩٤٠م، وقد احتدم الاختلاف عندما تبنى رشيد عالي «سياسة الحياد» والترقب وعدم الانحياز، بينما اشتط السعيد في موقفه وتبنى سياسة الانحياز الى الحليفة بريطانيا ، واعلان الحرب على عدوتها المانيا .

وقد رغب الكيلاني ان يقوي علاقته «بالكتلة العسكرية القومية»، فإنها صاحبة الكلمة العليا والقول الفصل في امور البلاد، وبيدها استقر «ميزان القوى» في العراق . ففاتح نائبي الموصل السيدين جمال المفتي ويونس السبعاوي بهذه الرغبة ، وكانت علاقتهما بالكتلة العسكرية وبرشيد عالي قديمة وقوية، فلقد وثقت بين الرجلين وبين الكيلاني ظروف الكفاح الوطني وربطتهم بأمتن الصلات وكذلك كان «النائبان الموصليان» عضوين في الكتلة القومية منذ سنة ١٩٣٤م، ولهما عند «الضباط مكانة محترمة ورأي مطاع».. واتصل النائبان بالعقيدين صلاح الدين الصباغ ومحمد فهمي

سعيد ، ونقلا اليهما رغبة الكيلاني وحبذا لهما التعرف على سياسته والتعاون معه لانه سياسي مغامر يتحمل التبعات في احرج الظروف واعنف الازمات، والكتلة بحاجة الى مثل هذا الرجل الطموح المقدام وهو يحمل نفس آرائهم في مجال السياسة العراقية والعربية. وقد استجاب العقيدان صلاح الدين ومحمد فهمي لهذا الرأي ودعوا السيد رشيد عالي الى حفلة شاي في دار السد صلاح الدين حضرها محمد فهمي سعيد ومحمود سليمان وحضرها المفتي الحسيني وجمال المفتي ويونس السبعاوي . وتم التفاهم والتعاون بين رشيد والمفتي من جهة وبين الكتلة العسكرية من جهة اخرى وكانت هذه الحفلة مقدمة «لتعاون وثيق على نطاق واسع بين هذه الاطراف، ظهرت نتائجه بشكل جلي واضح في احداث سنة ١٩٤١ المعروفة .

اجتماع مجلس الامة

اجتمع مجلس الامة «الاعيان والنواب» يوم ١ تشرين الثاني سنة ١٩٣٩ ، وعقد مجلس النواب اثنين وثلاثين جلسة برأسة «السيد مولود مخلص»، وعقد مجلس الاعيان عشرين جلسة برأسة «السيد محمد الصدر» وقدمت الوزارة السعيدية الى مجلس الامة «منهاج عملها» او ما يسمى عادة «خطاب العرش».. وقد ذكرت الاعمال التي ستقوم بها ، واعلنت الخطط التي سوف ينتهجها في حقلي الشؤون الداخلية والسياسة الخارجية .

احداث وزارة الشؤون الاجتماعية

كانت الحكومة السعيدية قد اصدرت مرسوماً برقم «٥٦» يتضمن احداث وزارة اسمها «وزارة الشؤون الاجتماعية». والحقت بهذه الوزارة ١- مديرية السجون العامة. ٢-مديرية «الصحة» و «النفوس» «والعمال والضمان الاجتماعي».. وقد احيل هذا المرسوم على المجلس النيابي في جلسته المنعقدة يوم ١٥ تشرين الثاني. فوافق عليه المجلس واصبح بمثابة «القانون». وعين سامي شوكت وزيراً لهذه الوزارة الجديدة.

اغتيال رستم حيدر وزير المالية

ينتسب رستم حيدر الى عائلة كريمة تسكن مدينة بعلبك، من اعمال لبنان. وقد ولد الفقيد فيها، واكمل دراسته «الاعدادية الشاهانية» في بيروت ثم التحق في جامعة

السوربون في باريس، وتخرج منها ، وكان من الطلاب الاذكياء والذين دعوا الى «تحرير الامة العربية ووحدتها الكبرى» .. وقد الضم قبيل الحرب العالمية الاولى الى «جمعية الفتاة العربية» وتعاون مع اخوانه القوميين في ساحات العمل السري والعلني في سبيل أنقاذ بلاده من حكم الاتراك... وفي خلال الحرب وفي سنة ١٩١٧م التحق بالثورة العربية في الحجاز، وتعرف بالملك فيصل الاول. واصبح مستشاره السياسي والاقتصاديّ وكاتم اسراره. وفي سنة ١٩١٨ دخل الملك فيصل الشام وتوج ملكاً على سوريا، فكان رستم في معيته يدبر الامور بحكمة ويوجه السياسة بدراية وحصافة . ثم انهار العرش السوري، واحتل غورو قائد فرنسا مدينة الشام، فتركها فيصل مضطراً وتوجه الى اوربا، وزامله رستم في غربته ، وحضر معه مؤتمرات السلم والصلح ، في لندن وباريس وكان نبوغه وقوة شخصيته تجذبان اليه انظار السياسيين فيحظى باحترامهم ، وفي سنة ١٩٢١ توج الملك فيصل ملكاً في العراق فكان رستم وزير البلاط واصلب سهم في كنانته وانيس وحدته في الملمات والنكبات والأزمات.

اعتمد عليه الملك اعتماداً كلياً لانه صديق وفيّ لاصدقائه صريح في آرائه ، لايعرف الخداع والتضليل ، واعتمد عليه ايضاً لكفاءاته العالية ، وثقافته الواسعة . فهو طاقة خلاقة جمعت بين الثقافتين الغربية والاسلامية ، فكان في الاقتصاد والاجتماع وعلم المال استاذاً متضلعاً واسع الافق عميق النظرات وكان في السياسة بارعاً مرناً واسع الحيلة لايشق له غبار.

صحب الملك فيصل في زياراته لانكلترا وفرنسا وايران وتركيا وقام بدور المترجم الحاذق بين الملك وبين رؤساء الدول والحكومات لانه يجيد اللغات الانكليزية والفرنسية والتركية احسن الجودة وينطق بها ويكتب فيها كأحد أدبائها البارزين.

اشغل وزارة المالية ، في وزارتي السعيد الاولى والثانية سنة ١٩٣٠م، ثم اعيد وزيراً للبلاط. وفي عهد الانقلاب العسكري سنة ١٩٣٦م. اصابه الاضطهاد فغادر البلاد متخفياً بعد ان استقال من منصبه . فلما زال العهد البغيض عاد الى العراق مع اخوانه المنفيين. وانتخب نائباً في المجلس النيابي زمن الوزارة المدفعية سنة ١٩٣٨م. ولما شكّل السعيد وزارته سنة ١٩٣٩ اسند اليه وزارة المالية واستمر فيها حتى ادركه الاجل المحتوم يوم ٢٢/كانون الثاني سنة ١٩٤٠.

اين وقع الاغتيال

وصف البيان الرسمي الصادر يوم ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٤٠ من مدير الدعاية العام حادث الاغتيال كمايلي «بينما كان صاحب المعالي رستم حيدر وزير المالية جالساً في مكتبه الرسمي حوالي الساعة الحادية عشر قبل ظهر اليوم إستأذن في الدخول عليه المدعو حسين فوزي توفيق من مفوضي الشرطة المفصولين فأمر بادخاله، ولما حضر امامه قدم اليه كتاباً ، وبعدما قرأه معاليه توجه نحو الباب للخروج فأطلق عليه المذكور رصاصة من مسدسه فاصابت خاصرته من الجهة اليسرى ، ونفذت من الامام، وعلى اثر دوي الطلقة هرع الاهلون وبعض افراد الشرطة فقبضوا عليه ونقل معالي الوزير الى المستشفى الملكي لاسعافه. اما الجاني فقد كان مفوضاً في الشرطة وقد فصل من وظيفته يوم ١٩٣٥/٧/٣ ، لسلوكه الشائن وعدم قيامه بواجباته . ثم استخدم بالاشغال العسكرية بأجرة يومية ، وبعد مدة قصيرة طرد ايضاً للسبب نفسه. وقد راجع السجون والري لاستخدامه فلم يسعف طلبه، والتحقيقات جارية» وقد توفي حيدر يوم ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٠ ودفن في المقبرة الملكية بتشييع مهيب.

بواعث هذا الاغتيال

اختلفت الآراء في معرفة بواعث الاغتيال وهل هي شخصية بحتة اقدم عليها الجاني بعد ان خيب الوزير أمله في اعادته الى الوظيفة . ام ان اسباباً سياسية وبواعث عقائدية تكمن وراء هذا الاغتيال؟..!

ذهب بعض السياسيين ومنهم «صالح جبر» وزير المعارف في الوزارة السعيدية ان عملاء الالمان في العراق هم الذين «دفعوا المجرم الى ارتكاب جريمته» لأن رستم حيدر من اقوى الشخصيات في الوزارة السعيدية ومن الموالين للسياسة البريطانية ، نلكي يضعف «الالمان» الوزارة والانكليز معاً ، عمدوا الى اغتيال دعامة قوية من دعائم حكمهم في العراق. وهم في الوقت نفسه يشكلون في العراق فتنة كبيرة تقلق الانكليز وتعرض امن قطعاتهم للخطر ، لان الفقيد شخصية ذات مقام كبير.. ولكن

السياسيين الذين زاملوا رستم في وزارة السعيد وزاملوه في حياته الخاصة والعامة أبدوا من الملاحظات ما يدحض هذا الرأي وانه ليس من مصلحة الالمان اغتيال الرجل ، فقد كان رستم بنظرهم من «انصار الحياد » في الحرب القائمة. ولما تحمس نوري السعيد ، وطلب من مجلس الوزراء «اعلان الحرب» على المانيا كان رستم في صف الوزراء الذين رفضوا هذا الطلب. وكان في رأيه «ان تنفذ المعاهدة العراقية الانكليزية » بشكل يحقق للحليفين تعاوناً متبادلاً يحقق مصلحة الطرفين ومصلحة الامة العربية... واخيراً ولكي يخفف من تعنت نوري السعيد وغلوائه، قبل على مضض «اقتراح قطع العلاقات السياسية مع المانيا » وهو اهون الشرين .

وهناك رأي آخر يقول ان الانكليز هم الذين حرضوا «القاتل» على الاغتيال ولو تأملنا سيرة الرجل ورجاحة عقله وملامح خطه السياسي، لوجدناه «قطب مدرسة» تؤمن بمبدأ المفاوضات السلمية والتعاون مع بريطانيا «في حدود الكرامة والمصلحة الوطنية» وهذه المدرسة بنظر الانكليز اقل شراً واخف ضرراً من «مدرسة الغلو والتطرف» التي يؤمن بها بعض الوطنيين. والانكليز حفظاً لمصلحتهم ، يفضلون التعامل مع هذه المدرسة ويعقدون اواصر الصداقة والتعاون بينها وبينهم. ورستم وان لم يقف كلياً في صفهم كما وقف نوري السعيد ، فإن مصلحتهم تظل قائمة في بقائه واستمراره ، يمارس اعباء السلطة والتوجيه في العراق. وليس من الدهاء ان يغتالوا رجلاً محنكاً لاختلاف عارض في بعض الامور لايلبث ان يزول، وهم ايضاً يعرفون تمام المعرفة قدر الرجل ومكانته السامية عند السوريين، فلا يفرطون به لسبب تافه ويدركون تمام الادراك ان معارضة رستم في امر لايعني معارضتهم لهم في كل الامور «وانه على العموم يؤثر الاعتدال ولا يقر الانفعال ويعترف بالامر الواقع» .

واما المرحوم الشهيد صلاح الدين الصباغ ، فقد وضع مسؤولية الاغتيال على «عاتق الوصي عبدالاله ونوري السعيد» فهما اللذان حرضا على قتل رستم تخلصاً من «رجل خطير» عرف اسرار مقتل الملك غازي وعلاقة الرجلين بها .

ويعتقد «طه الهاشمي» وزير الدفاع وزميل رستم في الوزارة السعيدية «ان للرتل الخامس يداً في اغتيال الفقيد» .. ولم يفصح الهاشمي اي الرتلين المقصود بنظره. «الرتل الخامس الانكليزي؟ او الرتل الخامس الالماني ؟» وكلاهما كانا يعملان في تلك الايام بنباهة ونشاط وهكذا تركنا الهاشمي امام سر من الاسرار كان عليه ان تميط اللثام عنه وهو في مركز كبير من مراكز السلطة والنفوذ ..

والحقيقة ان رجالاً موتورين امثال «صبيح نجيب وابراهيم كمال وعارف قفطان وحسن فهمي المدفعي» وغيرهم ، نقموا على رستم زعامته المحبوبة وبروزه في المجتمع و «مؤازرته لنوري السعيد» فغرسوا في جوانح القاتل روح الحقد والانتقام عندما كان يراجعهم ويشكوا اليهم «تمنع» رستم في اعادته لوظيفته. وحببوا اليه انتزاع حقوقه من خصمه بالتهديد والقوة اذا اقتضى الحال، ووعدوه بالمساعدة لأنه مظلوم بائس يستحق الرأفة والعطف.

كان القاتل عصبي المزاج ، خشن الطباع ، مهزوز الشخصية . وقد جاءت اضبارته الشخصية تؤيد «بانه سيئ السلوك ، يميل الى العنف ، كثير المخالفات القانونية» . ان مثل هذا الرجل يكون بطبعه وسجيته «مجرماً خطيراً» ويزداد حبه للاجرام وجرأته على سفك الدماء عندما يجد بيئة تنمي فيه هذا الحب وتلك الجرأة.. فلما استمع الى هذا النفر وكلهم من «اصحاب المقامات» اطمأنت نفسه اليهم وزادت ثقته بعدالة قضيته ، فاقدم غير هياب ولا وجل على ارتكاب جريمته في دائرة رسمية على ملئ الاسماع، وفي وضح النهار.

***

كان صبيح نجيب غاضباً على رستم لمعارضته في تعيينه وزيراً مفوضاً في انقرة عندما اقترح وزير الخارجية علي جودة يعيينه في هذا المنصب بحجة عدم «وجود المخصصات المالية».. وكذلك ولنفس السبب عارض في اعادة المتصرفين المفصولين من الخدمة «عارف قفطان ، وحسن فهمي المدفعي» . وغضب عليه كذلك ابراهيم كمال لان الوزير امتنع عن تفويض اراضي اميرية زراعية تقع في قضاء سنجار ، بالعقد المباشر وبأجور قليلة. واقترح الوزير «تفويض هذه الاراضي بطريق المزايدة العلنية لضمان مصلحة الخزينة» . فلم يوافق ابراهيم كمال على هذا الاقتراح ، فأعلن هؤلاء على الوزير حرباً شعواء في انديتهم. ومحافل انسهم. وفي خلواتهم الخاصة ...

وقبل ايام من وقوع الجريمة ، دعا حمدي الباجهجي وزراء الدولة ووجهاء القوم الى حفلة عشاء في داره ، حضرها صبيح نجيب وابراهيم كمال ، حيث جلسا متجاورين في غرفة واحدة ، ودخل رستم حيدر الى الغرفة ذاتها ، وجلس مع بقية المدعوين ، وعندما انتشى القوم وعبثت الخمرة في عقولهم، فقد صبيح نجيب توازنه فهمس إبراهيم كمال في اذنه كلاماً ايقظ آلامه، واستفز مشاعره ، فانتصب واقفاً على قدميه، وانهال على رستم حيدر ، شتماً ، وسباً. ولم يترك في قاموس الاهانة كلمة إلا وقد صوبها

نحو الرجل المسالم. فامتعض الحاضرون من هذا التصرف الشائن ووبخوه على ما صدر منه من افعال واقوال لاتليق بمجالس الوجهاء وسادة القوم. واما رستم فقد انسحب بكل هدوء ووقار، وترك الحفلة ولسان حاله يقول «والذين اذا مروا باللغو مروراً كراماً اذا خاطبهم الجاهل قالوا سلاما»..

توقيف المتهمين

دارت الشبهات حول «صبيح نجيب وابراهيم كمال وعارف قفطان ونجيب الراوي وشفيق نوري السعيد وحسن فهمي المدفعي وصالح الجعفري» وتوجهت ادلة الاتهام ضدهم وقررت سلطات التحقيق «القاء القبض عليهم وزجهم في التوقيف» واستجوابهم بتهمة «التحريض على قتل رستم حيدر».. وقد اجتمع مجلس الوزراء، ودرس ظروف الجريمة وعلاقة هؤلاء بها ، والآثار التي ستنتج عنها ، وكيف يأخذ الحق مجراه الصحيح، لتهدأ ثائرة الشعب ويطمئن الرأي العام الى سلامة «الاجراءات القانونية» ونفاذها بحق الجميع.

***

وفي مجلس الوزراء جرت مناقشات واسعة حول الموضوع. فطلب علي جودة وجلال بابان* احالة «الجريمة» على المحاكم المدنية للنظر فيها لانها جريمة عادية . وطلب وزير العدلية «صبحي الدفتري» تشكيل لجنة خاصة من كبار الحكام والموظفين لدراسة طبيعة الجريمة وبواعثها ، وتعيين الجهة التي تنظر فيها هل «المجلس العرفي» ام «المحاكم المدنية»؟ وذهبت الاكثرية الى احالة المتهمين «الى المجلس العرفي العسكري» القائم في معسكر الرشيد فهي من اختصاصه. واحيل المتهمون جميعهم بتهمة «التحريض على قتل الوزير» وجرت المحاكمة في جو «يسوده العدل والهدوء» وبعد جلسات عديدة استمع المجلس فيها الى شهود الاثبات والدفاع، وإفادات المتهمين ، ودفاع المحامين، قرر «الحكم بالسجن لمدة سنتين على صبيح نجيب» «والافراج عن بقية المتهمين لعدم توفر الادلة ضدهم».. واما القاتل حسين فوزي توفيق فقد حكم عليه بالاعدام وفق المادة ٢١٣ من قانون العقوبات البغدادي ، ونفذ فيه الحكم في غسق يوم الاربعاء الموافق ٢٧ آذار سنة ١٩٤٠م.

محور عسكري جديد

تعاظم نفوذ الكتلة العسكرية القومية في مجال السياسة وفي اوساط الجيش واصبح «العقداء الاربعة» قوة عظيمة لها اثر كبير في تشكيل الوزارات واسقاطها وفي توجيه سياسة العراق الداخلية والخارجية، فكثر حسادهم واشتد خصومهم في كفاحهم. وبدأت حركة امتعاض تنتشر ضدهم في بعض المراتب، يقودها اصحاب الرتب العالية امثال الفريق الركن حسين فوزي رئيس الاركان، واللواء الركن امين العمري قائد الفرقة الاولى ، وغيرهم من الزعماء «العمداء» وجرت مشاورات سرية لتكوين محور جديد يقاوم الكتلة العسكرية القومية وانصارها من السياسيين يترأسه «حسين فوزي وامين العمري» . ويشجع فريق من السياسيين المحترمين يتقدمهم «جميل المدفعي وتوفيق السويدي وعلي جودة ومولود مخلص ومصطفى العمري» . واستطاع المحور ان يكتل الحاقدين والناقمين على العقداء داخل الجيش وخارجه، وبدأ الصراع عنيفاً بين الكتلة القومية ، وبين الخصوم الجدد، كل يحاول ان يقض على خصمه ويجهز عليه بمختلف الاساليب والطرق. وقد حاول بعض العسكريين من انصار المحور ان يغتالوا «العقداء الاربعة» ولكنهم فشلوا في محاولاتهم ، وكانت آخرها مؤامرة دبرها النقيب مبارك العلي واعوانه، فزج الجميع في السجون ، على الرغم من تدخل رئيس الاركان لانقاذهم والدفاع عنهم. وهكذا استمر التنافس والصراع بين المحور وبين العقداء الاربعة صريحاً وقوياً على كافة المستويات، وانقسم الضباط في قطعات بغداد العسكرية، الى فريقين ، احدهما يناصر المحور ، والآخر يناصر العقداء . وكذلك انتقل الصراع الى خارج بغداد فكانت الفرقة الثانية وآمرها اللواء امين زكي ومركزها كركوك تؤيد العقداء، والفرقة الرابعة وآمرها اللواء ابراهيم الراوي فكانت تقف على الحياد من هذا النزاع ويدعو آمرها الى وحدة الجيش والابتعاد عن السياسة وترك امورها الى المدنيين يمارسونها وفقاً لاحكام الدستور العراقي، ولو بحثنا عن الاسباب والبواعث الحقيقية التي دفعت اقطاب المحور الى خصومة العقداء والتكتل ضدهم، والرغبة الملحة في اقصائهم عن الجيش لوجدناها اسباباً شخصية خالصة لاعلاقة لها بالمبادئ او المصالح العامة. فرئيس الاركان الفريق «حسين فوزي» كان يكره طه الهاشمي وزير الدفاع

ويتبرم من سلوكه وينكر عليه اعتماده على العقداء ووثوقه بهم والتشاور معهم في اكثر الامور السياسية. كما نقم على طه الهاشمي نظرته الى شخصه بالذات فطه وهو العسكري «المتغطرس» ذو الوجه الكالح الغضوب كان ينظر ويعامل رئيس الاركان نظرته اليه عندما كان هذا ضابطاً صغيراً في إمرة الهاشمي لما كان رئيساً سابقاً لأركان الجيش. ولم يكترث الهاشمي بتطور الزمن وتغيير الاحوال، وكثيراً ما كان يؤنب «رئيس اركان الجيش حسين فوزي» وينتقد تصرفاته بقسوة وشدة ويتجاوز على صلاحياته في نقل الضباط واحالتهم على التقاعد. وكذلك امين العمري، فإنه غضب على العقداء لانهم دفعوا به الى الظل ونقم على نوري السعيد لانه لم يستوزر قريبه مصطفى العمري، ولم يضمه الى وزارته بعد ان اسقط الجيش حكومة المدفعي وكان مصطفى عضواً فيها. وان نوري مافتئ ينتهز الفرص لينقل امين من الجيش الى السلك الخارجي. لينقذ الجيش من نفوذه. ويبقى هو واعوانه العقداء في ذروة التحكم والسيطرة على الجيش وعلى البلاد. ولقد استغلت المعارضة السياسية مخاوف هذين الضابطين وآلامهم، وادخلت في روعهما شتى الاحتمالات والانفعالات، وصورت لهم العقداء وطه ونوري ابشع واخطر تصوير، وحرضتهم على التمرد والعصيان واسقاط الوزارة. وقد أسرّ جميل المدفعي الى الضابطين الكبيرين ان «الوصي» غاضب على العقداء وعلى طه وهو يرحب في طرف خفي بكل عمل يحد من سلطتهم ويخفف من غلوائهم. فتشجع الضابطان وانطلقا يخططان لتمرد «يطيح بالوزارة والعقداء» وبذلك تستقيم لهما «زعامة الجيش» وتنقاد اليهما السلطة السياسية كما انقادت صاغرة الى العقداء.

محاولة للتفاهم وتوحيد الصف

ادرك العقداء ما يدبره خصومهم. وقد حز في قلوبهم ان ينشق عليهم زميل من اعز زملائهم وهو اللواء العمري قائد الفرقة الاولى، وينساق في تيار مجهول غريب يفتت الوحدة القومية في صفوف الجيش، تلك الوحدة التي بذلوا جهوداً كبيرة في ارساء قواعدها، والدفاع عنها في مختلف الظروف والازمات وقد كان العمري ساعدهم الايمن في اكثر المواقف الوطنية ، وهم يضمرون له حباً واحتراماً كبيرين، ولكن الاهواء السياسية ومطامع السياسيين المحترفين جعلته يتأرجح في تصرفاته وينزلق في طريق غير مأمون. وحرصاً على صداقتهم مع العمري طلبوا من السيدين جمال المفتي ويونس

السبعاوي نائبي الموصل ان يتصلا «برفيق السلاح» ويزيلا من ذهنه وقلبه ما غرسه الاعداء من اكاذيب واباطيل. وانهم يعتزون برآسة العمري، ولا يفرطون بحق من حقوقه وسيبقى في الجيش مادام العقداء على قيد الحياة ، ويلتمسون منه باسم «الاخوة العربية» ان يبتعد عن كل محاولة ترمي الى تمزيق الوحدة القومية لأن الانكليز واعداء الامة العربية يتربصون ويكيدون ويخططون للوصول الى هذا الهدف ومتى تم لهم ذلك فإن النار ستلتهم العراق وتلتهم جميع القوميين وفي مقدمتهم اللواء العمري ايضاً. ونقل النائبان رغبة العقداء وامانيهم الى العمري. وبعد عتاب شديد وحوار عقيم اتهم العمري العقداء بانهم اصبحوا الات صماء بيد الهاشمي ونوري السعيد ، وانه مستعد للتفاهم مع العقداء على شروط منها ان يتقيد العقداء باوامر من هم اعلى رتبة وأقدم منصباً منهم وان يبتعدوا عن السياسة وان يحافظوا على الضبط العسكري في كل الامور. وحمل السيدان المفتي والسبعاوي آراء العمري واقتراحاته الى العقداء واخذت العلاقات تعود تتحسن بين الطرفين في بعض المناسبات . وقد تطوع الكثير من القوميين العرب لازالة اسباب الجفاء والنفرة بين العمري والعقداء امثال فوزي القاوقجي، وامين رويحة وسعيد الحاج ثابت ، ولكن دهاة السوء والسياسيين الانتهازيين وعملاء الاستعمار بذلوا من الدهاء والذكاء ما وسعهم البذل للحيلولة دون التفاهم بين «الاخوة في السلاح» وملؤا الجو بمختلف الاشاعات الكاذبة وكدروا العلاقات بينهم بعد ان كاد الصفاء والسلام يرفرف على البلاد.

السعيد يقدم استقالته

فقد السعيد زميله رستم حيدر في غفلة من الزمن ، ففقد دعامة قوية كان يستند عليها في الازمات والملمات، وضعفت وزارته بموت رستم وتصدعت أركانها، وزاد من ضعفها وعدم تجانسها اختلاف اعضائها الوزراء في اختيار الطريقة التي تمت محاكمة المتهمين في قتل رستم بها ، فكان بعضهم يقول ان الجريمة «عادية» ومن حق المحاكم المدنية ان تنظر فيها ، وقال آخرون انها سياسية لها علاقة بالامن العام ومن صلاحية المجلس العرفي العسكري حسمها واصدار القرار الذي يناسب خطورة الجريمة ومركز المجني عليه سياسياً لأن بوادر العنف والاغتيال السياسي بدأت تظهر بشكل خطير ومخيف فيجب معالجتها بسرعة وحزم حفظاً لكيان الدولة وسلامة المجتمع. ولما رأى السعيد ان بعضاً من زملائه لا يشاركه هذا الرأي ولا يقره على انتهاج هذه

السياسة قدم استقالة وزارته الى الوصي بتاريخ ١٨ شباط سنة ١٩٤٠ وهذا نصها:

«سيدي صاحب السمو الملكي»

ان الادوار التي اجتازتها البلاد في السنوات الاخيرة قد اطمعت بعض الاشخاص المغامرين في الوصول الى الحكم وهم غير مؤهلين له ولا تتوفر المزايا التي تؤهلهم لذلك وقد انفسح المجال امام بعض هؤلاء الاشخاص مع الاسف فتولوا زمام الحكم في غفلة من الزمن عن طريق التآمر والخروج على القانون ولكن الحوادث لم تلبث ان كشفت عن حقيقتهم واظهرت زيف وطنيتهم وضعف كفايتهم. واجترفهم سيل مساوئهم بعد ان عرضوا البلاد لاعظم الاخطار، وحرموها من نخبة من خيرة رجالها الذين كان لهم الفضل الكبير في تأسيس كيان المملكة وتوطيد اركانها. ولما تحررت البلاد من كابوس حكمهم إرتأى بعض المسؤولين ان يسيروا ازاءهم على سياسة «اسدال الستار» على ما حدث او تناسي الماضي اعتقاداً منهم بان ذلك يساعد على رأب الصدع وتوحيد الكلمة وبذلك يسهل على البلاد اصلاح ما افسده العهد البائد واستئناف جهودها في سبيل التقدم والازدهار. ولكنه لم يلبث ان اتضح خطأ هذه السياسة إذ قامت مؤامرة جديدة للوصول الى الحكم على غرار المؤامرة الاولى ، ويظهر ان القائمين بهذه المؤامرة قد اساؤا فهم العوامل الطبيعية التي ادت الى السياسة التي انتهجت ازاء المؤامرة الاولى ولم يتعظوا بجبر الماضي.

ومع ان الامة استنكرت بشدة «اسدال الستار» والتساهل على المؤامرة الاولى فقد افسح المجال مجدداً لهذه السياسة عينها، وعملت الرأفة عملها في خفض عقوبات القائمين بالمؤامرة الثانية رغم امتعاض الرأي العام الشديد من ذلك، وتخوفه من العواقب الوخيمة التي تحتمل ان تؤدي اليها في المستقبل وبينما كانت البلاد منهمكة في العمل لتحقيق اهدافها الوطنية وتعزيز كيانها مستمدة من خطورة الحوادث العالمية الحالية اعظم الحوافز، اذ بها تجابه بجريمة اغتيال وزير المالية في ديوان عمله، فتحرم البلاد خدمات رجل من اعظم رجال العراق والعرب واصدقهم وطنية وابرزهم كفاية وانصعهم ماضياً.

وقد كان لتلك المؤامرة ولحادث الاغتيال الاخير اسوأ الاثر في الرأي العام ولاسيما في نفوس المخلصين الذين تعبوا في بناء هذه المملكة ويهمهم امر مستقبلها والامة متفقة الكلمة على ان تتابع المؤامرات والجرائم السياسية على هذه الصورة ينذر

المملكة بأوخم العواقب وعلى ان واجب الوطنيين على اختلاف نزعاتهم ان يوحدوا صفوفهم ويتعاونوا على القضاء على روح الاجرام السياسي وانقاذ البلاد من شرورها قبل ان يستفحل أمرها ويتعذر استئصالها وتجر البلاد الى الهاوية لاسمح الله.

انني لما اضطلعت باعباء «رياسة الحكومة» كنت اشعر بان الامة تنتظر من الحكومة القيام بكثير من الاعمال المهمة بغية انقاذ البلاد من الموقف الحرج الذي اوصلتها اليه احداث السنوات الاخيرة واعادة الامور الى مجراها الطبيعي. ولما اندلعت نيران الحرب الاوربية وتأثر العراق بها مثل غيره من الدول، كان طبيعياً ان يزداد ما تنتظره الامة من الحكومة من اعمال عظيمة لايصال البلاد الى ساحل السلامة من هذه العاصفة العنيفة التي تجتاح العالم مكتسحة امامها كيان ومصالح عدد غير قليل من الدول التي تفوق العراق قوة وثروة ورقيا. ولما حدث الاغتيال الاخير ازدادت رغبة الامة في ان تسرع في اتخاذ تدابير حاكمة لانقاذ البلاد من كل ما من شأنه ان يعرضها للاخطار الداخلية والخارجية.

انني بصفتي احد قدماء الجنود الذين خدموا القضية وساهموا في انشاء الدولة العراقية، تحت راية زعيمنا الاكبر فيصل الاول. يعز عليَّ جداً ان ارى نخبة من اعظم اركان القضية يهوون الواحد تلو الآخر، ضحايا لحوادث اجرامية يدبرها مغامرون استسلموا الى مطامعهم الشخصية، من غير أن يقيموا اي وزن للضمير والقانون، او يلتفتوا الى الاخطار التي تجرها جرائمهم على البلاد كما انني بصفتي كوني رئيس حكومة مسؤول يشعر بعظيم الثقة الملقاة على عاتقه ازاء وطنه في مثل هذه الازمة العالمية العصيبة. ارى انني اكون مقصراً بواجبي اذا لم انزل عند رغبات الرأي العام الملحة في اتخاذ تدابير حاسمة للمحافظة على سلامة المملكة وتأمين سيرها الطبيعي نحو اهدافها السامية التي خطها لها مؤسسها فيصل الاول. وقد بت اشعر انه يتعذر عليَّ في الظروف الراهنة القيام بالواجبات العظيمة المترتبة عليَّ بالشكل الذي يؤمن المصلحة العامة. ولما كنت اعتقد ان استقالتي من منصبي يفسح المجال لتحقيق رغبات الامة ويساعد على تأمين المصلحة العامة فانني ارفع استقالتي الى مقام سموكم سائلاً الله تعالى ان يوفقكم الى مافيه خير البلاد وسعادتها.

العهد المطيع : نوري السعيد

وقد رد الوصي على كتاب الاستقالة بهذا الجواب ،

عزيزي : نوري السعيد

اخذت كتاب استقالتكم المؤرخ ١٨ شباط سنة ١٩٤٠ ، واني مع اظهار اسفي الشديد على مفارقتكم رئاسة الحكومة ، لابد لي ان اعرب لكم عن تقديري لتحملكم عبء المسؤولية في تلك الظروف وعن شكري العظيم على ما بذلتموه انتم وزملاؤكم مدة بقائكم في الحكم من جهود قيمة وخدمات مجيدة لخير البلاد. وأوّد ان تثقوا بأن قبولي استقالتكم هذه لاتمس بوجه من الوجوه ما اضمره من حب لشخصكم واعجاب بمزاياكم الطيبة، وعقيدتي باخلاصكم وولائكم . هذا وارجو ان تستمروا في تدوير شؤون الدولة، ريثما يتم تأليف وزارة جديدة.

عبدالاله.

المحور الجديد يستعد للانقلاب وتولي السلطة

عندما أقدم السعيد على الانسحاب من الحكم، كان يعلم تمام العلم بكل المؤامرات التي تحاك لاقصائه عن الوزارة واسقاطه بالقوة. وكانت اخبار «المحور بشقيه العسكري والمدني» تصله بانتظام عن طريق اعوانه والمنتفعين بحكمه. واما العقداء فانهم كانوا يعرفون اهداف خصومهم العسكريين جملة وتفصيلاً، وقد اندّس انصارهم بين جماعة المحور واطلعوا على نواياهم ووضعوا ايديهم على اسرار «حسين فوزي - العمري» فاستعدوا لمواجهة كل الطوارئ والاحتمالات، وانذروا قطعاتهم وجعلوها على اهبة العمل، وباتوا يترقبون بحذر ويقظة ما تخفيه لهم الاقدار في طياتها من متاعب واكدار. وكانت القوة الآلية وآمرها محمد فهمي سعيد اكثر القطعات جرأة وحماساً في تنفيذ الاوامر التي تصدر اليها لأن ضباطها ومراتبها يحملون مبادئ قومية صريحة. تدفعهم الى تحمل المسؤوليات واقتحام المخاطر وانهم من اجل هذه المبادئ نظموا انفسهم وكافحوا وقدموا اكبر التضحيات . وعلى العكس كانت جبهة المحور فإن علاقة ضباطها بحسين فوزي وامين العمري علاقة رسمية، وليس بين هؤلاء الضباط وأمرائهمَ روابط عقائدية وانسجام في الافكار، ولا تجمعهم بقادتهم إلا سلطة المنصب وواجبات الوظيفة ، وهي روابط ضعيفة لاتدفع اصحابها إلى المغامرة وتحمل التبعات . ولهذا السبب كانت

كفة العقداء ارجح من كفة المحور واعوانهم اشد صلابة واكثر تماسكاً واندفاعاً من انصار المحور.

***

سمع حسين فوزي استقالة الوزارة، واصغى الى نوري السعيد وهو يغمز خصومه غمزات صريحة لاذعة، وقد اتهمهم بسوء النية ، وقلة التجربة وضعف الوطنية، وانتقد خطل سياستهم عندما تستروا على المجرمين وتعاونوا مع المتآمرين على هدم نظام الحكم وسيادة القانون، فآلمته تلك الحملة الشعواء وحزت في نفسه تلك الهجمات القاسية، ووجد الفرصة سانحة للتدخل وابداء النظر في تشكيل «الوزارة الجديدة». وبعد التشاور والاتفاق بينه وبين امين العمري وجميل المدفعي ، توجه الى البلاط الملكي وطلب مواجهة رئيس الديوان رشيد عالي الكيلاني. وفي صباح يوم ١٩ شباط سنة ١٩٤٠م وفي مقر الرئيس قال حسين فوزي رئيس الاركان «انني بأسم الجيش العراقي اطلب منكم ان تبلغوا صاحب السمو الوصي رغبات الجيش في اسناد رئاسة الوزارة المقبلة الى رجل محايد وانّ الجيش لايوافق على اشراك نوري السعيد وطه الهاشمي فيها».. ونقل رئيس الديوان اقوال حسين فوزي الى الوصي حالاً.. وأذن له بمقابلة الوصي والتحدث اليه في الموضوع مباشرة، فتمت المقابلة وكرر رئيس الاركان طلباته، وأصر على تنفيذها وأكد ان الجيش العراقي بكافة قطعاته يتذمر ويشكو من سياسة نوري وطه وهو لايتحمل رؤيتهما في الحكم. وترك رئيس الاركان البلاط الملكي وقصد معسكر الوشاش واستدعى من هناك امين العمري وضباط القطعات المؤيدة لسياسته. واعلن حالة الانذار واتصل بالبلاط واعلم رئيس ديوانه «ان الجيش في حالة الانذار وهو ينتظر تشكيل الوزارة المحايدة ولا يتوانى عن استعمال السلاح اذا اقتضى الأمر»..

***

وصلت اخبار رئيس الاركان وتحركاته آذان القادة. وعلموا انه اعتصم بمعسكر الوشاش واخذ يرسل التهديدات من مقره ويؤلب السياسيين والعسكريين على القادة انفسهم وعلى من يساند كتلتهم من السياسيين وخاصة نوري السعيد وطه الهاشمي وزير الدفاع فأسرعوا الى معسكر الرشيد، وهيئوا قطعاتهم لتلقي الاوامر وكانت مستعدة «للطوارئ قبل ايام».. وارسل محمد فهمي سعيد آمر القوة الآلية اربعة مدرعات بقيادة الملازم الاول خيرالله طلفاح فأحتل «مخازن الميرة» في وزارة الدفاع ومنع العتاد والذخيرة الى قوات الوشاش فاصبحت عاطلة عن المناورة والعمل... ثم

اتصل العقداء بنوري وطه وطلبوا منهما ان يتصلا بالوصي فوراً ويخبره بأن فوزي والعمري لا يمثلان الا نفسيهما . وان الجيش يؤيد العقداء ولا يثق بسواهم وإذا اراد الوصي ان يعرف الحقائق ويطلع على خفايا الامور فعليه ان يتصل بأمراء القطعات داخل بغداد وخارجها ، ليعرف رغبات الجيش الحقيقية، وحينذاك يتصرف وفق صلاحياته الدستورية ويختار من يراه لائقاً لرئاسة الوزارة ، ولا يصغي الى حسين فوزي ولايقيم وزناً لوعيده فهو اضعف من ان يتصدى ليفرض الشروط والقيود ويتصدى لحكم البلاد، وقصد سعيد وطه البلاط الملكي، وواجها الوصي بحضور رئيس الديوان ونقلا اليه «رأي العقداء» والتمسا منه ان يعالج الموقف المتأزم بحكمة وسرعة، لأن الجيش على وشك الاصطدام ببعضه.. والرأي العام مستعد للانفجار والوثبة.. وأمر الوصي بدعوة «العقداء الخمسة صلاح الدين وفهمي سعيد وكامل شبيب ومحمود سليمان وسعيد يحيى» فحضروا امامه وبعد ان اطلع على آرائهم وخلاصتها ان الوصي حُر في اختيار وزرائه. وان تصرف رئيس الاركان خطأ كبير وانه والعمري لا يعبران عن ارادة الجيش، فخرجوا من البلاط والتحقوا «بوحداتهم» وانضم اليهم نوري السعيد وطه الهاشمي، وسهرا بجانبهم طوال الليل ، وهم يتوقعون اسوأ النتائج واخطر الامور. واما الوصي فقد استدعى «اسماعيل نامق» قائد الفرقة الثالثة ، واتصل بالقطعات خارج بغداد ، فكان جوابهم انهم لا يوافقون على سياسة رئيس الاركان ويستنكرون اعماله.
وهكذا وبعد ان تجمعت البراهين والادلة على ان حسين فوزي لايمثل الجيش وانه غش الوصي وغرّر به وعرّض الجيش والبلاد لأزمة عصيبة ، قرر الوصي احالته واحالة العمري وعزيز ياملكي على التقاعد ، واتصل بنوري السعيد وطه الهاشمي وطلب منهما بصفتهما يمتلكان الشرعية ويمارسان السلطة «ان ينفذ الارادة الملكية باحالة هؤلاء الضباط على التقاعد». واتصل الهاشمي برئيس الاركان تلفونياً وبلغه بقرار الوصي.. واذاع راديو بغداد هذه الارادة، ونشرتها صحف الصباح .. فتخاذل رئيس الاركان وتفرقت كلمة اصحابه ، وضعف كيانهم وانهارت معنويات اكثرهم. ومما زاد هذا الانهيار ان رئيس الاركان بعد ان سمع الارادة الملكية ، التفت الى رفيقه العمري وكان بجانبه يسمع المحادثة التلفونية وقال «أمين . السلام عليكم . لقد خدعنا السياسيون وان مهمتي انتهت عند هذا الحد» وترك المعسكر وهو حزين كئيب لايدري اين المفر.. واراد العمري ان ينقذ الموقف ويخرج من الورطة ويساوم وزير الدفاع على حريته وسلامته فطلبه من معسكر الرشيد، فلما حضر طه على التلفون قال العمري «سيدي الوزير لقد

سمعنا باحالتنا على التقاعد. واننا مستعدون لاعلان الطاعة وتنفيذ الاوامر على شرط ان لايمسنا اي خطر ولا يحال احد منا على المحاكم».. فوعده طه بذلك وطلب العمري ان يقسم طه مؤكداً وعده «بشرفه العسكري» فأقسم طه كذلك . وهكذا انفض المتمردون وتركوا معسكر الوشاش ومرت العاصفة بهدوء وسلام وعاد الجيش يمارس واجباته بكل جد ونظام.

الوزارة السعيدية الخامسة

حاول الوصي ان يسند الوزارة الى رجل محايد يجمع الشمل ويوحد الصف، ففاوض السيد الصدر رئيس مجلس الاعيان وكلفه بتأليف الوزارة، فاعتذر الصدر عن تأليفها ، وكلف رئيس ديوانه السيد رشيد عالي ، فأبدى تهيباً من تحمل المسؤولية واشار على الوصي بأن الرجل اللائق لهذا المنصب في مثل هذه الظروف هو احد رجلين ولاغير سواهما «نوري السعيد وطه الهاشمي». فهما سيدا الموقف بلا منازع ، فأبدى الوصي رغبته في اسناد رئاسة الوزارة الى السعيد على ان يكون طه الهاشمي وزيراً للدفاع وصدرت الارادة الملكية يوم ٢٢ شباط على الوجه التالي:

١- نوري السعيد رئيساً لمجلس الوزارة ، ووزيراً للخارجية بالوكالة.
٢- عمر نظمي وزيراً للداخلية ، ووزيراً للعدلية بالوكالة .
٣- رؤوف البحراني : وزيراً للمالية.
٤- طه الهاشمي : وزيراً للدفاع.
٥- صادق البصام : وزيراً للاقتصاد .
٦- محمد امين زكي : وزيراً للمواصلات والاشغال.
٧- سامي شوكت : وزيراً للمعارف.
٨- صالح جبر : وزيراً للشؤون الاجتماعية .

تعيينات جديدة

فشل محور حسين فوزي رئيس الاركان في تمرده ، واحيل قادته على التقاعد فقويت كتلة العقداء القوميين، وارتفعت اسهمهم ورجحت كفتهم في ميدان الجيش والسياسة ، ولم يبق في صفوف المعارضين من ينازعهم على النفوذ والسلطة فأستغلوا تفوقهم على خصومهم وقدموا الى طه الهاشمي وزير الدفاع اقتراحات تناولت اشغال

المناصب بعد ان احيل اصحابها على التقاعد، فاستجاب رئيس الوزراء ووزير الدفاع اليهم وصدرت الارادات الملكية التالية:

١- اسناد منصب رئيس اركان الجيش الى اللواء امين زكي ، وهو من مؤيدي العقداء .

٢- اسناد قيادة الفرقة الاولى الى العقيد الركن كامل شبيب .

٣- اسناد قيادة الفرقة الثانية الى الزعيم قاسم مقصود ، وهو من كتلة العقداء .

٤- انشاء منصب مدير شؤون الدفاع واسناده الى الزعيم اسماعيل نامق .

٥- اسناد قيادة الفرقة الثالثة الى العقيد الركن صلاح الدين الصباغ .

٦- اسناد آمرية القوة الجوية الى العقيد الركن محمود سليمان.

وهكذا اصبحت المراكز الخطرة والقطعات المقاتلة بيد العقداء واعوانهم وتحول ميزان القوى السياسية لصالحهم. وامسى الوصي على العرش ومن ورائه الانكليز يخشون سطوتهم ويتآمرون على سحق نفوذهم واقصائهم عن الجيش في الوقت المناسب. وشعر العقداء بمسؤولياتهم الكبيرة وقوتهم النامية ومكانتهم السامية، وما أثارته هذه المكانة في نفوس اعدائهم من حقد وخوف وقلق، فاندفعوا بنشاط وتعقل الى الساحة القومية يوثقون علاقاتهم بكل المؤسسات والاحزاب والفئات القومية داخل القصر وخارجه، وبذلوا جهداً كبيراً في خلق جبهة من السياسيين الوطنيين تساندهم في مواقفهم وتشد أزرهم في مقارعة الاستعمار واعوان الاستعمار. وقد نجحوا في هذا المضمار نجاحاً عظيماً، واكتسبوا انصاراً اقوياء قاسموهم السراء والضراء وتحملوا معهم اعباء النضال القومي جنباً الى جنب ، بعزم صارم وايمان يدك الجبال.

مفتي فلسطين

لم يكن المفتي الحسيني شخصاً مغموراً حتى يكون وجوده في العراق امراً لا يثير الاهتمام، فهو زعيم فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا، وله تاريخ لامع وسمعة تجاوزت الوطن العربي الى العالم الاسلامي وله شخصية مهيبة تترك في النفوس اعمق الاثر واطيب المشاعر، كما انه قادر على طرح القضية التي يكافح من اجلها ببراعة ولباقة ، وقادر على اجتذاب القوى القومية ودفعها لتحرير فلسطين والوطن العربي باساليب ثورية يعجز عن وصفها البيان. وكان وهو في العراق يمتلك جهازاً اعلامياً واسع النطاق ، تديره كفاءات عالية برعت في تفجير العواطف القومية. واستغلال

الجماهير الغاضبة وتنظيم الاحزاب السرية والمظاهرات الوطنية. وكان تحت امرته جهاز «أمن منظم» مهمته جمع المعلومات السياسية داخل العراق وخارجه، وقد تمكن بواسطة هذا الجهاز ان يوثق علاقاته بدول المحور «المانيا . ايطاليا ، اليابان» من جهة. ويفرض آراءه السياسية على الكتل والمؤسسات القومية في العراق من جهة اخرى. وكان التيار القومي في العراق يفتقد الزعامة بعد وفاة فيصل الاول وياسين الهاشمي ، وظل يبحث عنها بين الرجال حتى وجد امانيه ممثلة في مفتي فلسطين ، فوضعه في مقدمته واسلم اليه زمام قيادته. وهكذا تجمعت مختلف الرايات القومية حول المفتي، وسارت وراء زعامته في الازمات السياسية الكبرى. يقول «صلاح الدين الصباغ ذهبنا لزيارته نحن الاربعة فهمي ومحمود وكامل وصلاح» فاعجبنا به من الزيارة الاولى اذ وجدناه مثلما سمعنا ومثلما تمنينا. متفقاً معنا على المبادئ العربية ، والاهداف القومية . نتوالت زياراتنا له واجتماعاتنا به ، وتشابكت على الاخوة ايدينا وسار معنا وسرنا معه»

العقداء يخذلون السعيد

كان السعيد يستند على قوة العقداء ونفوذهم ولولا هؤلاء لما تمكن السعيد ان يقفز الى الحكم ويلعب في مقدرات البلاد. وكان العقداء يعتقدون انه اقدر رجل من بين السياسيين يتولى تحقيق اهدافهم القومية، نظراً لدهائه وبُعد نظره ومعرفته بأسرار السياسة البريطانية وخفاياها. فهو بنظرهم يمتلك رصيداً كبيراً عند الانكليز يؤهله لحل المشكلتين الفلسطينية والسورية ، حلاً يرضي طموح الامة العربية وكبريائها وكانوا يبحثون مع السعيد في اكثر اجتماعاتهم هاتين المشكلتين، ويطلبون منه ان يضغط على الانكليز والفرنسيين لاعطاء الشعبين الكريمين حقوقهما المشروعة، لأن ظروف الحرب وتدهور اوضاع الحلفاء تشجع على منح هذه الحقوق. وكانوا في الوقت نفسه يؤكدون على ضرورة تسليح الجيش العراقي وتزويده بالعتاد والمدفعية والدبابات والطائرات . وكان السعيد بدوره يعد اخوانه العقداء بحل جميع هذه المشاكل وانه سيدخل في مفاوضات حازمة مع الانكليز وسيبذل اقصى ما في وسعه البذل لاقناع بريطانيا العظمى على تسليح الجيش، وارضاء العرب بتحقيق الوحدة العربية «وحدة الهلال الخصيب» بما فيها «سوريا وفلسطين والعراق والاردن»....[٨٢]

(٨٢)راجع : حركة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١. لعثمان كمال حديد ، سكرتير مفتي فلسطين.

ومضت الايام ، والعقداء ينتظرون انجاز هذه الوعود، وينتظرون تسليح الجيش وهم على احر من الجمر، وينتظرون انقاذ سوريا وفلسطين ، ولكن السعيد سادر في غلوائه. وانه يماطل حيناً ويتمحل الاعذار احياناً. ويتمادى في تنفيذ «الوقوف بجانب بريطانيا بلاقيد ولا شرط وعدم ازعاجها وهي في ظروفها السيئة».. وقد اهمل طلبات العقداء وتركها نسياً منسياً، واخذ يتحامل على اصدقائه العرب القدامى ويتهمهم بالتآمر على كيان العراق، ويخص بالذكر منهم «مفتي فلسطين» الذي حل في العراق ليهدم استقلال العراق على حساب القضية الفلسطينية.

هذه الاعمال وتلك التصرفات جعلت العقداء في شك من هوية الرجل وسوء نواياه، فلقد اسفر عن وجهه واعلن عن سياسته بكل وقاحة وجرأة، وتنكر للاهداف القومية التي كافح من اجلها العقداء ، ووقف مع الجانب البريطاني يؤيده بكل ذكائه وامكاناته على الرغم من خسائر الحلفاء وهزائمهم في كافة المعارك والجبهات ابتداءاً من سقوط بولونيا وبلجيكا وهولندا وفرنسا، وانتهاءاً باحتلال الجيوش الالمانية لدنكرك والسويد والنرويج.. وهكذا اوصد السعيد كل المنافذ في وجه العقداء فلم يبق لهم الا اختيار احد السبيلين، فإما الوقوف بجانب السعيد وتأييده والاذعان لسياسته ، وبذلك يسيئون الى مبادئهم وانفسهم وامتهم ومستقبل بلادهم، واما الخصومة معه ورفض سياسته واسقاط حكومته ، وفي هذا انتصار كامل للمبادئ القومية. وضمان اكيد لكرامتهم وحفظاً لاستقلال العراق وسلامة حياده.. وقد اختاروا السبيل الثاني، وعاهدوا انفسهم على حماية العراق والدفاع عن حقوق الامة العربية ، والعمل مع كل الفئات والشخصيات التي تحمل آرائهم وتشد ازرهم في هذا المجال. وقد وجدوا عند المفتي الحسيني ورشيد عالي الكيلاني تجاوباً كبيراً وتشجيعاً منقطع النظير، فكلا الرجلين يسفهان سياسة نوري السعيد، وينتقدان موقفه المائع المتخاذل تجاه الانكليز ويتهمانه بالعمالة والتفريط بحقوق العراق وخيانة الامة العربية ، وقد تحالف هؤلاء مع العقداء واقسموا على توحيد جهودهم وخدمة امتهم وانحاز اليهم السادة ناجي السويدي وناجي شوكت وكذلك السيدان جمال المفتي ويونس السبعاوي نائبا الموصل والشيخ عبدالواحد الحاج سكر نائب الديوانية والسيد علوان الياسري عضو مجلس الاعيان والسيد صادق حبة نائب بغداد. وقد شكل هذا التجمع «جبهة داخلية قوية» تزعمها مفتي فلسطين اخذت على مسؤولياتها اقصاء نوري السعيد عن الحكم وتأليف وزارة «إئتلافية» تسعى الى حماية استقلال العراق وتجنبه كوارث الحرب وويلاتها . فلما

شعر السعيد بهذا التحالف الجديد واطلع على آراء العقداء وتأكد من عزمهم على اقالته اسرع في تقديم استقالته الى الوصي حفظاً لكرامته الشخصية. ومحاولة منه لارضاء القادة وكسب ثقتهم في المستقبل... وتحمس لفكرة «الوزارة الإئتلافية على ان يشترك فيها كبار الساسة ليعملوا صفاً واحدا برعاية الوصي وتوجيهاته الحكيمة»..

وقد جاء في كتاب الاستقالة ان الدافع الاساس الذي حدى برئيس الوزراء الى تقديمها هو رغبته الصادقة ان «يحل التآزر والتعاون بين رجالات العراق ليتابعوا خدمة وطنهم وترصين الحياة الدستورية والاعتيادية في البلاد» وبعد ان اطلع الوصي على هذه الاستقالة بتاريخ ٣١ آذار سنة ١٩٤٠م. بدأ مشاوراته الرسمية لاختيار الرئيس الجديد.

الوزارة الكيلانية الثالثة

تحسس الوصي عبدالاله كل التيارات السياسية والعواطف القومية التي غمرت العراق في هذه الفترة العصيبة من تاريخه، فوجد ان الشعور القومي قد بلغ الذروة والمحور يغذي هذا الشعور بانتصاراته العسكرية الكاسحة في كل الميادين ، والعراق قد انقسم الى فريقين ، اولهما فريق «الحياد» ويدعو الى التريث والانتظار وتجنب دخول الحرب بجانب الحلفاء او المحور، والثاني فريق «دعاة الحرب»، ويقول بمؤازرة الانكليز كلياً واعلان الحرب على المحور والوقوف بجانب الحلفاء.

ودرس الوصي الموقف السياسي دراسة شاملة فلم يرى غير رئيس الديوان «رشيد عالي الكيلاني» يصلح للحكم في هذه الساعات الحرجة، فالعقداء قد وثقوا به وارتبطوا معه بصلات قوية ، والمفتي الحسيني يزكيه عند القادة ويقوي مركزه في صفوف القوميين المتطرفين، واكثرية الشعب العراقي ترتاح الى وجوده في الحكم لاعتبارات وطنية ودينية، فلابد اذن من تكليفه بتشكيل وزارة قومية يتعاون الطرفان على اختيار اعضائها وقد جرى التكليف يوم ١٩٤٠/٣/٢٩، لتجري المراسيم الدستورية المتبعة بهذا الشأن ولكن الكيلاني وقد تمرس بالآفات والمحن واكتوى بنار السياسة ، وعرف ما يجري وراء الكواليس من مناورات ومؤامرات واحتمالات.فقبل التكليف بشروط ، اولها ، ان يتعهد جميع السياسيين ورؤساء الوزارات السابقين بتأييد وزارته في الشؤون الداخلية والخارجية. ثانيا ، ان تطلق يده في رسم السياسة التي ستنتهجها وزارته في الشؤون السياسية الخارجية، فوافق الوصي على هذه

الشروط، واستدعى كلاً من «ناجي السويدي ونوري السعيد وناجي شوكت وتوفيق السويدي وعلي جودة ورشيد عالي الكيلاني وجميل المدفعي» الى البلاط الملكي. ووقعوا على صيغة التعهد المطلوب وهو «نظراً لرغبتنا الاكيدة في جمع الكلمة، وتصافي القلوب، وإزالة الضغائن في هذه الظروف العالمية الخطيرة، وما تتطلبه مصلحة البلاد من التفرغ لمعالجة الامور وتمشيتها بصورة اعتيادية ودستورية ، فقد اتفقت آراؤنا على ما يأتي:

١- تولف وزارة قومية مؤتلفة يختار رئيسها صاحب السمو حسب التقاليد الدستورية والاستشارات المعتادة.

٢- رؤساء الوزارات السابقون ورجال الدولة الموقعون يتعاونون مع الوزارة المؤتلفة في داخلها وخارجها. ومن يتعذر عليه الاشتراك فيها بسبب مقبول لدى سموه فانه يؤيدها لتحقيق الغايات المذكورة اعلاه ويتجنب مناوئتها .

٣- توقع هذه الاتفاقية وترفع لصاحب السمو المعظم.

اعضاء الوزارة

وفي يوم ٣١ آذار سنة ١٩٤٠ صدرت الارادة الملكية بتشكيل الوزارة الكيلانية الثالثة كما يأتي:

١- رشيد عالي رئيساً للوزراء ووكيلاً لوزارة الداخلية.
٢- ناجي السويدي وزيراً للمالية.
٣- ناجي شوكت وزيراً للعدلية.
٤- طه الهاشمي وزيراً للدفاع.
٥- نوري السعيد وزيراً للخارجية.
٦- محمد امين زكي وزيراً للمواصلات.
٧- رؤوف البحراني وزيراً للشؤون الاجتماعية.
٨- صادق البصام وزيراً للمعارف.
٩- عمر نظمي وزيراً للاشغال والمواصلات.

وعلى العموم فإن رشيد عالي لم يختط لنفسه سياسة جديدة في المجال الداخلي وقد صرّح في البيان يوم ٦ نيسان سنة ١٩٤٠ بأن برنامج وزارته لايختلف كثيراً عن برامج وزارة اسلافه. وانه سيعير امور الجيش وتسليحه اهمية خاصة، وسيوفر لهذا

الجيش اسلحة جديدة من دول اجنبية غير بريطانيا اذا تعذر على بريطانيا تجهيز الجيش بسبب ظروفها القاهرة ، واما بالنسبة للسياسة الخارجية ، فلقد اجمل الكيلاني اهداف وزارته كالآتي:

١- تقوية اسس التحالف العربي واستمرار الجهود لتحقيق الأماني الوطنية في البلاد العربية المجاورة.

٢- تقوية اواصر الصداقة والتعاون مع السلطات الموقعة على ميثاق سعد آباد.

٣- تقوية اواصر الصداقة والتعاون مع بريطانيا العظمى على اساس المصالح المتبادلة..

ارتاحت جميع الاوساط الشعبية والسياسية لهذه الوزارة وقابلها الرأي العام باحترام وحماس. واطلقت عليها الصحافة العراقية «وزارة الائتلاف الوطني» وعلق عليها الجيش آمالاً كبيرة، وتوخى منها الخير الكثير.

فقد اثنى العقيد صلاح الدين الصباغ عليها ، وقال في مذكراته عنها «تألفت برأسة رشيد عالي الكيلاني وزارة قومية قوية قلما شهد العراق نظيراً لها في عهد فيصل الاول ، ولم يشهد مثلها بعد ذلك العهد ابداً. ومما يلفت النظر من حيث الانسجام بين اعضاء هذه الوزارة ، ان ناجي السويدي وناجي شوكت اشتركا بالوزارة بترشيح من رشيد عالي، وان صادق البصام وعمر نظمي اشتركا فيها بترشيح طه الهاشمي. اما رؤوف البحراني فله مكانة واحدة عند الطرفين، لانه من اخوان ياسين الهاشمي مثل رشيد عالي الكيلاني . ولما كان رشيد وطه متقاربين في الرأي، لذا فسيبقى نوري السعيد في رأية الذي يتضارب مع رأي الاثنين الآخرين»..

وقد علق السفير البريطاني السير بازل نيوتن على تشكيل الوزارة بقوله : «انها اول وزارة تولت الحكم بطريقة دستورية منذ وفاة فيصل الاول»...

الفهرست

تغلغل النفوذ البريطاني في العراق

١٨٦٩ - ١٩١٤

تأليف

فواز مطر نصيف الدليمي

إشراف

الدكتور نوري عبد البخيت السامرائي

رسالة ماجستير

العراق في عهد مدحت باشا

١٢٨٦ ـ ١٢٨٩هـ ـ ١٨٦٩ ـ ١٨٧٢م

تأليف
محمد عصفور سلمان

إشراف
الدكتورة عالية أحمد سوسه

الحركة الوطنية في المشرق العربي

١٩٠٨ ـ ١٩١٤

المستعرب السوفييتي

ل . ن . كوتلوف

ترجمة

الدكتور محمد يونس

من أوراق نجيب الصائغ
في العهدين الملكي والجمهوري
خلال ١٩٤٧ ـ ١٩٦٣

قريبا في الاسـواق

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٧٣ لسنة ١٩٩٠

يكتسب الكتاب خطورته من أنه تضمن رصداً دقيقاً، وتقويماً، لحركة القومية العربية في العراق إبان العقد الثالث من هذا القرن، وأهم ما فيه - في تقديرنا - انه رصد هذه الحركة في عنفوانها، ثم في امتحانها، على حد سواء، فعني بتوضيح الجانب غير الرسمي، بل السري أحياناً، من تنظيمات تلك الحركة وأنشطتها يومذاك، مثل «كتلة الضباط القوميين» (١٩٢٧) و«جمعية الجوّال العربي» (١٩٣٣) و«عصبة العمل القومي» (١٩٣٤) و«نادي المثنى» (١٩٣٥) و«التجمع الطلابي القومي» التابع له، و«الحزب العربي القومي» (١٩٣٩).

ويزيد من أهمية الكتاب، انه ليس من ذلك الضرب من الدراسات الأكاديمية التي تستقي مادتها مما تحتويه الرفوف الباردة من كتب، وانما هو شهادة حيَّة لرجل عاش الاحداث بكل تفاصيلها، ونقل شهادات معاصريه في ساعة وقوع الحدث نفسه، وكان قريباً من قادة الحقبة وشخوصها البارزين، تربطه بهم صلات شخصية حميمة، ومن ثم فأنه انفرد بتقديم تفاصيل ذات شأن لم ترد في غيره، وقدم تفسيرات جديدة لأحداث وعلاقات جرت في حينها، واذا كان تواضع المؤلف - رحمه الله - جعله يعزف عن تبيان دوره، وتوضيح عمله، فيما ساقه من أحداث الاّ قليلاً، فان لنا ان نعلم - من سياق سيرته الشخصية - انه كان في قلب معمعانها، داخل في تفاصيل كثيرٍ مما وصفه، ويكفي انه انفق من عمره ثلاث سنين كاملة في معتقلات الفاو والعمارة ونقرة السلمان، ثمناً لموقفه المبدئي، ولعمله السياسي وأنشطته المتنوعة في الحركة القومية.

الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف

الغلاف ليث متي

طبع مطبعة سومر هاتف: ٧١٩٩٧٤٣
طبع الغلاف شركة مطبعة الاديب البغدادية المحدودة
نشر وتوزيع مكتبة اليقظة العربية بغداد شارع الرشيد
سنك عمارة الكيلاني هاتف: ٨٨٧٧٠٢٨

السعر: -ر٤ دينار